

العدد (١٧) — السنة الرابعة

تصدر عن: بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

أيـــار ٢٠٠٦

٥٨ عاماً على النكبة

ساهم في هذا العدد

١. دولة الرئيس د. سليم الحص، رئيس الوزراء اللبناني الأسبق (بيروت)
٢. كارين أبو زيد، المفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، الأونروا (غزة)
٣. د. زكريا لأغا، عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية (غزة)
٤. فضيلة الشيخ الدكتور عكرمة صبري، المفتي العام للقدس و فلسطين (القدس).
٥. سيادة المطران الدكتور عطا الله حنا، رئيس أساقفة سبسطيه للروم الأرثوذكس (القدس)
٦. النائب محمد بركة، رئيس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (شفاعمرو)
٧. المناضل الأسير حسام خضر، عضو المجلس التشريعي السابق (نابلس)
٨. الكاتب عيسى قراقع، عضو المجلس التشريعي (بيت لحم).
٩. الفنان مارسيل خليفة (باريس)
١٠. الشاعر والإعلامي زاهي وهبي (بيروت)
١١. الفنانة فردوس عبد الحميد (القاهرة)
١٢. الفنانة جوليا بطرس (بيروت)
١٣. المخرج حاتم علي، (دمشق)
١٤. الفنان يوسف شعبان (القاهرة)
١٥. الفنان أحمد قعبور (بيروت)
١٦. الفنان والمخرج محمد بكري (الجليل)
١٧. الفنانة ريم بنّا (الناصرة)
١٨. الفنانة بيلا فرويد (لندن)
١٩. د. إيلان بابيه، أستاذ العلوم السياسة في جامعة حيفا (حيفا).
٢٠. د. أمل يازجي، الأستاذة الجامعية في كلية الحقوق بجامعة دمشق (دمشق)
٢١. د. أحمد فائز الفواز، رئيس جمعية حقوق الإنسان في سورية (دمشق).
٢٢. د. أسعد غانم، أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا (الجليل).
٢٣. د. نايف جراد، الناشط في ميدان الدفاع عن حق العودة (طولكرم)
٢٤. د. تركي علي الربيعو، الكاتب والباحث السوري، (دمشق).
٢٥. د. شكري عرّاف، المؤرخ والجغرافي الفلسطيني. (الجليل)
٢٦. د. حيدر دقماق، منسق تكتل الجمعيات الأهلية اللبنانية (بيروت)
٢٧. د. سليم فالي، رئيس لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني (جوهانسبورغ /جنوب أفريقيا).
٢٨. د. كرمة النابلسي، جامعة أوكسفورد، ومنسقة مشروع كيفيتاس (أكسفورد).
٢٩. د. حسين جمعة، رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية (دمشق)
٣٠. الكاتب جمال ناجي، الرئيس السابق لرابطة الكتاب الاردنيين (عمان)
٣١. الكاتب الدكتور وليد سيف (عمان).
٣٢. الكاتب سلمان ناطور، مدير معهد إميل توما للأبحاث الاسرائيلية والفلسطينية (حيفا)
٣٣. الكاتب والصحفي أنطوان شلحت (عكا)
٣٤. الكاتب عادل سالم، محرر "ديوان العرب" (الولايات المتحدة الأمريكية)
٣٥. الكاتب رجا ديب، منسق مجموعة عائدون في سورية (دمشق)
٣٦. الكاتب ميشيل كيلو (دمشق).
٣٧. الكاتب والصحفي هشام نفاع (حيفا).
٣٨. الشاعر مصطفى الصيفي، (بولندا).
٣٩. الباحثة جنان عبده- مخّول (حيفا)
٤٠. الناشطة جميما خان (لندن)
٤١. الصحفية شيلا بروفينشر (عمان)
٤٢. الصحفية هبة عسّاف (جنين)
٤٣. الصحفية هبة الطحان (القدس)
٤٤. الصحفي طارق سعادة (رام الله)

الافتتاحية

كلمةُ في حَقّ العودَة

بقلم: دولة الرئيس د. سليم الحص
رئيس الوزراء اللبناني الأسبق



حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم التي اقتُلِعوا مِنها عنوَة هي من حقوق الإنسان في وطنه و على أرضه. لا جِدال في ذلك. نحن نعجَب كيف أن الدولة العظمى أمريكا، ومعها دول كبرى، تَدعو إلى صَون حقوق الإنسان في كل مكان في العالم، إلا في فلسطين. ينادى بحقوق الإنسان من منُطلق أنّها في مُقدّم القِيم الحضارية في العصر الحديث. فلماذا يا تُرى لا تحفظ حقوق الإنسان في فلسطين؟ فهي مُهدّدة ومَهتوكة على كل صعيد في ما تُمارِس إسرائيل من قتل وتنكيل واعتِقال وتدمير مُمتلكات كل يوم تقريباً، ولا نَسمع صوت احتِجاج أو استِنكار واحداً يَصدر عن القِوى الدولية التي ترفع شِعارات حقوق الإنسان وتشنّ حُروباً بِدعوى الدِفاع عنها، كما كان في العراق.

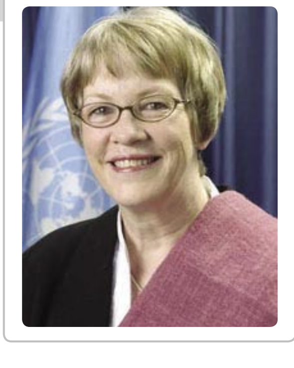
وحقّ العودَة ليس فقط حقّاً بديهِياً من حقوق الإنسان في فلسطين، بل هو مُثبت بقرار دولي، هو القرار ١٩٤ الصادِر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٤٨، أي قبل ٥٨ سنة، وأعادت الجمعية العامّة تأكيده بقرارات شِبه سنوية لاحِقة لا أقل من ثلاثين مرّة. قد يُقال إنّ قرارات الجمعية العامة ليست لها القيمَة التنفيذية التي تتمتّع بها قرارات مجلس الأمن. هذا هُراء. فقرارات الجمعية العامة تُعَبِّر عن إجماع المجتمع الدولي، أمّا قرارات مجلس الأمن فهي عموماً نِتاج طبخَة تَتِمّ بين الدول الخمس ذات العضويّة الدائمَة، والتي كثيراً ما تتصدّرها، حتى لا نَقول تَقودها، الولايات المتحدة الأمريكية. ثم إذا كانت قرارات مجلس الأمن تتمتّع بِصِفَة تنفيذية، فلماذا لم يطبّق القرار ٤٢٥ الخاص بلبنان إلاّ بعد ٢٢ سنة من صدوره، ولم يُطبّق (بحسب مجلس الأمن) إلاّ في العام ٢٠٠٠ وذلك بِفعل المقاومة الوطنية اللبنانية، ولم يكن في ذلك فضل لا للدولة العظمى ولا للأمم المتحدة. ثم لماذا لم يُطبّق القرار ٢٤٢ الصادِر عام ١٩٦٧ حتى اليوم؟ أليس لأنّ ذلك ليس في مصلحة إسرائيل؟ هل قدرنا أن يُصرّ المجتمع الدولي على تطبيق القرارات التي تناسب الكيان الصهيوني، مثل القرار ١٥٥٩ الذي يُراد عبره نزع سلاح المقاومة اللبنانية، و يتناسى المجتمع الدولي سائر القرارات التي لا تصبّ في مصلحة الدولة العبريّة، مثل القرار ٢٤٢ ؟

إلى ذلك، نحن لا نعتَبر أنّ حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودَة حقّ بَدِيهي من حقوق الإنسان فحسب، ولا مُجرّد حَقّ مُقَرّ بقرار دولي، وإنّما هو في نظرنا جوهَر قضيّة فلسطين، وهي قضيّة العرب المركزية. فإذا عاد اللاجئون، كل اللاجئين، إلى ديارهم في فلسطين، كل فلسطين في امتِدادها التاريخي من البحر إلى النهر، بحسب القرار ١٩٤، فإنّ الجانِب الأهَم من قضيّة فلسطين يكون قد تحقق. فهي قضيّة إنسان. إنّها ليست قضيّة حُدود بل قضيّة وُجود. وقضيّة الوُجود لا يُقرّرها جِدار فَصل تبنِيه إسرائيل على هواها، كما لا تُقرّرها محادثات لِرسم الحدود بين الكيان الصهيوني وكَيان فلسطيني مُجاوِر. بل تُقرّرها إرادَة الشعب الفلسطيني. فإذا ما عاد إلى دياره في كل فلسطين، عاد إليه حقّه بِصرف النظر عن الخِلافات التي ستبدأ ولن تَنتهي حول الحدود الفاصِلَة بين الدولتين.

هذا مع العِلم أنّ الحَلّ الحَقيقي لقضيّة فلسطين لن يكون إلاّ بتحقيق الحلم العربي مهما طال الزمن: أي بفلسطين واحِدة مُوحّدة، عاصمتها القدس، يتعايَش فيها العربي واليهودي بسلام جنباً إلى جنب، بعد عودَة جميع اللاجئين إلى دِيارهم. قد تَنتَهي الحرب بِتسوِية، ولكن الصِراع العربي الإسرائيلي، بِما هو مُقاومة مدنيّة، لن ينتَهي إلا ببُلوغ الحلم العربي.

وكـالة الأونـروا وتحديـات الوضـع الراهـن

بقلم: كاريـن أبـو زيـد
المفوض العام لوكالـة غـوث وتشغيـل اللاجئيـن الفلسطينييـن التابعـة للأمـم المتحـدة-الأونـروا



بحلول الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة نواجه في الأراضي الفلسطينية المحتلة أزمة كبرى. فقد أصبح الصراع المزمن نفسه تحديا بالنسبة للجميع. ولكن في الوقت الراهن فإن غموض المستقبل وعدم قدرة أي منا على التنبؤ بما قد يحدث هو مشكلة هائلة. لقد مرت أزمنة بدت فيها الظروف العامة واعدة، كما كان الحال في السنوات الأولى بعد اتفاقيات أوسلو حيث نقلت الوكالة مقرها من فيينا إلى غزة مع تسليمها للسلطة الوطنية الفلسطينية. وبعدها اعترضت بعض العقبات عملية السلام التي تزامنت مع الانتفاضة الثانية والتدهور الحاد في الوضع الإنساني.

مؤخرا وبعد الانتخابات الفلسطينية الرئاسية الناجحة في كانون الثاني من العام ٢٠٠٥ وعملية انفصال إسرائيل عن قطاع غزة، أمل الكثيرون منا في أن يكون الزمن القادم أفضل. وقد مضت وكالة الأونروا إلى حيث خفضت مجموع مساعداتها الطارئة للعام ٢٠٠٦ إلى النصف. أما الآن فنحن قلقون جدا بشأن التطورات الراهنة خاصة التبعات المحتملة لعدم دفع السلطة الفلسطينية الرواتب على الوضع الأمني والاقتصادي. لقد اضطرت الأونروا إلى اعتماد خطة طوارئ بينما تقوم حاليا بتعديل ندائها الطارئ كخطوة وقائية مضادة للمزيد من التدهور المحتمل. أما التحديات التي تقف أمام الأونروا فهي تلبية الاحتياجات الإضافية للاجئين، مثل حاجات أبناء اللاجئين الذين يذهبون إلى مدارس السلطة الوطنية والذين قد يضطرون إلى التحول إلى مدارس الأونروا، وكذلك احتياجات المرضى من بين اللاجئين، الذين يعتمدون على النظام الصحي التابع للسلطة الوطنية الفلسطينية والذين قد يضطرون إلى العودة لعياداتنا لتلقي حاجاتهم.

تعتبر المرونة التي تميّز برامج وكالة الأونروا أحد أهم نقاط قوتها. فبينما نقوم بالتحضير لاحتمالات ازدياد الوضع سوءً، نقوم في الوقت ذاته بوضع الأساس لمستقبل أفضل عن طريق البحث عن وسائل لتطوير خدماتنا والاستجابة إلى احتياجات اللاجئين الفلسطينيين البالغ عددهم ٤,٣ مليون لاجئ والموزعين على الميادين الخمسة التي نعمل بها، الأردن، سوريا، ولبنان والضفة الغربية وقطاع غزة بشكل أكثر فاعلية .

نقوم بهذا من خلال إصلاحات شاملة ابتدأت بعد نقاش مكثف داخل الوكالة وكذلك مع الأطراف المعنية، وبشكل أساسي المانحين والدول المضيفة. كانت أحدى التغييرات المبكرة والهامة، إعادة تفعيل الهيئة الاستشارية للوكالة التي تزيد من فرص النقاش وتقديم الإرشادات من شركائنا. وأما التغيير الآخر فقد كان من خلال تقوية قدرة الوكالة على الدمج بين القضايا الهامة المتقاطعة مثل قضية النوع الاجتماعي والشباب والإعاقة، في برامجنا بشكل أكثر انتظاما لضمان الحد الأعلى من الفاعلية. يأتي هذا انسجاما مع دعوة الأمين العام للأمم المتحدة لكافة وكالات المنظمة إعتماد منهج يرتكز على المنحى الحقوقي أثناء أدائها لعملها. ومن أجل المزيد من الإصلاحات فإننا نهدف إلى وضع اقتراحات فعلية للمانحين والدول المضيفة في اجتماع الهيئة الاستشارية القادم في شهر حزيران.

القضية الهامة الأخرى المتعلقة بالأطفال والشباب الذين يشكلون أكثر من ٥٠ ٪ من عدد اللاجئين الفلسطينيين، حيث أن آفاقهم الاقتصادية محدودة في ظل الوضع الاقتصادي الاجتماعي والسياسي القائم خاصة وأن نسبة البطالة بين الفلسطينيين الواقعة أعمارهم بين ١٥– ٢٤ في الأراضي الفلسطينية المحتلة تفوق الـ ٥٠ ٪، وكما هو الحال في أي مكان في العالم فإن شريحة الشباب هم أعظم ما يمتلكه المجتمع الفلسطيني، فهم يجسدون الأمل في مستقبل أفضل ولذا فإننا نعطي الشباب الأولوية من خلال نشاطنا الحالي. فإلى جانب التعليم يبقى محور تركيزنا الشبابي الأساسي هو برنامج الشبيبة والأطفال والذي يرمي إلى نشر النشاطات التي تساهم في عملية التطوير الذاتي وتقوية عضد فئة الشباب. سيبقى الدور الأكثر أهمية من بين أدوار الوكالة هو البرامج التعليمية والذي يعتبر أوسع برامجنا من حيث الموازنة والمصادر البشرية. فالتعليم هو المفتاح لتزويد أبناء اللاجئين الفلسطينيين من الأطفال والشبيبة بأفاق لمستقبل أفضل، الأمر الذي طالما أقره المجتمع الفلسطيني. وبوجود نصف مليون تلميذ في مدارسنا حاليا نواصل السعي إلى تحسين مستوى التعليم وإضافة الفرص للتدريب التقني والمهني، وكذلك الفرص للتعليم العالي. لا بد للتعليم من أن يعكس حاجات السوق وذلك لتحسين قدرة الشبيبة من اللاجئين على العمالة. وبمعزل عن القضايا المتعلقة مباشرة بالتعليم والعمالة، تتضمن احتياجات الشباب اللاجئين خدمات لشغل أوقات الفراغ، وممارسة النشاط وبشكل خاص في مخيمات اللاجئين.

وبالإضافة إلى التركيز المتجدد دوما على الشباب، فإن الوكالة ستواصل ضمان ادماج النوع الاجتماعي في نشاطاتها، وتعزيز الإجراءات التي تؤمن مدخلا مساوي للأشخاص الذين يعانون من إعاقات. سوف نعالج أيضا الظروف المعاشية السائدة في مخيمات اللاجئين عبر تحسين ظروف السكن والبيئة المادية المحيطة، بما في ذلك الحاجة إلى أماكن للترويح. وبالطبع فان تطبيق الاقتراحات بالإصلاح وزيادة فاعلية برامجنا يتطلب المصادر المادية، الأمر الذي يرجعني للمجتمع الدولي ودوره تجاه الفلسطينيين. ما استثمر في البحث عن حل للصراع يفوق ما يمكن التنازل عنه قبل الوصول إلى نتائج واضحة. إنني لا أقلل من شأن المعضلات السياسية والأمنية القائمة ولكن تطبيق المجتمع الدولي للأعراف والمثل التي طورها بنفسه حول حل الصراعات وتجنبها، يقع على قدر كبير من الأهمية في مجال حماية المدنيين واحترام حقوق الإنسان أثناء الحرب على الإرهاب، بينما تتم معالجة الوضع القائم. هنالك مثل عربي يقول " عيناك مفتوحتان ولكنك قصير النظر" . دعونا لا نكون كذلك، دعونا نعترف أن أغلبية الناس في كل من إسرائيل وفلسطين يفضلون، بل تواقون إلى السلام والأمن والاستقرار.

وبالنيابة عن اللاجئين الفلسطينيين والشباب على وجه الخصوص، أتوجه إلى المجتمع الدولي لافراز قيادة تتطلع الى الأمام وتعمل بشكل قاطع نحو السلام.



تهجير الفلسطينيين من منطقة طولكرم، ١٩٤٨ (الصليب الأحمر)

لا يأس مع الأمل، ولا قنوط مع العمل

بقلم: فضيلة الشيخ الدكتور عكرمة صبري

المفتي العام للقدس و فلسطين ورئيس الهيئة الإسلامية العليا



" سُبحانَ الّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ " (سورة الإسراء، آية ١)

مما لا يخفى أن اليهود طامعون في فلسطين منذ قرون مضت، وقد عقدوا عدة مؤتمرات سرية، و ذلك لوضع خطط إستراتيجية لتحقيق مأربهم والتهام الأرض الفلسطينية، وطرد وتشتيت الشعب الفلسطيني صاحب الحق الشرعي.

فمنذ القرن التاسع عشر للميلاد حاول اللوبي الصهيوني الضغط على السلطان التركي عبد الحميد الثاني (كان حكمه للدولة العثمانية من العام ١٨٧٨ وحتى العام ١٩٠٩ م) للسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين ولإقامة مستعمرة يهودية فيها. وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض وبقي على موقفة الإيماني الثابت وقال للوفد الصهيوني: " لا أفرط بشبر واحد من فلسطين إلا على جسدي " ، رغم أنهم عرضوا عليه مبالغ ضخمة لخزانة الدولة ومبالغ أخرى لحسابه الخاص، ولكنه لم يخضع لهذه الإغراءات، و طرد الوفد الصهيوني من مجلسه، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية في ضعف مالي.

وسار على نهجه الحكام الأتراك العثمانيون ممن جاؤوا بعده، إلا أن الحركة الصهيونية لم تتوقّف عن محاولاتها التآمرية على فلسطين وعلى شعبها، فعقدت مؤتمرها المعروف بمؤتمر بازل الصهيوني، ويقال له مؤتمر بال حسب لغات أخرى، وذلك في العام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ م في سويسرا، و تمخض عن هذا المؤتمر قرارات (بروتوكولات حكماء صهيون) والتي تنص على وجوب إقامة دولة يهودية في فلسطين. و لا بد من العمل على تفوق اليهود على سائر شعوب العالم والسيطرة عليها من خلال نشر الفساد وافتعال الخلافات فيما بينها.

ثم خطت الصهيونية خطوة أخرى حينما انضم اليهود في العالم الى معسكر الحلفاء في الحرب العالمية الأولى والتي بدأت في ٢٨ تموز من العام ١٩١٤ م. فأخذوا جائزتهم على حساب غيرهم، و ذلك حينما أصدر المدعو "آرثر جيمس بلفور" وزير خارجية بريطانيا وقتئذ تصريحاً بأن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين، وعرف هذا التصريح بوعد بلفور، وكان ذلك في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م، حيث صدر هذا الوعد ممن لا يملك الى من لا يستحق. فبلفور لا يملك شيئاً في فلسطين، واليهود لا يستحقون هذا الوعد، حيث لم يكن لهم وجود في فلسطين.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في ١١ تشرين الثاني من العام ١٩١٨ م وذلك بتغلب الحلفاء على دول المحور، صدر صك الانتداب البريطاني على فلسطين في ٢٤ تموز من العام ١٩٢٢ م. وهنا وقعت المأساة الكبرى على شعب فلسطين، لأن بريطانيا كانت تخطط لإقامة كيان صهيوني لليهود على أرض فلسطين، و كان أول مندوب بريطاني يحكم فلسطين هو يهودي الديانة بريطاني الجنسية ويدعى "هاربرت صموئيل" وذلك لتنفيذ المخطط المرسوم بزيادة عدد اليهود في فلسطين، ففتح باب الهجرة لهم على مصراعيه، للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أرض فلسطين تمهيدا لإقامة الكيان الصهيوني في قلب فلسطين. فكانت خيوط المؤامرة تمتد من بريطانيا الى فلسطين. أقول ذلك لتدرك الأجيال الصاعدة حجم المؤامرة الكبرى على فلسطين، وحتى لا تنسى الأجيال المتعاقبة بلادهم و أراضي آبائهم و أجدادهم. فقد كانت هذه المؤامرة أكبر من طاقات الشعب الفلسطيني ولم يكن العرب والمسلمون وقتئذ في مستوى الأحداث لأنهم خرجوا مهزومين من الحرب العالمية الأولى، ووقعوا فريسة للدول الكبرى حيث قسمت أقطارهم الى مستعمرات أو مناطق خاضعة للنفوذ الأجنبي.

وفي العام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨ م أعلن عن قيام كيان غريب دخيل في فلسطين أطلق عليه "دولة إسرائيل" على مساحه كبيرة من فلسطين من جهة ساحل البحر الأبيض المتوسط وشمل أيضاً الجزء الغربي من مدينة القدس، كما شمل أراضي النقب وبئر السبع فقد بلغت نسبة المساحة التي تم الاستيلاء عليها واغتصابها نحو ٨٠ ٪ من مساحة فلسطين الكلية، كل ذلك بتأييد و تخطيط مباشر من بريطانيا وأمريكا.

وتشرد وقتئذ الشعب الفلسطيني في أنحاء فلسطين، فأقيمت مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وفي قطاع غزة، وتشتت جزء آخر الى الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر.

وفي العام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م وقعت حرب حزيران (يونيو) أو: مهزلة ومسرحية حزيران التي عرفت بحرب الأيام الستة، و سقط ما تبقى من فلسطين في أيدي المحتلين الإسرائيليين بما في ذلك القدس الشرقية التي تضم البلدة القديمة بما فيها المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة وسائر المقدسات الإسلامية و المسيحية. كما سقطت وقتئذ صحراء سيناء في مصر، وهضبة الجولان السورية، ووادي عربة في الأردن. وتشرد مرة أخرى الآلاف من الشعب الفلسطيني إثر حرب حزيران وعرفوا بالنازحين، وإنه لمن الضرورة في مكان ما أن نحيي ذكرى النكبة والتي صادفت ١٥ ايار ١٩٤٨ م بانسحاب القوات البريطانية من فلسطين تمهيداً لقيام الكيان الصهيوني، وكان لهم ما أرادوا وما خططوا.

وأقول في هذه المناسبة: لا بد من إحياء هذه الذكرى المشؤومة الحزينة لتبقى القضية الفلسطينية حية في قلوب وعقول ومشاعر الأجيال في فلسطين والعالم العربي والإسلامي بل العالم كله ليقضي الله أمراً كان مفعولا وحتى يتم تحرير البلاد والعباد وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. ثم بعد ذلك نطالب بالوحدة والاتحاد مع الأقطار العربية الأخرى. ولا يأس مع الأمل، ولا قنوط مع العمل.

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى الله عَمَلَكم وَ رَسُولُهُ وَ المُؤْمِنُونَ " (سورة التوبة : أية، ١٠٥).

تحية الى شعبنا الفلسطيني البطل في ذكرى النكبة

بقلم: سيادة المطران الدكتور عطا الله حنا

رئيس أساقفة سبسطيه للروم الأرثوذكس - القدس



في ذكرى نكبة شعبنا الفلسطيني لهذا العام، كما في كل عام نجدد تأكيدنا على تمسكنا بحق العودة الى كافة البلدات والقرى الفلسطينية التي أُقتلع منها شعبنا إقتلاعاً وعومل بقسوة متناهية النظير وشرد الى أصقاع شتى. فهذه النكبة هي ماثلة أمامنا في كل حين لأن تداعياتها ونتائجها نراها في كل يوم وفي كل ساعة. فها هي المخيمات الفلسطينية منتشرة هنا وهناك تدلنا على شعب نُكبَ وطُردَ من وطنه ومن أرضه ولعل المخيمات الفلسطينية في الداخل والخارج هي أبرز شهادة حقيقية على نكبة شعبنا وتداعياتها إضافة الى أولئك الذين هُجّروا الى بلاد الاغتراب المختلفة ولسان حال الجميع يقول متى سنعود الى أرضنا وفلسطيننا الحبيبة.

وعندما كنت خلال السنوات الماضية أزور بعض الجاليات الفلسطينية في المهجر كنت أسمع الواحد يخاطب الآخر بلغةٍ فيها عشقٍ كبيرٍ لفلسطين وحنينٍ للعودة وتمسكٍ بالجذور. ولمستُ أيضاً بأن عام ١٩٤٨ وهو عام النكبة باقٍ في ذاكرة شعبنًا ولمْ ولن يُنسى مع تقلب الزمان ومرور الأعوام وهنالك كلامٌ كنتُ أسمعه ما زال يرنُ في أذني حيثُ يخاطب فلسطينيون في المهجر بعضهم بعضاً ويقولون "انشاء الله تكون من العايدين" أي العودة الى أحضان الوطن الأم فلسطين.

ولكي تبقى ذكرى النكبة خالدة وباقية، يجب أن تسعى كافة المؤسسات الوطنية والثقافية والاعلامية وغيرها لإبرازها وإظهارها والحديث عنها ليس فقط من باب التذكير لمن يجب أن يتذكر وإنما بهدف مخاطبة العالم المتحضر وخاصةً اولئك الذين رفعوا لواء الدفاع عن حقوق الانسان والمظالم عن المظلومين، ذلك لأن النكبة هي قبل كل شيء مسألة إنسانية وتعرّف الناس على هذه النكبة وما حدث فيها من جرائم وإرهاب وممارسات غير أخلاقية وغير إنسانية من شأنه إبراز هذه الحقائق وأن تُحرك الضمائر الحية، فيستفيق النائمون من كبوتهم وتتحرك الضمائر ويتقوى التعاطف مع قضية شعبنا الفلسطيني التي هي أنبل قضية إنسانية عرفها التاريخ الحديث.

واذا ما كان هنالك سعي من قبل إسرائيل ومن يقف خلفها لتصفية القضية الفلسطينية وجعلنا ننسى حق العودة، فلاسرائيل ولداعميها نقول أننا لن ننسى أبداً حقنا في العودة ونقولها بالفم الملآن بأن كل فلسطيني شُرد عام ١٩٤٨ ونسله له الحق في العودة الى أرضه، وهذه ليست منة أو هدية من أحد فهذا حقٌ يجب أن يعود الى أصحابه.

إن إخوتنا في المخيمات وفي المهاجر ينتظرون بفارغ الصبر العودة، ونحن نقول لإخوتنا هؤلاء بأن وطنكم السليب ينتظركم ويتوق إليكم فأنتم أبناء هذا الشعب وأنتم أبناء فلسطين حتى وان أرادت القوى الاستعمارية الغاشمة أن تنسينا حقنا في العودة.

احتفظوا بمفاتيحكم لتعودوا الى قراكم ومدنكم ولا تخافوا ولا تيأسوا فلا بد للحق السليب أن يعود يوماً الى أصحابه عاجلاً أم آجلاً، وإن كنتم يا إخوتنا في المخيمات وخاصةً في الخارج بعيدين عن الوطن الأم بالجسد إلا أن فلسطين في داخلكم وقلوبكم تنبض محبةً وعشقاً لأرض المقدسات والرسالات.

في ذكرى النكبة نوجه ألف تحية لشعبنا الفلسطيني المناضل المقاوم، وألف تحية لأبناء النكبة الذين يتوقون الى فجر الحرية والعودة لكي يستمتعوا بهواء فلسطين وجبالها وهضابها وزيتونها وزعترها، ألف تحية لكل مناضلٍ ومجاهدٍ وعاملٍ على ابراز نكبة شعبنا التي تعتبر من أكبر الجرائم وأكثرها هَولاً في التاريخ الانساني الحديث.

نعم نعم نعم وألف نعم لحق العودة المشروع، ولا لا لا وألف لا لأي تنازلٍ أو تخاذلٍ أو تراجعٍ في هذا الحق الذي سيناله شعبنا حتماً.



تهجير الفلسطينيين من منطقة طولكرم، ١٩٤٨ (الصليب الأحمر)

هل نجحت إسرائيل في تصفية حق العـودة؟
قضيــة اللاجئيــن الفلسطينييــن ومفــاوضات السلام

بقلم: د. زكريا الأغا

ترى الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ تأسيس دولتها – على أراضي اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم تحت وطأة المجازر وتهديد السلاح على يد العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ - أن استمرار الوجود السياسي للشعب الفلسطيني إنما يحمل في طياته استمرار الصراع، واستمرار تنامي الوجود الفلسطيني، ومطلبه المشروع غير القابل للتصرف في العودة وتقرير المصير بإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس؛ لذلك أعلنت تلك الحكومات الحرب العسكرية الشاملة على القضية الفلسطينية لطمس القضية الفلسطينية، ومسحها عن الخارطة السياسية في العالم إلا أن محاولاتها باءت بالفشل فلجأت عبر المفاوضات لتمرير مشاريعها التصفوية، ولكن هل استطاعت الحكومات الإسرائيلية من تحقيق ذلك؟ ستكون إجابتنا على هذا السؤال من خلال طرحنا الموضوعي لما جرى في مفاوضات السلام منذ إنطلاقتها وحتى بداية انتفاضة الأقصى.

انطلقت عملية السلام في مؤتمر مدريد بتاريخ ٣٠ تشرين أول لعام ١٩٩١ والتي أدت إلى توقيع اتفاق السلام الذي أطلق عليه إعلان المبادئ في البيت الأبيض بواشنطن يوم ١٣ أيلول ١٩٩٣. واستنادا لإعلان المبادئ، يعتبر قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، وقرار ٣٣٨ الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣ مرجعية عملية السلام. لقد اقتصر إعلان المبادئ الموقع بين الحكومة الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية على الاتفاق بتأجيل مناقشة وتداول قضية اللاجئين وغيرها من القضايا الحيوية إلى مفاوضات الحل النهائي، حيث تنص المادة الخامسة على:

أولا: سوف تبدأ السنوات الخمس للمرحلة الانتقالية عند الانسحاب من قطاع غزة وأريحا.

ثانيا: ستبدأ مفاوضات الوضع النهائي بين الحكومة الإسرائيلية، وممثلي الشعب الفلسطيني في أسرع وقت ممكن، ولكن بما لا يتجاوز بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية بين الحكومة الإسرائيلية وممثلي الشعب الفلسطيني.

ثالثا: من المفهوم أن المفاوضات سوف تشمل القضايا المتبقية بما فيها (القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، وأية قضايا أخرى ذات اهتمام مشترك بين الجانبين).

رابعا: اتفق الطرفان على أن ما ينجم عن مفاوضات الوضع النهائي يجب ألا يجحف بها، أو يستبقها أي اتفاق يتم التوصل إليه في المرحلة الانتقالية.

أما فيما يتعلق بقضية النازحين الفلسطينيين ووفقاً لإعلان المبادئ سيتم إيجاد حلول لها عبر تشكيل لجنة رباعية مكونة من مصر والأردن وفلسطين وإسرائيل وذلك لإيجاد حل يرضي جميع الأطراف.

حيث تنص المادة ١٢ من إعلان المبادئ على أنه " سيقوم الطرفان بدعوة حكومة الأردن ومصر للمشاركة في تشكيل مكتب لترتيبات التعاون بين حكومة إسرائيل، وممثلي الشعب الفلسطيني من جهة وحكومتي مصر والأردن من جهة أخرى لتشجيع التعاون بينهما . . . إن هذه الترتيبات سوف تشمل تشكيل لجنة دائمة لتقرير بالاتفاق حول شكل السماح للأشخاص النازحين من الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧ إلى جانب الإجراءات الضرورية لمنع الفوضى والاضطراب، وستتعامل هذه اللجنة كذلك مع القضايا ذات الاهتمام المشترك ".

وهذا ما تم تناوله أيضاً في المادة ١٦ من اتفاق القاهرة ٤/٥/١٩٩٤، بالإضافة إلى المادة ٧ من إعلان أوسلو، والمادة ١١/ بند٣ منه، حيث يلاحظ من خلال هذه البنود أن دخول بعض نازحي ١٩٦٧ إلى مناطق الحكم الذاتي سيخضع للتفاوض، حيث نص المادة على أن يكون ذلك بالاتفاق.

ومن هنا يبدو أن مرجعية السلام لم تضع آلية واضحة لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين طبقاً للقرار ١٩٤، ولم تشير إلى حق العودة، بل أكدت فقد على إيجاد حل عادل لها، دون الإشارة إلى ماهية الحل إلا أن الوفد الفلسطيني المفاوض ثبت أن الحل العادل والشامل موجود في القرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العام للأمم المتحدة واكد حينها على ضرورة اعتبار القرار١٩٤ المرجعية التفاوضية لقضية اللاجئين.

ولا بد من الإشارة أن قضية اللاجئين وفقاً لاتفاقيات السلام سيتم مناقشتها ومداولتهاعبر مسارين هما: مسار المفاوضات المتعددة (لجنة اللاجئين في المتعددة والتي ترأسها كندا)، والمسار التفاوضي الثنائي.

أولاً: مفاوضات المتعددة "مجموعة عمل اللاجئين " RWG

بدأت المفاوضات المتعددة التي ترأسها كندا أعمالها في أيار ١٩٩٢، وركزت في تداولها على المشاريع الإنسانية بهدف تحسين الظروف المعيشية للاجئين، وتجاهلت القرار ١٩٤ كأساس لحل قضية اللاجئين. وتقدم لجنة اللاجئين نفسها عملياً بأنها آلية للحوار باجتماعات تنسيق تشارك فيها أكثر من ٤٠ دولة لتحقيق:

١. تطوير البنية الاجتماعية والاقتصادية لتجمعات اللاجئين بالتعاون معهم ومع الدول المضيفة.
٢. دعم حل سلمي عبر توفير مقومات التأهيل والتوطين حيثما يتفق عليه.

وهذا يبين أن عمل المفاوضات المتعددة هو التأهيل الاجتماعي والاقتصادي وتوفير مقومات التوطين وليس إيجاد آلية لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم طبقاً للقرار ١٩٤

ولقد عقدت مجموعة عمل اللاجئين اجتماعاتها على مدى سبع جولات في كل من أوتاوا أيار ١٩٩٢، أوتاوا تشرين الثاني ١٩٩٢، أوسلو أيار ١٩٩٣، تونس تشرين أول ١٩٩٣، القاهرة أيار ١٩٩٤، إنطاكية (بتركيا) كانون أول ١٩٩٤، وأخيراً بجنيف كانون أول ١٩٩٥.

ولم تحقق المفاوضات المتعددة أي إنجاز على الصعيد السياسي، وذلك لوجود خلافات حادة بين الطرف الفلسطيني والأطراف العربية من جهة والطرف الإسرائيلي من جهة أخرى، علاوة على أن مجموعة عمل اللاجئين تعمل في فراغ مثلها مثل المجموعات المتعددة الأخرى لأنها لا تملك آلية لاتخاذ قرارات، وإنما تحاول في اجتماعاتها عكس نقاط الاتفاق والخلاف بين الأطراف المشاركة، ورفع ذلك إلى اجتماعات لجنة التوجيه والتي تعتبر بمثابة لجنة متابعة وتوجيه للمسار المتعدد، ولا تتخذ أي قرارات محددة بقدر ما تنحي منحى توفيقياً.

ونتيجة لهذه الخلافات المتباينة والحادة الذي بدأت في أول اجتماع للمجموعة في أيار ١٩٩٢، والتي لا تزال مستمرة، تم بلورة سبعة أفكار من قبلها لتتمحور نقاشاتها ومداولاتها حولها، وأنيطت رعاية ومتابعة هذه الأفكار بعدد مماثل من الدول الأعضاء في المجموعة.

الأفكار السبعة:

تتمثل الأفكار السبعة في:

١. قاعدة المعلومات: وترعاها النرويج، حيث قام مركز (فافو) للدراسات بإجراء عدة دراسات ترصد المؤشرات الإحصائية للاجئين في العديد من المجالات ؛ وذلك بهدف توفير المعطيات اللازمة لصانعي القرار السياسي عندما يتطلب الأمر ذلك.
٢. الصحة العامة: وترعاها إيطاليا، وقامت بمجهودات ملحوظة في مساعدة الجانب الفلسطيني في هذا المجال.
٣. رفاه الطفل: وترعاها السويد.
٤. التدريب المهني وخلق فرص عمل: وترعاها الولايات المتحدة الأمريكية.
٥. تنمية الموارد البشرية: وهي على صلة وثيقة بالفكرة الرابعة السابقة، وترعاها أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية.
٦. البنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية: وترعاها المجموعة الأوروبية، وقامت بعدة محاولات للمقارنة بين ما هو موجود وبين ما هو مطلوب بهدف التمهيد لجسر الهوة.
٧. لم شمل العائلات: وترعاها فرنسا، وهي الفكرة الوحيدة التي تمخضت عنها منجزات ملموسة، وكان من أهمها إعلان استعداد إسرائيل في الجولة الرابعة في تونس بشهر تشرين أول عام ١٩٩٣ لقبول ٢٠٠٠ حالة لم شمل سنوياً، وفي إطار متابعة هذه المسالة، عقدت عدة اجتماعات وسيطة في باريس وتونس لتحديد مفهوم العائلة وصولاً إلى معايير تعالج على أساسها طلبات لم الشمل، ولكن إسرائيل ما زالت تتملص من تحديد المعايير، وتفضل معالجة كل طلب على حدة، ووفقاً لمزاجها في ذلك الحين، مما يعني تراجعها الفعلي عن استعدادها النظري السابق حتى أوائل ١٩٩٧.

المفاوضات الثنائية:

على الصعيد الثنائي، بدأت مفاوضات الوضع النهائي بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في الثامن من تشرين الثاني لعام ١٩٩٩م ، والتي ستناقش أكثر القضايا حساسية والمتمثلة في القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، وأية قضايا أخرى ذات اهتمام مشترك بين الجانبين.

وعلى ما يبدو كانت المفاوضات الثنائية بين الطرفين شاقة وشائكة ولم تتكلل بالنجاح نتيجة التعنت الإسرائيلي في رفضه لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضي ٤٨.

وفي أول جلسة رسمية قدم الوفد الفلسطيني الذي كان يرأسه ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وزير الإعلام والثقافة لدى السلطة الوطنية – ورقة رسمية تطالب بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وتعويضهم طبقاً للقرار ١٩٤، وتحميل إسرائيل المسؤولية التاريخية والسياسية والأخلاقية والقانونية عن نشوب قضية اللاجئين، والتي توضح فيها أيضاً موقف منظمة التحرير الفلسطينية من الناحية التاريخية ومن ناحية الوضع السياسي الراهن إلا أن الجانب الإسرائيلي الذي كان يرأسه عوديد عيران رفض هذه الورقة وبشكل مطلق.

" في إطار هذه المفاوضات طرح الموقف الفلسطيني بكل جوانبه المتمسك بحق العودة استناداً لقرار الأمم المتحدة ١٩٤، والذي كان يقابله الرد الإسرائيلي الذي لا يخرج عن الموقف الإسرائيلي التقليدي الرافض لعودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها عام ١٩٤٨.

وبعد عدة جولات من مفاوضات الحل النهائي التي عقدت في قاعدة بولينغ الجوية في واشنطن، وما تبعها من





كانون الثاني ١٩٤٨

لفتا، قضاء القدس، ٢٩٥٨ نسمة.
هجرت في ١ كانون الثاني ١٩٤٨.

بيت عقا، قضاء غزة، ٨١٢ نسمة.
هجرت في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٨.

خربة المنصورة، قضاء صفد، ٢٣٢ نسمة.
هجرت في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٨.

شباط ١٩٤٨

المر (محمدّية)، قضاء يافا، ١٩٧ نسمة.
هجرت في ١ شباط ١٩٤٨.

الحرم (سيدنا علي)، قضاء يافا، ٦٠٣ نسمة.
هجرت في ٣ شباط ١٩٤٨.

خربة البرج، قضاء يافا.
هجرت في ١٥ شباط ١٩٤٨.

قيسارية، قضاء حيفا، ١,١١٤ نسمة.
هجرت في ١٥ شباط ١٩٤٨.

وادي عارة، قضاء حيفا، ٢٦٧ نسمة.
هجرت في ٢٧ شباط ١٩٤٨.

آذار ١٩٤٨

المنارة، قضاء طبريا، ٥٦٨ نسمة.
هجرت في ١ أذار ١٩٤٨.

وادي قبّاني، قضاء طولكرم، ٣٧١ نسمة.
هجرت في ١ اذار ١٩٤٨.

الجلمة، قضاء طولكرم، ٨١ نسمة.
هجرت في ١ آذار ١٩٤٨.

خربة الجدل قضاء طولكرم.
هجرت في ١ آذار ١٩٤٨.

قيرة وقامون، قضاء حيفا، ٤٧٦ نسمة.
هجرت في ١ آذار ١٩٤٨.

خربة المنارة، قضاء حيفا.
هجرت في ١ آذار ١٩٤٨.

داليا الروحاء، قضاء حيفا، ٣٢٥ نسمة.
هجرت في ١ آذار ١٩٤٨.

المنشية، قضاء طبريا.
هجرت في ٣ آذار ١٩٤٨.

العبيدية، قضاء طبريا، ١,٠٠٩ نسمة.
هجرت في ٣ آذار ١٩٤٨.

دير أيوب، قضاء القدس، ٣٧١ نسمة.
هجرت في ٦ آذار ١٩٤٨.

رمل زيتا، قضاء طولكرم، ١٦٢ نسمة.
هجرت في ١٥ آذار ١٩٤٨.

وادي الحوارث، قضاء طولكرم، ٢,٥٥٢ نسمة.
هجرت في ١٥ آذار ١٩٤٨.

خربة الشونا، قضاء حيفا.
هجرت في ١٥ آذار ١٩٤٨.

الجماسين الغربي، قضاء يافا، ١,٢٥٣ نسمة.
هجرت في ١٧ آذار ١٩٤٨.

الجماسين الشرقي، قضاء يافا.
هجرت في ١٧ آذار ١٩٤٨.

أم خالد، قضاء طولكرم، ١,١٢٥ نسمة.
هجرت في ٢٠ آذار ١٩٤٨.

قوميّة، قضاء بيسان، ٥١٠ نسمة.
هجرت في ٢٦ آذار ١٩٤٨.

عرب ابو كشك، قضاء يافا، ٢,٢٠٤نسمة.
هجرت في ٣٠ آذار ١٩٤٨.

عرب السوالمة، قضاء يافا، ٩٢٨ نسمة.
هجرت في ٣٠ آذار ١٩٤٨.

الشيخ مؤنس، قضاء يافا، ٢,٢٣٩ نسمة.
هجرت في ٣٠ آذار ١٩٤٨.

بيار حنون، قضاء طولكرم.
هجرت في ٣١ آذار ١٩٤٨.





أطفال مخيم عايدة للاجئين، بيت لحم (تينيكا دازة، منظمة أوكسفام للتضامن)

مفاوضات في مدينة إيلات على البحر الأحمر بدأت معالم الحلول الإسرائيلية المطروحة لقضايا الحل النهائي تتضح والتي تتبلور حول تصفية قضية اللاجئين عبر إلغاء حق العودة والتركيز على التوطين والعودة إلى أراضي الدولة الفلسطينية.

ويبدو الموقف الإسرائيلي واضحاً من خلال تصريحات باراك، والتي كان أولى لاءاته الخمسة التي تبناها هي "لا لعودة اللاجئين"، فقد قال خلال زيارته لأمريكا "إن الإسرائيليين لم يطرحوا على جدول أعمال المفاوضات مع العرب مسألة اللاجئين، وأوحى أن هذا الأمر سيتم مناقشته داخل المتعددة (أي اللجنة الدولية التي ترأسها كندا) وهي اللجنة التي تعني بتأهيل اللاجئين ودمجهم في المجتمعات المضيفة، وهذه اللجنة لا تتعاطى في مسائل حق العودة، وتابع يقول "أن على الفلسطينيين أن يتخلصوا من الأفكار التي تراودهم في مطالبة إسرائيل بتنفيذ هذا القرار ١٩٤ على المساحة القليلة التي ستبقى لها بعد تقديم التنازلات الإقليمية"

ويستند موقف باراك فيما يتعلق بحل قضية اللاجئين الذي طرحه في مفاوضات الحل النهائي على أساس حرمان اللاجئين الفلسطينيين من حق العودة مقابل حصولهم على تعويضات دولية فيما تتحمل إسرائيل جزءاً من المسؤولية التاريخية عن هذه المأساة، علاوة على الموافقة على عودة اللاجئين إلى الأراضي الفلسطينية التي ستقام عليها دولة فلسطين، بالرغم من ان وزارة الخارجية الإسرائيلية اقترحت في الإطار الاستعدادات لمفاوضات الحل الدائم تقييد دخول اللاجئين للأراضي الفلسطينية حسب قدرة السلطة على الاستيعاب إلا ان باراك فضل ترك هذه المسألة للمفاوضات، كما تضمنت مقترحات الخارجية الإسرائيلية توطين أغلبية اللاجئين في الأردن وسوريا ولبنان علاوة على تشكيل هيئة دولية لتعويض اللاجئين وإعادة تأهيلهم وتبدى إسرائيل في اقتراحها استعداداً للمشاركة فيها.

ويرى باراك في طرحه هذا ان يتم حل وكالة الغوث الدولية لتحل محلها الهيئة الدولية الجديدة وان ترتبط التسوية بالأموال التي ستخصص للاجئين بحيث يكون لهذه الأموال دور على الصعيدين الاقتصادي والسياسي.

ويؤكد زئيف شيف المعلق الإسرائيلي أن إسرائيل لن تتفاوض حول حق اللاجئين في العودة إليها، ولكن ستتفاوض في طريقة استيعابهم على مراحل في دولتهم الجديدة، ويرى شيف أن هذا الاستيعاب سيكون محدوداً، ويقترح شيف ان تقبل إسرائيل عودة عدد محدود من اللاجئين الفلسطينيين في إطار جمع شمل العائلات على ألا يزيد عددهم عن عدد المستوطنين اليهود الذي سيعيشون على أرض الدولة الفلسطينية الموعودة.

ويتضح من خلال العرض السابق أن الحكومة الإسرائيلية ترفض التعامل مع قضية اللاجئين على قاعدة القرار ١٩٤، وترفض الاعتراف بحق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى أراضي ٤٨ التي طردوا منها، ولن تجد في جعبتها وبرامجها السياسية سوى التوطين في الدول العربية المقيمين فيها، وعودة محدودة إلى أراضي الدولة الفلسطينية، وهذا الموقف المتعنت كان سبباً في فشل كافة الجولات التفاوضية بين الطرفين وجعل هذه المفاوضات عقيمة لن تسفر عن أية نتائج إيجابية.

في حين قدم الوفد الفلسطيني المفاوض مطالب محددة وواضحة للحكومة الإسرائيلية بخصوص حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وهذه المطالب هي على النحو التالي:

١. يجب العثور على حل تعترف فيه إسرائيل بضرورة وجود حل لمشكلة اللاجئين بصورة عادلة حتى يمكن التوصل لسلام عادل دولي ودائم.
٢. تعترف إسرائيل بالمسؤولية الأخلاقية والقانونية لنقلها بالقوة السكان المدنيين الفلسطينيين وسلبهم خلال حرب عام ١٩٤٨، وأيضاً المسؤولية عن الحيلولة دون عودة اللاجئين إلى منازلهم حسب قرار ١٩٤ الصادر عن الأمم المتحدة، ويشير الموقف الفلسطيني إلى أن جميع اللاجئين الذين يتطلعون للعودة إلى بيوتهم في إسرائيل ويطالبون بالعيش بسلام مع جيرانهم يحق لهم تجسيد حق العودة والتمتع فيه.
٣. اللاجئون القاطنون في لبنان يتمتعون بحق العودة إلى إسرائيل خلال عامين من تاريخ التوقيع على الاتفاق، ويحق لعدد محدد من اللاجئين بالعودة إلى أراضي ٤٨ كل عام، وقرار العودة يتخذه اللاجئون بصورة حرة ويطبق بأسلوب يضمن تكامل الأسرة، والحصول على الجنسية الإسرائيلية فور عودتهم، لكي تنتهي مكانتهم كلاجئين.
٤. كما تناولت المطالب الفلسطينية أن تعود الأراضي التي كانت ملكاً للاجئ في فترة طرده من مكان سكناه أو لورثته الشرعيين، وإذا لم يكن هذا ممكناً يحق للاجئ أو لورثته الحصول على أرض أو عقارات بديلة في إسرائيل.
٥. تعوض إسرائيل اللاجئين عن كل حالة الوفاة والإصابة والنقل المادي والأضرار النفسية وفقدان الأملاك، بالإضافة إلى أن اللاجئون الذين يطلبون العودة يحق لهم الحصول على مساعدة لتأهيلهم في التأقلم في بلدهم الأصلي، أما اللاجئون الذين لا يريدون العودة فيحصلون على تعويضات مقابل تخليهم عن حق العودة، ومن أجل إعادة دمجهم في دول أخرى، كما تشير المطالب الفلسطينية إلى ان حقيقة تجسيد الفلسطيني لحق العودة لا تمس بحقه في الحصول على تعويضات.
٦. أن تقوم إسرائيل بتعويض منظمة التحرير الفلسطينية عن الأملاك الفلسطينية العامة داخل حدود إسرائيل، وترى منظمة التحرير أن إسرائيل هي المسؤولة عن تقديم التعويضات فهي التي تدفع الأموال المطلوبة، ويتم التمويل من أملاك الغائبين الموجودة لدى وزارة المالية الإسرائيلية، ويمكن استخدام المبالغ التي جمعتها الصناديق الدولية من أجل استكمال دفع الديون الإسرائيلية.

وفي ظل هذه الأجواء طرحت أمريكا عدة مقترحات لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين، ووفق هذه المقترحات تقول فيليس اوكلي مساعدة وزير الخارجية الأمريكي السابقة لشؤون السكان واللاجئين إنها تود اقتراح ما وصفته (مبادرة عملية لتطبيق الممارسات والمبادئ الخاصة باللاجئين في العالم على هؤلاء الفلسطينيين)، وستكون هذه المبادرة عبارة عن برنامج دولي لإعادة التوطين يبدا باللاجئين الموجودين في لبنان ومن الممكن أن يبدأ العمل به الآن.

وتقول أوكلي أنه بموجب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا فإن اللاجئين الفلسطينيين لم يخضعوا قط للمبادئ التي يخضع لها اللاجئون الآخرون الذين يتمتعون بحماية المفوضية السامية الدولية للاجئين، وتشير أوكلي أن المفوضية السامية تحدثت عن ثلاثة حلول لجموع اللاجئين هي عودة اللاجئين إلى وطنهم وهو الحل المفضل والذي استخدم اكثر من غيره من الحلول، والاندماج محلياً أو توطين اللاجئين في البلد الذي لجأوا إليه في البداية، وإعادة التوطين في بلد ثالث مشيرة إلى أن أفضل مثال على إعادة التوطين هو البرنامج الفيتنامي الذي تعامل مع الفارين بالزوارق والذي عرف بخطة العمل الشاملة التي وقعتها ٦٠ دولة بدعم من الولايات المتحدة في حزيران ١٩٨٩ دعت إلى إعادة التوطين والعودة إلى فيتنام، ودعت اوكلي إلى تطبيق مبادئ هذا البرنامج (إعادة التوطين والعودة معاً) بالنسبة للفلسطينيين.

وقالت اوكلي أن الوقت مناسب للولايات المتحدة الأمريكية لكي تجند المجتمع الدولي بما في ذلك الدول التقليدية التي تقوم بإعادة التوطين مثل استراليا وكندا ودول المنطقة والمفوضية السامية الدولية للاجئين ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين من أجل عقد اجتماع غير رسمي، كما بدا الحال بخطة العمل الشاملة الخاصة بالفيتناميين لرؤية ما يمكن عمله في هذا المجال، ترى ان إسرائيل في هذا السياق قد تكون أكثر رغبة في قبول بعض العائدين ويتوقع أن يمنح لبنان المواطنة والحقوق المدنية لبعض الفلسطينيين، وتعتقد اوكلي أنه بالإمكان إيجاد برنامج فعال وإنساني وتطوعي وعادل لإعادة التوطين، وأضافت أن بالإمكان القيام بذلك بدون إلحاق إي اجحاف بمبادئ حق العودة والتعويض وهي المبادئ القانونية والأخلاقية الصعبة، وترى أوكلي انه بعد أن يتم ذلك بالنسبة للبنان فلربما امكن فيما بعد تكييف هذا البرنامج بالنسبة للاجئين الفلسطينيين في الدول المجاورة، وقالت أن هذا البرنامج قد يساعد في إيجاد حلول عملية لهذه المسائل مما يزيح احد الحواجز التي تقف في وجه عملية السلام.

وعلى ما يبدو أن الاقتراح الأمريكي يهدف وبشكل

يتبع ص٦

الموجز
في نكبـة فلسطيـن

١,٤ مليون فلسطيني أقاموا في فلسطين التاريخية قبل نكبة فلسطين في العام ١٩٤٨.

٦٠٥,٠٠٠ يهودي أقاموا في نفس الفترة وشكلوا ٣٠ ٪ من مجمل سكان فلسطين.

٩٠ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية تبعت للفلسطينيين مع بداية حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين.

٧ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية، خضعت للصهاينة عند صدور قرار التقسيم في تشرين ثاني ١٩٤٧.

٥٦ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية منحت "للدولة اليهودية" بموجب قرار التقسيم في تشرين ثاني ١٩٤٧.

٥٠ ٪ تقريبا (نحو ٤٩٧,٠٠٠ عربي فلسطيني) من سكان "الدولة اليهودية" المقترحة كانوا من العرب الفلسطينيين.

٩٠ ٪ تقريبا من ملكية الأراضي في "الدولة اليهودية" المقترحة كانت تتبع للفلسطينيين.

٧٢٥٠٠٠ عربي فلسطيني مقابل ١٠٠٠٠ يهودي هم سكان "الدولة العربية" المقترحة بموجب قرار التقسيم.

٥٣١ قرية ومدينة فلسطينية هجرت خلال نكبة فلسطين وتم تدميرها.

٨٥ ٪ من سكان المناطق الفلسطينية التي قامت عليها إسرائيل (أكثر من ٨٤٠٠٠٠ نسمة) هجروا خلال النكبة.

٩٢ ٪ من مجمل مساحة إسرائيل تعود الى اللاجئين الفلسطينيين.

٧٨ ٪ من مجمل مساحة فلسطين التاريخية، قامت عليها اسرائيل في العام ١٩٤٨.

١٧,١٧٨,٠٠٠ دونم صادرتها إسرائيل من الفلسطينيين في العام ١٩٤٨.

١٥٠٠٠٠ فلسطيني فقط بقوا في المناطق التي قامت عليها اسرائيل.

٣٠٠٠٠–٤٠٠٠٠ فلسطيني هجروا داخليا خلال نكبة فلسطين.

٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني أو ثلث تعداد الشعب الفلسطيني هجر من دياره حتى ربيع ١٩٤٨.

١٩٩ قرية فلسطينية ممتدة على ٣٣٦٣٩٦٤ دونم هجرت حتى ربيع ١٩٤٨.

١٥٠٠٠ فلسطيني قتل خلال النكبة.

أكثر من ٣٠ مذبحة "موثقة" وقعت بحق الفلسطينيين في العام ١٩٤٨.

٧٠٠,٠٠٠ دونم صادرتها اسرائيل من الفلسطينيين بين أعوام ١٩٤٨–١٩٦٧.

٧٠ ٪ من الاراضي التابعة للسكان الفلسطينيين تحولت للأيدي الصهيونية بين ١٩٤٨ وأوائل الخمسينيات.

٥٠ ٪ من الأراضي التابعة للفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم داخل إسرائيل تحولت للأيدي الصهيونية بين ألأعوام ١٩٤٨ و ٢٠٠٠.

٧٥ ٪ تقريبا من مجمل الفلسطينيين اليوم هم لاجئون ومهجرون.

٥٠ ٪ تقريبا من مجمل تعداد الفلسطينيين يقيمون قسرا خارج حدود فلسطين التاريخية

١٠ ٪ تقريبا من مجمل أراضي فلسطين التاريخية تتبع اليوم للفلسطينيين.



نيسـان ١٩٤٨

فرديسيا، قضاء طولكرم، ٢٣ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

يردا، قضاء صفد، ٢٣ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

العريفية، قضاء صفد،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

بيت نقّوبا، قضاء القدس، ٢٧٨ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

بيت ثـول، قضاء القدس، ٣٠٢ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

والدهيم (أم العماد)، قضاء حيفا، ٣٠٢ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

خربة راس علي، قضاء حيفا،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

بيت لحم، قضاء حيفا، ٤٢٩ نسمة،
هجرت في ١ نيسان ١٩٤٨.

تبصـر (خربة عزّون)، قضاء طولكرم،
هجرت في ٣ نيسان ١٩٤٨.

قالونيا، قضاء القدس، ١٫٠٥٦ نسمة،
هجرت في ٣ نيسان ١٩٤٨.

القسطل، قضاء القدس، ١٠٤ نسمة،
هجرت في ٣ نيسان ١٩٤٨.

إجليل القبلية، قضاء يافا، ٥٤٥ نسمة،
هجرت في ٣ نيسان ١٩٤٨.

إجليل الشمالية، قضاء يافا، ٢٢٠ نسمة،
هجرت في ٣ نيسان ١٩٤٨.

خربة بيت ليد، قضاء طولكرم، ٥٣٤ نسمة،
هجرت في ٥ نيسان ١٩٤٨.

سيرين، قضاء بيسان، ٩٤٠ نسمة،
هجرت في ٦ نيسان ١٩٤٨.

صيدون، قضاء الرملة، ٢٢٠ نسمة،
هجرت ٦ نيسان ١٩٤٨.

خلدا، قضاء الرملة، ٣٢٥ نسمة،
هجرت في ٦ نيسان ١٩٤٨.

دير محيسن، قضاء الرملة، ٥٣٤ نسمة،
هجرت في ٦ نيسان ١٩٤٨.

أم كلخا، قضاء الرملة، ٧٠ نسمة،
هجرت في ٧ نيسان ١٩٤٨.

خربة بيت فار، قضاء الرملة، ٣٤٨ نسمة،
هجرت في ٧ نيسان ١٩٤٨.

الغبية الفوقا، قضاء حيفا،
هجرت في ٨ نيسان ١٩٤٨.

الغبية التحتا، قضاء حيفا،
هجرت في ٨ نيسان ١٩٤٨.

دير ياسين، قضاء القدس، ٧٠٨ نسمة،
هجرت في ٩ نيسان ١٩٤٨.

أبو شوشة، قضاء حيفا، ٨٣٥ نسمة،
هجرت في ٩ نيسان ١٩٤٨.

خربة لد (لد العوادين)، قضاء حيفا، ٧٤٢ نسمة،
هجرت في ٩ نيسان ١٩٤٨.

عرب الفقراء، قضاء حيفا، ٣٦٠ نسمة،
هجرت في ١٠ نيسان ١٩٤٨.

عرب ظهرة الضميري، قضاء حيفا،
هجرت في ١٠ نيسان ١٩٤٨.

عرب النفيعات، قضاء حيفا، ٩٥١ نسمة،
هجرت في ١٠ نيسان ١٩٤٨.

خربة ناصر الدين، قضاء طبريا، ١٠٤ نسمة،
هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

عين المنسي، قضاء جنين، ١٠٤ نسمة،
هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

غير مباشر، لإيجاد حلول تخرج عن إطار ما نص عليه القرار ١٩٤، ولقد قوبل هذا الاقتراح بالرفض من قبل المفاوض الفلسطيني.

مفاوضات ستكهولم

ولكسر الهوة بين الموقفين الإسرائيلي والفلسطيني فيما يتعلق بإيجاد حل عادل لقضية اللاجئين ولبعض القضايا العالقة عقدت مفاوضات بين الجانبين بعيدة عن رجال الإعلام في استكهولم إلا أنها باءت بالفشل كغيرها نظراً لعدم حدوث أي تغيير في الموقف الإسرائيلي التقليدي تجاه قضية اللاجئين ونفي مسؤولون فلسطينيون أنه تم تداول وطرح أفكار حول قيام دولة فلسطينية مقابل التخلي عن القدس واللاجئين.

مفاوضات كامب ديفيد الثانية

في ظل التدهور السياسي والتفاوضي بعد فشل العديد من اللقاءات بين الطرفين، شهدت الأسابيع الأخيرة كثافة غير معهودة من الجانب الأمريكي لترسيخ تسوية سلمية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن أدرك الأمريكان أن الجانبين غير قادرين على إيجاد حلول للقضايا العالقة وفي مقدمتها قضية اللاجئين، الأمر الذي أدى إلى عقد لقاء قمة كامب ديفيد الثانية في ١١–٢٥ تموز ٢٠٠٠م الذي جمع الرئيس ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود باراك بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

ولقد عقد الرئيس الأمريكي عدة لقاءات مع الجانب الفلسطيني والإسرائيلي كل منهم على حدة لوضع حل وسط يتوافق مع الطرفين، ولقد وصفت هذه المفاوضات بالمعقدة نظراً للتعنت الإسرائيلي ورفضه الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني التي أقرتها الشرعية الدولية وعدم التجاوب مع مقتضيات الحل النهائي، ولقد قالت د. حنان عشراوي المتحدثة باسم الوفد الفلسطيني أن المفاوضات لم تسفر عن حدوث اختراق جوهري وان المواقف بين الطرفين لا تزال متباعدة.

وفي ظل هذه الأجواء التي تميزت بتباين المواقف وتباعدها بين الطرفين، طرح الرئيس الأمريكي مقترحاته لتقريب المواقف وكسر الهوة بين الطرفين.

مقترحات الرئيس الأمريكي فيما يتعلق بقضية اللاجئين في كامب ديفيد

حيث يرى الرئيس الأمريكي في طرحه: " أنه على قناعة بأن الخلافات بالآراء تكمن بطابع صياغة الحلول، أكثر منه بما سيحدث على المستوى العملي ... إسرائيل على استعداد للاعتراف بالمعاناة الأخلاقية والمادية التي لحقت بالشعب الفلسطيني جراء حرب ١٩٤٨، وبضرورة المساهمة في المجهودات الدولية لمعالجة هذه المشكلة ... تهتم اللجنة الدولية بتطبيق كافة الأبعاد الناجمة عن الاتفاق: التعويضات وإعادة توطين وما شابه، الولايات المتحدة على استعداد لقيادة المجهودات المبذولة لمساعدة اللاجئين ... الهوة السياسية تكمن في كيفية معالجة حقوق العودة، يعرف الرئيس تاريخ المشكلة ويدرك مدى صعوبة تخلي القيادة الفلسطينية عن هذا المبدأ ... لا يستطيع الجانب الإسرائيلي قبول أي تناول لحق العودة الذي يعني حق الهجرة لإسرائيل الأمر الذي يتناقض مع سياسة سيادتها ويهدد الطابع اليهودي للدولة ... يجب أن يتضمن كل حل احتياجات الطرفين ويتوافق مع توجهات الدولتين بعد أن يوافق الطرفان عليه كأسلوب لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، دولة فلسطينية كوطن للشعب الفلسطيني ودولة إسرائيلية كوطن للشعب اليهودي ... في إطار حل وجود الدولتين، ستشكل الدولة الفلسطينية بؤرة يعود إليها اللاجئون الذين يختارون العودة بالمنطقة، وذلك بدون استثناء إمكانية استيعاب إسرائيل لجزء من هؤلاء اللاجئين ... الرئيس على قناعة بأنه يجب على الطرفين تبني حل يوضح بان حق العودة لا يقتصر على إسرائيل وحدها، لكنه لا يلغي تطلع الشعب الفلسطيني للعودة للمنطقة ... آخذاً ذلك بالاعتبار يقترح الرئيس بديلين :

١. يعترف الطرفان بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة لفلسطين التاريخية.
٢. يعترف الطرفان بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى وطنهم.

ويحدد الاتفاق تطبيق هذا الحق، بحيث يتضمن خمسة خيارات لاستيعاب اللاجئين في دولة فلسطين في المناطق التي ستنقلها إسرائيل إلى فلسطين في إطار تبادل مناطق، توطينهم في الدول المضيفة لهم، إعادة توطينهم في دولة ثالثة أو استيعابهم في إسرائيل.

ويوضح الاتفاق بأن العودة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وللمناطق التي ستنتقل في إطار تبادل مناطق، هو تطبيق لحق عودة اللاجئين الفلسطينيين ... التوطين في دول مضيفة أو في دولة ثالثة أو الاستيعاب في إسرائيل يكون رهناً بهذه الدول وبقوانينها ... تستطيع إسرائيل الإيضاح بان بعض اللاجئين سيتم استيعابهم في أراضيها وفقاً لقرارها السيادي ... الرئيس على قناعة بضرورة إعطاء أولويات للاجئين في لبنان ... يتفق الطرفان بان هذا هو التنفيذ لقرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ ".

ويلاحظ هنا أن الحل الوسط الأمريكي الذي طرحه بيل كلينتون الرئيس الأمريكي السابق لن يخرج عن إطار الموقف الإسرائيلي التقليدي الرافض لحق العودة، ولن نبالغ في القول عندما نقول أن الرئيس الأمريكي تبنى وجهة النظر الإسرائيلية فيما يتعلق بحل قضية اللاجئين والتي تخرج عن ما نص عليه القرار ١٩٤.

مفاوضات طابا

وفي ظل الأجواء المشحونة بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بعد فشل مفاوضات كامب ديفيد، وما رافق ذلك من اندلاع انتفاضة الأقصى التي جاءت نتيجة الزيارة الاستفزازية التي قام بها أريئيل شارون لباحة المسجد الأقصى، وما نجم عن ذلك من تدهور في الأوضاع الأمنية والسياسية بعد أن استخدمت الحكومة الإسرائيلية كافة أنواع أسلحتها المتطورة ضد الشعب الفلسطيني والذي أدى إلى سقوط مئات الشهداء، وآلاف الجرحى وذلك لفرض برنامجها وشروطها على القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

وأمام هذا المنعطف الخطير الذي ينذر بانهيار عملية السلام برمتها ظهرت المساعي الدولية والديبلوماسية لوضع حد لهذا التدهور، والتي كان من نتائجها المفاوضات التي عقدت بين الطرفين في طابا.

واستناداً للوثيقة غير الرسمية للاتحاد الأوروبي التي تم إعدادها من قبل ممثله الخاص لمسيرة السلام في الشرق الأوسط ميغال موراتينوس وطاقمه بعد التشاور مع الممثلين الفلسطينيين والإسرائيليين الذين تواجدوا في طابا في كانون الثاني ٢٠٠١، وتعتبر هذه الوثيقة غير الرسمية وصف معقول وموضوعي نسبياً لنتائج مفاوضات طابا بشأن مواضيع الحل الدائم المتمثلة في (المسألة الإقليمية، القدس، اللاجئين، مسائل الأمن).

لقد أعلن كلا الطرفين أثناء تداولهم عن أن قضية اللاجئين الفلسطينيين هي القضية المركزية في علاقات الفلسطينيين الإسرائيليين، وان الحل العادل لقضية اللاجئين حسب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ يجب أن يقود إلى تطبيق القرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

واقترح الجانب الإسرائيلي خلال المفاوضات عرض رواية تاريخية مشتركة لمأساة اللاجئين الفلسطينيين إلا أنه لم يتم التوصل إلا اتفاق في محاولة بلورة رواية تاريخية في إطار الصياغة العامة.

وأكد الجانب الفلسطيني أن من الواجب أن يحصل اللاجئون الفلسطينيون على حق العودة إلى منازلهم حسب تفسيرهم للقرار ١٩٤، في حين يرى الطرف الإسرائيلي أن فهمه لحق العودة الذي يتطرق إليه القرار ١٩٤ سيطبق في إطار إحدى الخطط التالية:

١. الرجوع والعودة للوطن: (لإسرائيل، للمنطقة التي ستسلم للفلسطينيين في إطار مبادلة الأراضي، للدولة الفلسطينية).
٢. إعادة التأهيل والتوطين: (التأهيل في دولة مضيفة، إعادة التوطين في دولة ثالثة)

ويرى الجانب الإسرائيلي إن تمنح الأفضلية في كل هذه الخطط للسكان الفلسطينيين في لبنان، في حين أكد الجانب الفلسطيني على أن الخطط المذكورة ستكون خاضعة لاختيار اللاجئين الحر وأن لا يمس بحقهم في العودة إلى منازلهم حسب تفسيرهم للقرار ١٩٤.

واقترح الجانب الإسرائيلي بشكل غير رسمي (رغم انه لم يتم التوصل لاتفاق حولها) خطة استيعاب متعددة المسارات على مدى ١٥ عاماً، يتطرق المسار الأول للاستيعاب في إسرائيل، ولم يتم الاتفاق حول الأعداد ولكن الورقة غير الرسمية تطرقت إلى ٢٥ ألف نسمة خلال الثلاث سنوات الأولى من هذه الخطة، أما المسار الثاني يتطرق إلى استيعاب لاجئين فلسطينيين في المناطق التي ستسلمها إسرائيل للسيادة الفلسطينية في إطار مبادلة الأراضي، في حين تطرق المسار الثالث إلى استيعاب اللاجئين في إطار جمع شمل العائلات.

أما بخصوص التعويض فقد اتفق الطرفان على ضرورة إنشاء لجنة وصندوق دوليين، لمعالجة قضية اللاجئين بمظاهرها المختلفة، كما اتفقا على إعطاء اللاجئين تعويض بمبلغ صغير من خلال إجراءات مختصرة، كما رأى الطرفان أن مطالب التعويض عن فقدان الأملاك التي لا تزيد عن مبلغ معين ستبحث هي أيضاً في مجريات مختصرة، كما تم الاتفاق على دفع مبلغ شامل من قبل إسرائيل أو مبلغ يتم الاتفاق عليه ويسلم للصندوق الدولي.

وطلب الطرف الإسرائيلي حساب هذا المبلغ استناداً إلى مسح اقتصادي تفصيلي من أجل تقدير قيمة العقارات بشكل عادل، أما الطرف الفلسطيني فقد طلب حساب المبلغ على أساس معطيات لجنة التوفيق حول فلسطين التابعة للأمم المتحدة، وحارس أملاك الغائبين وغيرها من المعطيات الأخرى ذات العلاقة من خلال قيم عادلة ونزيهة.

أما فيما يتعلق بوكالة الغوث اتفق الطرفان على وقف عمل الوكالة بالتدريج وفقاً لجدول زمني متفق عليه لخمس سنوات، وأضاف الطرف الفلسطيني تعديلاً يتيح تمديد هذه الفترة لضمان بنود الاتفاق الأخرى المتعلقة باللاجئين وإلغاء مكانة اللاجئ للفلسطينيين بهذه الصفة.

وبخصوص تعويض اليهود طلب الطرف الإسرائيلي أن تقوم الدول العربية بالاعتراف بمسألة التعويض للاجئين اليهود السابقين، معترفاً بان هذه ليست مسؤولية فلسطينية أو مسالة ثنائية الا أن الجانب الفلسطيني قال أن هذه المسألة لا تتعلق بالاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي.

ويلاحظ هنا أن مفاوضات طابا على الرغم من جديتها إلا إنها لم تسفر عنها نتائج عملية، نظراً لعدم وجود قوة رادعة تضغط على الحكومة الإسرائيلية لتطبيق قرارات الشرعية الدولية، علاوة على الانحياز الأمريكي السافر للإسرائيليين وتبنيه لكافة الأفكار الإسرائيلية الذي دفع بالحكومة الإسرائيلية إلى المماطلة والمراوغة والتنصل من تنفيذ ما أقرته الشرعية الدولية وفي مقدمتها القرار ١٩٤.

وبعد أن فشلت المفاوضات السياسية ووصولها إلى طريق مسدود بعد رفض الرئيس ابو عمار في مفاوضات كامب ديفيد تقديم تنازلات وتمسكه بالثوابت الوطنية وحقوق الشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في العودة إلى دياره التي شرد منها عام ٤٨ طبقاً للقرار ١٩٤ وبالقدس عاصمة أبدية للدولة الفلسطينية وما ترتب على ذلك من تفاقم الأوضاع وبشكل خطير، وتكشف من خلالها وجه الحكومات الإسرائيلية التي لا تسعى إلى إقامة سلام عادل وشامل يستند إلى قرارات الشرعية الدولية، بل تريد فقط إقامة سلام منقوص يرتسم معالمه وفق برامجها وإملاءاتها التي تهضم حقوق شعبنا غير القابلة للتصرف ؛ لذلك لجأت حكومة باراك والتي تلتها فيما بعد حكومة شارون ومن ثم اولمرت من تصعيد هجمتها العسكرية في انتفاضة الأقصى على المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية ظناً منها في تنفيذ مشروعها الذي أسقطه أبو عمار في كامب ديفيد، حيث كان الهدف الأول لدى شارون هي المخيمات لما لهذه المخيمات من مدلول سياسي يحمل في طياته حجم المعاناة والكارثة والجريمة التي حلت بالشعب الفلسطيني، بالإضافة لكونها تحمل عنان المقاومة والصمود.

فتعرضت المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة لعمليات اقتحام وقصف شرسة ومدمرة لإلحاق الدمار والتخريب فيها وترحيل اللاجئين منها، كما حدث في مخيم عسكر وبلاطة التي تعرضت لتدمير جزئي، أو تدميرها بشكل شبه كامل كما حدث في مخيم جنين، وذلك بهدف كسر إرادة اللاجئين الفلسطينيين، وتضييق الخناق عليهم لدفعهم إلى تركها والرحيل عنها، وعلى الرغم من ذلك إلا أن اللاجئين الفلسطينيين أثبتوا مدى عزمهم في التمسك بحق العودة مهما لحق بهم من الأذى والضرر، وإنهم لقادرين على إفشال المخططات الإسرائيلية الهادفة إلى تصفيتهم ومحو قضيتهم وإلغاء وجودهم على هذه الأرض المقدسة.

د. زكريا الآغا هو عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس دائرة شؤون اللاجئين في المنظمة. د. الآغا هو أيضا عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

حق العـودة: بيـن يهوديـة الدولـة و صهينـة المكان

بقلم: النائب محمد بركة

هنالك من يتعاطى مع حق العودة باستحياء وبشيء من الحرج وكأنه يتخبط في حقل ألغام. وهناك من يتطوع حتى بدون تفاوض رسمي فلسطيني إسرائيلي، لوضع حلول " اجتهادية" لموضوع اللاجئين و يخفض- من حيث قصد إن لم يقصد - سقف أي تفاوض مستقبلي حول حق العودة.

لا شك أن حق العودة يشكل الملف الأكثر استعصاءً في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ولكن التطوع المبتذل والنطنطة الزائدة المذكورين لا يجعلا هذا الملف أقل صعوبة بالنسبة للاجئين أنفسهم من ناحية، ولا يجعل التداول في حق العودة أكثر قبولا عند الاسرائيلين من ناحية أخرى.

لا شك أيضا في السياقات الدولية والإقليمية أن مساحة إمكانية التقدم في موضوع العودة في موضوع الدولة والاستقلال أكبر من مساحة امكانية التقدم في موضوع العودة. وهذا بذاته يتطلب التقدم بموضوع الدولة، ولكن قطعاً ليس بثمن إغلاق ملف العودة. إن حق العودة يتعرض لمحاولة اغتيال وشطب من أجندة الصراع.

أكثر من ذلك، فإن هناك برامج تفصيلية قيد التنفيذ وضعتها حكومة إسرائيل بالتوافق مع الإدارة الأمريكية مدعومتين بتسليم عربي مريب، وأهم هذه البرامج صياغة وفرض مرجعيات جديدة ومنقوصة من خلال القفز عن مرجعيات حل الصراع الفلسطيني على أسس الشرعية الدولية ممثله بقرارات الأمم المتحدة وعلى أسس الاتفاقات الموقعة بين الجانبين وأهمها التفاوض على مواضيع الحل الدائم بما في ذلك حل قضية اللاجئين.

و تنعكس هذه المرجعيات المنقوصة والخطيرة بشكل أساسي في الضمانات الأمريكية لإسرائيل وأنما جاءت في رسالة بوش لشارون في الرابع عشر من نيسان من العام ٢٠٠٤، حيث جرى عملياً شطب كل مواضيع التفاوض على الحل الدائم. فقضية اللاجئين حسب كتاب الضمانات يجب حلها بالتوطين أو في المساحة المتاحة التي ستقوم عليها الدولة الفلسطينية وفق البرنامج الأمريكي الإسرائيلي من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧.

وجاءت خطة الفصل التي أطلقها ونفذها شارون وخطة التجميع التي أطلقها أولمرت وتزامن ذلك مع بناء الجدار العنصري في الضفة الغربية لتشكيل مرحليات جديدة وخطيرة للتداول حولها إقليميا ودولياً. بمعنى أن المشروع الأمريكي الإسرائيلي أخذ قشرة أقامة الدولة الفلسطينية وألقى بالعودة كقشرة يابسة في سلة مهملاتهم.

إن حكومة إسرائيل تروج في العالم أحد أكثر الأطروحات عنصرية في العصر الحديث وهو المحافظة على يهودية إسرائيل لدحض وشطب حق العودة لأهل البلد الأصليين. وتعني يهودية الدولة شرعنه دولة المهاجرين والطعن في شرعية مواطنة السكان الأصلين "والمطلوب" أن نتعاطى مع هذا الموضوع كمبرر للتلوي والحرج في التعاطي مع حق العودة. فهل يعقل أن يفرض علينا أن نرى في ولادة كل طفل فلسطيني مشكلة.. لا.. إن ولادته تمثل مستقبلنا.. وهل يعقل أن نرى في عودة أي لاجئ فلسطيني إلى وطنة تهديداً.. لا.. إن عودته تمثل حقنا.

قبل أيام احتفلت إسرائيل باستقلالها وفق التقويم العبري.. من جهتنا نحن الفلسطينيون أخذنا في ذلك اليوم أن نعلنها مرة أخرى بعد أن أعلناها في العام ٢٠٠٠ "يوم استقلالكم هو يوم نكبتنا" وقمنا بزيارة قرانا المهجرة.

والعودة هي مشروعان مختلفان ولكن متناغمان: عودة اللاجئين في وطنهم وعودة اللاجئين الذين قذفوا خارج وطنهم. عودة اللاجئين في وطنهم تحمل - حق تحقيقها- معانٍ ومهمات أخرى: من المحافظة على مسميات المكان في وجه تهجير اللغة ومصادرة المعاني إلى ترميم مقابر هذا الشاهد -الأكثر حياةً- على هوية المكان.

فالسلطات الإسرائيلية لم تهجّر الإنسان وتصادر الأرض فحسب، وإنما تدأب على انتحال هوية المكان: صفورية أصبحت تسيبوري ولوبيا أصبحت لابي والبصة أصبحت بيصت وقس على ذلك. ووصل الأمر في السنوات الأخيرة أن تكتب أسماء المدن بالعربية وبالتهجأة العبرية على لافتات الشوارع: فصفد أصبحت تصفاد وعكا أصبحت عكو والخضيرة أصبحت حديرا وبئر السبع أصبحت بيرشيفع ويافا أصبحت يافو وغيرها.

لذلك، فإن مشروع العودة يتضمن بالضرورة التحيز لمسميات المكان التي هي أصله وهويته في وجه التغريب. فلو أن الصراع مع الصهيونية اختصر على يهودية الدولة أو التوازن الديمغرافي لما كانت أي مشكلة في عودة المهجرين في الداخل أو اللاجئين في وطنهم الى قراهم وبيتهم، فهذا لن يقود الى أي إخلال في التوازن الديمغرافي.. ولكن القضية الصهيوينة ليست الهوية اليهودية للإنسان، إنما الهوية الصهيونية للمكان.

الآن هناك تيار قوي في السياسة الإسرائيلية وفي المجتمع الإسرائيلي يسعى إلى تجاوز الحرج بين يهودية الإنسان ويهودية المكان بإطلاق دعوات فاشية وعنصرية لتهجير الفلسطينيين الذين بقوا في وطنهم في المساحة التي قامت عليها إسرائيل. هذا التيار تمثّله عدة أحزاب حصلت مجتمعة في الانتخابات الأخيرة للكنيست الإسرائيلي على أصوات تشكّل ثلث الكنيست.

لقد أصبح حزب الفاشي ليبرمان، الحزب الرابع في إسرائيل بعد كديما والعمل والليكود، وهو يسعى بعد الانتخابات كما قبلها إلى فرض أجندته على السياسة الإسرائيلية، هذه الأجندة تتألف من نقطة واحدة هي تهجير الفلسطينيين من إسرائيل، تارةً بالترانسفير وتارةً بالتبادل السكاني وتارةً ثالثة بالتحريض العنصري. وليبرمان يعلم أن هذه الشعارات التي تدغدغ القاسم المشترك الصهيوني الأدنى والأكثر تخلفاً، وستجلب له رواجاً سياسياً يوصله إلى زعامة اليمين الإسرائيلي الذي ينحدر في السنوات الأخيرة إلى تبنّي الخطاب العرقي الفاشي التقليدي الذي كان اليهود ضحيته في القرن المنصرم.

وإذا نظرنا إلى الاستطلاع الذي قام به المعهد الإسرائيلي للديمقراطية في الأيام الأخيرة، نجد أن ٦٢ ٪ من اليهود في إسرائيل يؤيدون تشجيع العرب على الهجرة، فإننا سنكتشف أن طريق ليبرمان ليست طويلة على زعامة اليمين وربما إلى زعامة إسرائيل. ولذلك فإن قضية العودة تحمل أيضاً التصدّي لهذه التداعيات العكسية التي تسعى إلى تعميق حالة اللجوء والتهجير ضد الإنسان الفلسطيني.

وبذلك، فقد دعونا إلى أن لا تكون المعركة ضد الفاشية في إسرائيل هي معركة العربي الفلسطيني فيها، إنما أن تكون معركة تلك الأجزاء في المجتمع الإسرائيلي التي وإن اختلفنا معها في الكثير من القضايا، إلا أنها متحيّزة بهذا القدر أو ذاك إلى قضية الديمقراطية، وبمدى نجاحنا في استقطاب مثل هذه القوى بمدى ما نمنع استفراد العنصريين والفاشيين بأبناء شعبنا في إسرائيل. لكن إلى جانب ذلك، فإن التصدّي للتغريب.. وللعدمية القومية التي تحاول بثّها وترويجها الأوساط الحاكمة في إسرائيل..هي مهمّة أساسية.

ونحن لسنا بحاجة لاستكتاب روايتنا، لأننا نحن الرواية، ولسنا بحاجة لابتكار مبررات وجودنا وكياننا في وطننا، بل علينا أن نعمم ونعلّم ونتمسّك بحقيقة التناغم بيننا وبين المكان وبين مسمياته وتاريخه. في المنازلة الحضارية بيننا وبين المقولة الصهيونية الأساسية، لسنا الطرف الأضعف.. وهذا هو ذخرنا.

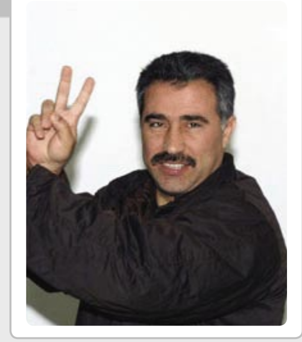
النائب محمد بركة هو رئيس مجلس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، ورئيس كتلة الجبهة البرلمانية في الكنيست.

النائب محمد بركة في زيارة لقريته المهجرة صفورية، أيار ٢٠٠٦ (الإتحاد)

من النكبـة الـى الدولـة الواحـدة

بقلم: حسـام خضـر
سجن بئر السبع / قسم إيشيل





لعل ما يميز الذكرى السنوية الثامنة والخمسين للنكبة هي جملة المعطيات والتحولات الكبرى التي أفرزها الواقع لدى الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي على حد السواء. فلسطينيا حدثت انتخابات تشريعية هي الثانية من نوعها، بعد تلك التي أجريت في العام ١٩٩٦. هذه الانتخابات الثانية أدت الى تحول غير متوقع في النظام السياسي برمته، ففوز حماس شكل ضربة موجعة لكل دعاة التسوية عبر إمكانية إقامة دولتين لشعبين، وأعطت شرعية لخيار المقاومة، وشكلت ضربة لكل من أساء استخدام السلطة طوال العشر سنوات الماضية. ولكنها في ذات الوقت، وضعت حركة حماس أمام جملة من الأسئلة المحرجة التي لم تجب عليها لغاية اللحظة بل تحاول الالتفاف عليها كلما طرحت، وأهمها كيفية إدارة المقاومة والسلطة في آن، وما هو مشروعها المرحلي، وموقفها الواضح والصريح من الاتفاقيات الموقعة مع إسرائيل، وهل هي حقا قادرة على الالتزام بكافة متطلبات السلطة في الوقت الذي يشتد الحصار عليها يوما بعد يوم.

على الجانب الأسرائيلي هناك انقلاب آخر لا يقل أهمية عن الانقلاب الحاصل في الساحة الفلسطينية. ويتلخص هذا التحول الكبير في ظهور الوسط الجديد (كاديما) كمجموعة سياسية جديدة، وكحزب (قومي) ليس مؤقت أو طارئ بل من المؤكد انه جاء استجابة واقعية للأسئلة التي بدأت تثار لدى الاسرائيليين طوال العشر سنوات الأخيرة. وبالتأكيد جاء هذا الوسط الجديد / كاديما لتحقيق حل على الأرض للصراع دون دفع الثمن السياسي المطلوب، ويحرك هذا الوسط الجديد جملة من التخوفات من الخطر الديمغرافي ومن احتمال قيام دولة واحدة على أرض فلسطين التاريخية (ديمقراطية/ ثنائية القومية). من هنا كانت الرؤيا للفصل كحل ضد تطور الأمور باتجاه الدولة الواحدة، وحشر الفلسطينيين على أصغر بقعة من الأرض وضم ونهب أكبر مساحة (مستوطنات، غور الأردن، القدس ومحيطها، الآبار) لتصبح خارج الجدار العنصري/ ليسهل ضمها لإسرائيل عندما يحين وقت ترسيم الحدود على الطريقة الشارونية / الأولمرتية، وهنا ستسهل اسرائيل قيام دولة فلسطينية محدودة السيادة، مجزأة، محدودة الصلاحيات، مستباحة أمنيا، وستصبح مهمة سلطة هذه الدولة فقط القيام بالأمور الداخلية من خدمات وصحة ومجاري وشؤون اجتماعية.

موت حل الدولتين

أمام هذه الاجراءات الاسرائيلية من جدار عنصري وضم ونهب للأراضي وعزل للسكان وإقامة المعازل والكنتونات - البانتوستانات على الطريقة الجنوب أفريقية في مرحلة الأبارتهايد، لا أفق أمام حل الدولتين كخيار لحل الصراع على أرض فلسطين التاريخية، بل ان الاجراءات الاسرائيلية تؤكد نظريتنا التي لطالما تبنيناها من كون النكبة كحدث تاريخي لا زال مستمرا. ولعل الخطير حاليا هو أن الجدار العنصري اليوم في احدى نتائجه وتمظهراته خلق حالة لجوء جديدة، لكن هذا اللجوء لا زال مسكوتا عنه. فنحن نتحدث اليوم عن فصل مجموعة ضخمة من البشر عن مصادر رزقهم - الأرض، وبدأنا نتتحدث عن مفاهيم كفلاح بلا فلاحة، ومواطن بلا أرض، ولا أحد يدرك ما ستفرزه هذه النكبة الجديدة- المستمرة من نتائج كارثية وآلام وأحقاد لن تخمد.

على الفلسطيني أن يدرك ولو متأخرا بأن فكرة حل الدولتين لشعبين قد ماتت. ودق المسمار الأخير في نعش هذا الحل على يد بوش بوعده الجديد الذي أعلن فيه أن خطوط وقف إطلاق النار في العام ١٩٤٨ أصبحت لاغية. إن هذا الوعد الجديد هو من أعطى الدافعية الكبرى لشارون لكي يخطو خطوات كبيرة نحو الانسحاب من جانب واحد، وترسيم الحدود، والابتعاد عن فكرة الشريك التفاوضي، بل بناء جدار يحمي الاجراءات أحادية الجانب وبغطاء أمريكي.

الأفق وحل الدولة الواحدة

كأي دراما تاريخية، نسترجع بنوع من الحزن فكرة قديمة ناضلنا من أجلها سنوات ولكننا نسيناها (حل الدولة الواحدة)، ونعود اليها اليوم لننفض الغبار عنها، ونعيدها الى الصدارة كحل هو الأكثر واقعية أمام استحالة تطبيق حل الدولتين. وكلاجئ فلسطيني لطالما فكرت واعتقدت أن حل الدولتين سيتم افشاله اسرائيليا، وأننا سنعود الى نقطة البدايات، دولة واحدة سواء كانت ديمقراطية - علمانية أم ثنائية القومية، وهذا الحل بكل تأكيد ينسجم مع كون فلسطين كمكان وموقع وجغرافيا واقتصاد وتاريخ غير قابل للقسمة على اثنين، ولعل فشل أوسلو كحل في تحقيق دولة فلسطينية قادرة على الحياة والاستمرار سيؤدي حتما الى المحاولة في البحث من قبل جموع الفلسطينيين لايجاد حل يوحد طاقة كل الفلسطينيين وامكانياتهم وبكل تأكيد لن يخرج هذا الجهد عن فكرة الدولة الواحدة، وهذا الحل سيعني حتما ممارسة كل الفلسطينيين لحقهم في تقرير المصير سواء كان في أراضي ٤٨ أو الضفة وغزة أو الشتات، وأيضا هذا الحل سيضع حدا لتشتت الشعب الفلسطيني وسيعود الفلسطينيون ليطورا هويتهم الجماعية بعد كل ما عانوه من بعد وشتات ومحاولات يائسة للتذويب والتجنيس، وسيشكل حل الدولة الواحدة الخطوة الأكثر أهمية لافشال البانتوستانات الصهيونية.

حركة العودة والدولة الواحدة

هذا الحل سيعزز من صمود حركة العودة وسيمثل مدخلا واقعيا لحل قضية اللاجئين على أساس الحقوق وبدون أي مقايضات سياسية او تنازلات، وأننا كلاجئين وكفلسطينيين بشكل عام أمام هذا التحدي التاريخي الكبير مطالبين بالتفكير الجدي والبحث عن رؤية موحدة تستند لهذا الخيار الذي أصبح ممكنا وواقعيا أمام انهيار حل الدولتين. وبكل تأكيد هذا الحل لا زال بحاجة الى العمل عليه من الناحية المفاهيمية، والأكاديمية، لأنه ما كتب حول هذا الموضوع يظل شحيحا، ومطلوب من حركة العودة وناشطيها ومفكريها صياغة رؤى حول كيفية ممارسة اللاجئ لحقه من خلال هذا الحل، وعلى حركة العودة أن تترجل وتعلن عن تبنيها لهذا الخيار، خصوصا وان حركة العودة قد تأخرت في طرح رؤيتها للحل السياسي للصراع، وبكل جدية آن الأوان لحركة العودة أن تنخرط بشكل فعلي في عملية الفعل السياسي وعدم الاكتفاء بالهوامش الذي كانت تضع نفسها فيه.

حسام خضر: هو عضو سابق في المجلس التشريعي. وهو رئيس لجنة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين، اعتقل على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي من منزله في مخيم بلاطة نابلس بتاريخ ١٧ أذار ٢٠٠٣ ولا يزال رهن الأسر لغاية اليوم.

لن ننسى...

بيار عدس، قضاء يافا، ٣٤٨ نسمة، هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

أبو زريق، قضاء حيفا، ٦٣٨ نسمة، هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

الكفرين، قضاء حيفا، ١،٠٦٧ نسمة، هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

تبصــر (خربة عزّون)، قضاء حيفا، ١،٣٩٢ نسمة، هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

النغنغيّــة، قضاء حيفا، ١،٣١١ نسمة، هجرت في ١٢ نيسان ١٩٤٨.

خربة زلفة، قضاء طولكرم، ٢٤٤ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

المنشيّة، قضاء طولكرم، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

الدلهمية، قضاء طبريا، ٤٧٦ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

نطاف، قضاء القدس، ٤٦ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

خربة السركس، قضاء حيفا، ٧٥١ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

عرب الغوارين (بما فيها جدرو)، قضاء حيفا، ٧١٩ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

هوشة، قضاء حيفا، ٤٦٤ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

الطيرة، قضاء بيسان، ١٧٤ نسمة، هجرت في ١٥ نيسان ١٩٤٨.

ساريس، قضاء القدس، ٦٥٠ نسمة، هجرت في ١٦ نيسان ١٩٤٨.

وعرة السريسن، قضاء حيفا، ٢٢٩ نسمة، هجرت في ١٦ نيسان ١٩٤٨.

خربة الكساير، قضاء حيفا، هجرت في ١٦ نيسان ١٩٤٨.

وادي حنين، قضاء الرملة، ١،٨٧٩ نسمة، هجرت ١٧ نيسان ١٩٤٨.

خربة الوعرة السوداء (عرب المواس)، قضاء طبريا، ٢،١٦٩ نسمة، هجرت في ١٨ نيسان ١٩٤٨.

طبريا (عرب)، قضاء طبريا، ٦،١٦٠ نسمة، هجرت في ١٨ نيسان ١٩٤٨.

عرب الصبيح، قضاء الناصرة، هجرت في ١٩ نيسان ١٩٤٨.

مسكة، قضاء طولكرم، ١،٠٢١ نسمة، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

بركة رمضان (وقف الشيخ رحمن)، قضاء طولكرم، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

عرب الزبيد، قضاء صفد، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

العلمانية، قضاء صفد، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

المنصورة، قضاء الرملة، ١٠٤ نسمة، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

الخيزين، قضاء الرملة، ٢٣٢ نسمة، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

صرفند الخراب، قضاء الرملة، ١،٢٠٦ نسمة، هجرت في ٢٠ نيسان ١٩٤٨.

غوير أبو شوشة، قضاء طبريا، ١،٤٣٨ نسمة، هجرت في ٢١ نيسان ١٩٤٨.

السمرا، قضاء صفد، ٣٣٦ نسمة، هجرت في ٢١ نيسان ١٩٤٨.

الحسينية، قضاء صفد، ٣٩٤ نسمة، هجرت في ٢١ نيسان ١٩٤٨.

حيفا (عرب)، قضاء حيفا، ٧٢،٨٤٨ نسمة، هجرت في ٢١ نيسان ١٩٤٨.

فلسطين: الذاكرة التي تحرس الحلم

بقلم: د. وليد سيف

ثمانية وخمسون عاماً كافية لاختبار الذاكرة...وهي لا تميل الى الماضي بقدر ما ترصد حركة الحاضر وتحرس الهوية وتصوغ الحلم وتضمن المستقبل...الذاكرة الفلسطينية هي الفضاء الذي يلتقي فيه الأشتات، وتلتئم الأشلاء وتجتمع الأجيال، ويعود فيه الشهداء لعناق أحبابهم.

لم يكن رهان الغاصب على قوة الدبابة في المقام الأول، فهذه رهينة النظر في المتغير. وإنما كان الرهان الإستراتيجي على قمع الذاكرة وإطفاء الحلم وتذويب الهوية وتقويض الروح...فهذه هي الأصول التي، ما دامت حية ضاربة في الأرض، فلا بد أن تطرح ثمرها في آخر المطاف، وإن تأخر الموسم.

بعد ثمانية وخمسين عاماً، ما تزال الذاكرة الفلسطينية عامرة بالسنديان العتيق والسلاسل الحجرية والأغاني الرعوية المنبثقة من عمق الزمان وأغوار الروح، وأجنحة السنونو وأغصان الزيتون ومواسم البرتقال والمحاريث القديمة، وجباه الصخر، ودخان القرى، ورائحة التراب عقب المطر الأول، والقمر الذي يدرج كل ليلة على بيادر الحصاد ويسترق النظر من النوافذ، وضحكات النصراويات اللواتي ينزلن الى مرج ابن عامر ليقطفن الثمر والقلوب والنجوم.

بل أذهب الى القول: إن الفلسطيني لم يتشبث بذاكرته تشبثه بروحه حسب، بل ارتفع بأشياء الى مستوى الرموز، وأضفى عليها لوناً من القداسة الحائمة بين الأرض والسماء، حتى خشيتا أن يتاخم حدود النرجسية الوطنية وتضخم الأنا الجمعية! وهو الذي افترض الآخرون ان النكبة والتشريد والجوع والشقاء واللجوء تلزمه الخضوع والتصاغر، والمشي بماحذاة الحائط والاكتفاء بطلب الستر...وربما بعض العطف والإشفاق! وإنها لتبدو فارقة لأول وهلة: أن يتعاظم المنكوب بنكبته، ويتيه المشرد بهويته، ويستعلي بحائط كرامته، على ما أصابه من المحن والمآسي والنكبات...حتى حارت مشاعر الناس فيه...فثمة من تستفزه الصورة ويراها ضرب من "التمرد" على نقيض ما يُتوقع من تخاجل المنفي الطريد الشريد...و ثمة من يتطلع إليها تطلّعه الى أُنموذج السبق والتفوق والحيوية والصمود في وجه المحن، و...نعم ،ثمة أخيرا من يوشك أن يحسد الفلسطيني على دمه النازف وجنازات شهدائه، بقدر ما تفضح هذه نقائضها في زمن الخنوع والتخاذل!

مفارقات...نعم! ولكنها ما تلبث أن تنقشع حين يستبطنها الوعي. لم تنخذل روح الفلسطيني المخلوع من بطنه، لأنه حمله في وعيه ووجدانه وذاكرته وحلمه، ولم يسأم يوماً أنه الفردوس المفقود الى الأبد. لاجئ في المنافي ولكن "الأرض لاجئة في جراحه" كما قال محمود درويش ذات شهادة:

في ضواحي الطفولة البعيدة، حين تفتّح وعينا الأول بعيد النكبة، كان أول ما نخطه بالطبشور على السبورة والحائط والإسفلت: فلسطين.

وحين يطلب منا في درس الإنشاء أن نكتب في موضوع حرّ نختاره، فالخيار فلسطين وحلم التحرير والعودة. فقد استقر في وجداننا أن قضيتنا هي شرط وجودنا. وفي غمرة ذلك كلّه، كدنا ننسى أن الضفة الغربية التي نعيش بها جزء من فلسطين. حتى كان اسم فلسطين مختص بالشطر السليب منها ذلك الحين. فكيف يمكن للوعي أن يقلب عاداته، حتى يطلب منه تحت وطأة الاحتلال الثاني وتداعياته أن يختص الشطر المحتل عام ١٩٦٧ باسم فلسطين، وينسب اليه وحده صفة "المحتل" دون سائر الوطن! هنا يكمن التحدي الجديد...

كان مرجعنا شرعة الحق والعدل وشرعية الثورة والمقاومة حتى التحرير الشامل. ثم غلبت عليهما شرعة الامبراطورية الغاشمة التي تتقنع باسم الشرعية الدولية. وليدر الجدال بعد ذلك بين "واقعية" أكثر ما يعيبها أنها صناعة القوة المتغلبة، وأن الذي يملك القدرة على تعريفها هو الإمبراطورية التي احتكرت لنفسها تقدير الأقدار وتمصير الأمصار. ومع ذلك فهي تتركها بلا تعريف واضح نحتكم اليه...فليدر الجدال بين هذه " الواقعية" وشرعية الحق الذي يمتلك أصحابه المعاني والدماء المستعدة للاشتعال، ودون الدبابة والمدفع... وليدر الجدال بين الظرفي المرحلي المحكوم بعلاقات الفترة السائدة، والاستراتيجي التاريخي المحكوم بتغير الشروط والظروف في مستقبل مفتوح لا نرى الآن ضفافه. وليدر الجدال بين من يرى السياسة فن الممكن، ومنهم من يراها، فضلا عن ذلك فن العمل لخلق شروط الإمكان!

ليدر الجدال بين طهورية الحق وأرحال الواقع... بين اكتمال الوطن ونقصان الدولة...فليدر كل هذا الجدل، فإنه إذا انتظم في فضاء الإخلاص، وانضبط في حيّز الجماعة الوطنية، واحتكم الى الشعب، يمكن أن يكون تدافعاً وطنياً فذاً بين طرفين متشاطرين لا متفاصلين...ولكن دعونا نجتمع على كلمة سواء... وهي أن الدولة التي يمكن أن تولد بين فرث ودم ليست اسماً مرادفاً لمعنى الوطن، ولا هي حدود مقاسه. فالوطن الفلسطيني لا يقبل القسمة، والواقع المتعيّن الذي تنتجه معادلات القوة ليس مرادفاً لمعنى الحق...الوطن هو الحق، والدولة المحتملة في هذا الظرف، هي الواقع. وهو لا يغني عن الحق. والحق يُعَرّف نقيضه: الباطل، مثلما تعرف الضحية جلادها. فإذا حالت القوة الطاغية، على فتر ه من الزمان، دون تطابق الحق مع الواقع، فإن الأول يبقى ماثلاً في الضمير والوجدان والذاكرة والحلم واللغة، وينتصب جداراً منيعاً ضد اقتحام الروح التي لن تكف عن حلم الانبعاث من جديد في جسمها القديم!

ولذا، فإن التفاوت القسري بين منجز الواقع الظرفي، ومطلب الحق التاريخي، لا يلزمنا أن ننسى، ولا أن نسامح ! كما لا يلزمنا أن نفتح فضاء الروح والوجدان والضمير لجلادنا أبدا...ولا أن نعيد تعريفة أو تبريء ذمته الأخلاقية بأثر رجعي أو نسميه بغير أسمائه المنكرة. فهذا هو خط الدفاع الأخير، ومجال المقاومة المستمرة إذا سكتت البنادق.!

إنه صراع المعاني والرموز والروايات المتعارضة... وهو ما نملك القدرة على الفوز فيه...فالوطن الذي يملؤه عدونا، لا يملأ غيرنا! وكتاب الوطن الذي يستعصِ على الترجمة، لا يستطيع قراءته وفهم مفرداته غير الذين كتبوه بقدر ما كتبهم..

فقط انظروا الفرق بين مخيالنا ومخيالهم... مخيالنا يستمد مكوناته من رموز الوطن وتجليات الأرض وبدمها الخالد..أما المخيال الإسرائيلي فيستمد من مفارقات وجوده وفضائه الاجتماعي المدني المجلوب والمستعار والمستحدث...من مدينة بعيده قتلته فيها ثم أحيته عندنا لتقتلنا به. فهو يدينها بقدر ما يدين لها...لم يفارقها ساخطاً لاعناً إلا ليعيد انتباهها في أرضنا، والسوط الذي جلده به هو السوط الذي أعارته إياه ليجلدنا به، يحملها آثار جراحه، ثم يتباهى بأنه امتداد لها ولقيمها الحضارية في محيط مغاير. وكما يستمد من الدولة البعيدة التي خرج منها، يستمد من دولته الجديدة ونطاقها المدني وملابسات نظامها وحيرتها الأخلاقية وغربتها عن الأرض التي رفعت عليها...ولكنه أبدا لا يستمد من كتاب الأرض...وهو، وإن كان قادراً على صنع الدبابة، عاجز عن صنع موال بلدي واحد يختزل ذاكرة الأرض وأسرارها.

وبين المدينة البعيدة التي هيأت له أسباب الخروج منها والدخول في لحمنا، والمدينة الجديدة التي حاصر نفسه فيها وراء جذر يشده، لا يجد ما يحدق به وجوده إلا كتاب الأساطير القديمة وهيهات!

في مخيالنا تنتج الأرض أساطيرها...وفي مخيالهم تحاول الأسطورة عبثاً أن تنتج الأرض... فأي فرق!

وأي شهادة أحسن من شهادة الجلاد في ضحيته ! ففي لحظة بوح نادرة، اعترف الجنرال الغارق في متاهة دمائنا، أنه يحسد الفلسطيني على حضور الأرض الطاغي في أدبه وشعره

نعم...إننا ننتصر في معركة المعاني والرموز.. في معركة الذاكرة والحلم. ولذلك لن ننسى... ولن نسامح...وليس في وسع أي تسوية سياسية منقوصة أن تلزمنا ذلك.

وهنا، عود إلى بدء..

فمعركة المعاني تحيل من جديد إلى الفضاء العربي الذي تنتظم فيه قضيتنا الفلسطينية...كان شعارنا بعد النكسة أن المقاومة الفلسطينية هي رأس الحربة العربية التي لا تكتمل ألا بعمقها العربي. وإذا كان المشروع الصهيوني ينتظم في المشروع الاستعماري للهيمنة على الأمة العربية وتقويض مشروع نهوضها، فإن ذلك يفرض بالضرورة شكل النقيض ومداه: أن يتشارط هدف التحرير الفلسطيني وهدف النهوض العربي. صحيح أننا إخفقنا في ترجمة هذه العلاقة الشرطية من الطرفين، وأن هذا الإخفاق قد أسهم فيما أقضينا عليه من المفارقة بين الحق والواقع. ولكن ذلك لا ينبغي له أن يسقط المبادئ ولا أن يصادر المستقبل. فالصراع من أجل النهوض العربي يبقى قائماً، ونحن جزء منه. وهو يضمر بقاء الحلم الفلسطيني غير المنقوص. والشرط في ذلك أن نبقي على صمودنا في معركة المعاني، فلا نطابق بين مفهوم الدولة ومعنى الوطن في الظرف القائم، ولا بين مفهوم الواقع ومفهوم الحق...وعليه، لا ننسى ولا نسامح، ولا نبتذل الأسماء والصفات ولا نغير رواية النكبة والظلم التاريخي الذي وقع علينا...أبداً! وإذا كانت الشروط الظرفية لم تؤدي بالأمة العربية الى عبور رأس الجسر الفلسطيني صوب البحر الفلسطيني، فإن شطراً من مقاومتنا القادمة هي أن نمنع عدونا من اتخاذنا رأس جسر له نحو العمق الشعبي العربي، في ظل أي تسوية سياسية محتملة. فنحن سدنة الذاكرة، ينسى الآخرون بنسياننا ويذكرون بذاكرتنا...ويعرفون العدو بتعريفاتنا.

بخلاف الهويات القطرية العربية الاخرى، لم تنشأ هويتنا الوطنية نقيضاُ للهوية العربية أو بديلاً عنها، وإنما نشأت وتعززت على خلفية الصراع مع النقيض الصهيوني. وهم يسعون الان الى تجريدها من هذه الخلفية ومن هذا السياق، في إطار مشروعهم الذي يرمي الى إعادة تعريف المنطقة، من وطن عربي يتعرف بهويته القومية الحضارية ولا يستطيع المشروع الصهيوني أن ينتظم فيه، الى شرق أوسطي جديد تتشارك فيه دول تنطق بالعربية وأخرى بغيرها، وتندمج فيه "إسرائيل" من موقع مركزي مهيمن لتؤدي وظائفها الاستراتيجية وكيلاً عن المركز

الإمبراطوري. بل يذهب المشروع الى أبعد من ذلك، وهو إعادة تشكيل الدولة العربية القطرية نفسها، أو تفكيك بنيتها الاجتماعية السياسية، لتصير ائتلافا هشاً لمنظومة من العُصب العرقية والطائفية والقبلية. كأن التجزئة القطرية نفسها لم تكن كافية لتعويض المشروع القومي النهضوي. فالدولة القطرية القائمة، على ما فيها، ما زالت تنتسب إلى الهوية العربية، وما زالت تستخدم مفردات النظام العربي الإقليمي مهما تكن دلالاته العملية. أما إذا صارت -كما يراد لها الآن- منظومة من العصب العرقية والطائفية والقبلية، فإنة لا يصح لها أن تعرف نفسها بصبغة العروبة، حتى وهي تقدّم هويتها القطرية على الهوية القومية!

ولو أتيح لهذا المشروع الإستعماري الجديد أن يتحقق، فإنه يعني خلق شروط بنيوية جديدة لدفن مشروع النهوض العربي وتأبيد حالة التبعية، وهذا الحلم بدوره يضمر والحلم الفلسطيني الممتد على مساحة الوطن، والمساواة بين مفهوم الحق ومفهوم الحل السياسي، وإعادة كتابة الرواية الفلسطينية ليسقط منها الماضي...والماضي في حالتنا الفريدة، هو حارس الحلم والمستقبل.

ألم نقل: هي معركة المعاني والتعريفات التي تتنازع على تشكيل المشهد المتعين؟

وإذاً، فنحن أحوج من أي وقت مضى الى تأكيد العمق العربي لهديتنا ووطننا وقضيتنا، وإلى أعادة الاعتبار لجدلية النهوض العربي والنضال الفلسطيني، وأن أي إنجاز حقيقي في أحد المجالين المتشاطرين يضمر إنجازاً في الآخر. وهذا في الأصل هو قضاء الصراع الذي يرسم حدوده العدو نفسه.

ولو كنت "اسرائيلياً" وتقمصت روح الفلسطيني ساعة من الزمن، لمُتُّ بعد ذلك رعباً، ولآثرت الرحيل من أرض لا ترتحل من ذاكرة أبنائها.

أطفال في مخيمات المنفى لم يَروا فلسطين، ولم يشمّوا ريحها، تسألهم أن يدلوك على بيت أحد سكان المخيم، فيسألونك من أين هو؟ فتحتار لأول وهلة...كيف يسألونك عن مكانه وأنت السائل؟ لتدرك بعد لحظات أنهم يعنون بلد الأصل في فلسطين. فهم يعرفون الناس بأصول الوطن التي حملوها معهم. تستوي في ذلك الأجيال المختلفة، فاللاجئ الذي ولد في المنفى لأب ولد مثله فيه، لم يغير عنوان داره ودار أبائه الأولى، حتى وإن أزيلت من الوجود. وهو الآن أكثر امتلاءً بهويته من جده الذي أخرج منها. فمنذ خروجه حتى هذه اللحظة تنامت رمزيات الوطن، وانتقلت من خلفية الوعي الى مقدمته، ومن المسلم به الى سؤال الوجود.

كيف يحدث هذا ؟ كيف استطاع المخيم أن يحتفظ بإسمه، بعد أن حلّ الاسمنت محل الخيام القديمة، وعلى الرغم من الوصمة التي الحقت ظلماً بالمخيم وأبنائه؟ انها مقاومة الوعي لتغيير الصفة . فما دام المخيم مخيماً فهو عابر مؤقت في زمن عابر. وحيز المخيم الضيق، كانت الأجيال تتوالى وتتكاثر دون أن يتوسع المكان. فكان لا بد أن تتزاحم الأجيال في الحيز المكاني المحدود نفسه. وهذا التزاحم الخانق على ما فيه من الشقاء، كان باطنه الرحمة، فقد شكل الظرف البنيوي الذي تسيّر عملية التراسل الحميمي المباشر واليومي بين ذاكرة الأجداد ووعي الاحفاد. وهذا ما فسر لي أمراً بدا محيراً لأول وهلة. "فالتغريبة الفلسطينية" صورت شطرا مما ذاكرة الماضي الذي لم يشهده أولئك الفتيان والفتيات في مخيمات المنافي. فلِم، كانت استجابتهم لها بقدر استجابة الجيل الذي اختبر تلك الظروف، أو أعظم؟

لا نخلد إذن ولا ندّعي ولا نكابر ولا نغرق في التعليلات حين نقول، لقد خسر العدو رهانه على تغيب الذاكرة، مع غياب الأجيال الأولى من اللاجئين. فمن يملك أن يسقط حقهم في العودة في أي تسوية سياسية محتملة، ومهما كان مدى المفارقة المفروضة بين قيمة السلام وقيمة العدل، بين معنى الواقع ومعنى الحق، بين حدود الدولة وحدود الوطن؟!

واذا كان العدو يصر على أن حق العودة يبطن رد النزاع من جديد الى شعار "معركة الوجود"، وأنه يضمر تقويض شرطه الوجودي الذي أعلن السلاح العربي عجزه عن تقويضه، وكنا نصر في الطرف المقابل على أنه حق لا يمكن إسقاطه، حتى مع القبول بخيار التسوية، والاحتكام الى الشرعية الدولية، دون شرعية الحق والعدل، فإن ذلك يكشف عمق هذه الأزمة، فإنه لا يجد لنفسه مفراً منها إلا اصطناع الظروف التي تسوغ له فرض حل منفرد يريحهُ من استحقاقات هذا السؤال.

ولكن هذا الحل المنفرد بدوره، لا يضر بنا أقل مما يضر بهم، إذ يلزمه الانكفاء وراء جدره المشيدة، فيحول بينه وبين إجتناء إستحقاقات السلام في العمق العربي.

اللاجئ إذاً هو مسمار الحق التاريخي في حائط الواقع الظرفي، وطيف الوطن الفلسطيني التاريخي الذي يستعصي على الانحشار في ثوب أقل منه!

وبعد...

سيقول المخلفون من الاعراب ودعاة الردة وسماسرة الإمبراطورية: أي نهوض وأي عرب وأي حق وأي حلم، وأي معانٍ ورموز وذاكرة وهوية وتعريفات؟ وسوف يحيلون ذلك كله على معجّم ماضٍ يصمونه بعناية الشعراء وأوهام الرومانسية الثورية. ويستدعونَ في المقابل مفردات العولمة والواقعية والعقلانية، ثم يضعون الجلاد والضحية على سوية أخلاقية واحدة، ويجمعون في صفهِ التطرف بين من يحلم بالحق كله، ومن يريد ان يصادر الحق كله!

وسوف ينتظر آخرون حتى تتعولم مقاومة العولمة، لتكتسب روايتنا عن الحق الفلسطيني وكفاحنا من اجله شرعية جديدة تستند الى مرجع عالمي، وتسترد معها معجم التحرر والتحرير والاستقلال والنهضة!

فليكن:

ولكننا لن ننسى، ولن نسامح: ولن نسقط من يدنا وضميرنا جمرة الحلم الفلسطيني.. فلسطين في نهاية درب الآلام، أو هي القيامة!

وليد سيف هو شاعر وكاتب درامة تلفازية وأستاذ جامعي ولد في مدينة طولكرم في الضفة الغربية من فلسطين ١٩٤٨، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة لندن في علوم "الصوتيات واللسانيات" عام ١٩٧٦. ويعمل الان أستاذاً في الجامعة الأردنية. صدرت له ثلاث مجموعات شعرية "قصائد في زمن الفتح"، "وشم على ذراع خضرة"، و"تغريبة بني فلسطين"، ألّف عدداً من المسلسلات الدرامية التلفازية الضخمة، منها مسلسل "التغريبة الفلسطينية" وله إسهامات فكرية وبحثية كثيرة.





التمييـز العنصـري فـي فلسطيـن وجنـوب أفريقيـا

بقلم: د. سليم فالي

يبقى العام ١٩٤٨ من أهم الأعوام بالنسبة للجنوب أفريقيين وللفلسطينيين. ففي كلتا الحالتين، خلق الاستعمار البريطاني الظروف الملائمة لممارسة التمييز والتفرقة العنصرية بحق الشعوب والسكان الأصليين. لقد شهد العام ١٩٤٨، ولادة نظام التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا وكذلك إنشاء دولة إسرائيل العنصرية على أرض فلسطين.

في كلتا الحالتين أيضاً، رأى كل من الحزب الوطني "الأبيض" والحركة الصهيونية نفسيهما على أنهم "صفوة شعوب الأرض" أو "شعب الله المختار". هاتين المجموعتين وظفت المفاهيم الإنجيلية والتوراتية لخدمة أطماعهم في الأرض بحيث آمنوا بأن الأرض كانت لهم وأنها الآن "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

نحن نعلم حتى الآن بأن دولةً إسرائيل العنصرية قد أنشأت من خلال ارتكاب سلسلة من المجازر والانتهاكات بحق الكثير من القرى والبلدات الفلسطينية (مثل قرية الطنطورة ودير ياسين) وتدمير ما يزيد عن ٥٣٠ منها. لقد تم في العام ١٩٤٨، تهجير ما يزيد عن ٧٥٠ ألف فلسطيني قسراً من منازلهم وقراهم بهدف خلق الظروف الديموغرافية المواتية لإنشاء دولة مقتصرة على اليهود من قبل الحركة الصهيونية. أما الفلسطينيون الباقون فقد أنكر حقهم في أرضهم دون أي تعويض. نتيجة لتلك الانتهاكات، يشكّل اللاجئون الفلسطينيون المجموعة الأكبر في العالم في تاريخنا الحديث.

احتل المستعمرون البريطانيون والهولنديون الأراضي بالقوة العسكرية والإرهاب المتمثّل بخوض سلسلة من الحروب الهجومية الدموية. وقد حقق النظام العنصري أطماعه في الاستحواذ على الأراضي من خلال تشريعه لسلسلة من القوانين التي سهّلت مهمته في السيطرة على الجنوب أفريقيين وتفريقهم في "كانتونات" جغرافية عنصرية. وتشمل هذه القوانين قانون "نظام العبور" للسيطرة على حركة السكان الأصليين وإجبارهم على العيش فقط في أماكن تواجدهم أو "معازلهم" المخصصة. هذه "المعازل" أو أماكن حصر النمو الجغرافي، والتي تشكّل ما نسبته ١٣ من الأرض، اعتبرت على أنها أراضي السكان الأصليين. قوانين أخرى شرّعت لضمان تقسيم السكان بحسب عروقهم وقبائلهم، وكذلك تم تقسيم المصادر والموارد من قبل الدولة بشكلٍ غير عادل وعلى جميع المستويات الحياتية.

أما في حالة دولة الإسرائيلية العنصرية و"الأراضي الفلسطينية المحتلة"، فباستطاعتنا أن نرى مزيجاً من القوانين شبه-العنصرية والديكتاتورية العسكرية القمعية. حواجز تفتيش، إغلاق وحصار، جدار الفصل العنصري، مستعمرات، طرق لاستخدام المستعمرين فقط، بطاقات تعريف الهوية، لوحات رقمية ملوّنة للسيارات وتصاريح ذات أصناف مختلفة، تشير بمجموعها على تفرقة عنصرية، وكذلك حال "المواطنين من الدرجة الثالثة" من السكان الفلسطينيين القاطنين داخل الخط الأخضر. كما نلاحظ وجود قوانين (مثل قانون "اكتساب الأرض"، وقانون "الدخول إلى إسرائيل"، قانون "الخدمة العسكرية") وكذلك اعتماد تشريعات دينية حاخامية عنصرية. نلاحظ كيف سيطرت دولة إسرائيل بشكلٍ واضح من خلال نظام عنف وتفرقة عنصرية ممنهجة. لقد عملت دولة إسرائيل العنصريةً على تطوير نظام تفرقة معقّد، وأرفقته بنظامها القضائي/القانوني مضاهيةً بذلك النظام العنصري الجنوب أفريقي.

لقد وُعِدَ قادة حركات التحرر الجنوب أفريقية بالحرية إذا ما أدانوا العنف وقبلوا بـ "نظام المعازل/الكانتونات". لم يقبل القادة بمهزلة هذا النوع من تقرير المصير مؤكدين على مطلبهم بأن من حق الشعب الجنوب أفريقي أن تكون له دولة موحدة ومتكاملة بحقوق ديمقراطية أساسية للبيض والسود على حدٍ سواء. أعلنت شعوب العالم بأن النظام الحاكم في جنوب أفريقيا هو نظام تفرقة عنصريةً واعتباره جريمة بحق الإنسانية وباشرت بمقاطعة مكثّفة لهذه الدولة العنصرية. بالطبع، الدول المنبوذة مثل إسرائيل، تشيلي إبان حكم "بينوشيه"، وحكومات أغلب الدول الغربية، دعمت شراكاتها التجارية، الثقافية، والعسكرية وروابطها النووية مع نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.


في زيارة لإحدى القرى المهجرة (بديل)

واليوم، تقترح أمريكا المهيمنة وأوروبا على الفلسطينيين دولة "معازل" ذات اقتصاد غير مستقل، وبدون تواصل جغرافي ومنزوعة السلاح، بحيث يزداد حجم استغلال الفلسطينيين والسيطرة عليهم في كانتونات تسيطر عليها الدولة العنصرية. إن اقتراح إيجاد "معازل" تابعة وخاضعة لدولة عنصرية هي إسرائيل هو نوعٌ هزيل من تقرير المصير على غرار تلك التي أوجدها النظام العنصري في جنوب أفريقيا. وفوق كل هذا، يريدون من العالم أن يتناسى ملايين اللاجئين الفلسطينيين.

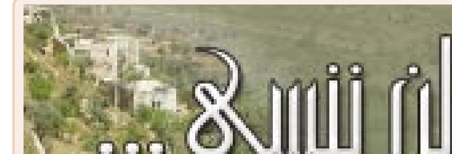
في إسرائيل، وليس أقل من جنوب أفريقيا، يطلب إحلال الحد الأدنى من العدالة لتفكيك بنى نظام التفرقة العنصرية واستبداله بفلسطين الديمقراطية لجميع مواطنيها من عرب ويهود، يعيشون جنباً إلى جنب بحقوق متساوية. وعلى وجه الخصوص، لن يكون بالإمكان إيجاد حل للصراع العربي/ الفلسطيني-الإسرائيلي دون تطبيق حق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين وأحفادهم في العودة إلى منازلهم.

إننا نقف معكم، ملايين الناس حول العالم، لإحياء ذكرى النكبة. إننا نحيي شجاعة وصمود اللاجئين الفلسطينيين المشتتين في جميع أرجاء العالم. إننا نتذكّر معكم مجزرة صبرا وشاتيلا، وغيرها من المجازر التي ارتكبت بحقكم. إن قوة إرادة البقاء لديكم، وقوة وثبات المقاومة، بالرغم من سياسة الإبادة الجماعية البطيئة هي صفعةٌ على وجه الطغاة الذين يريدونكم أن تختفوا من على وجه الأرض. رفض الفلسطينيون أن يصبحوا مثالاً حديثاً للهنود الحمر في أمريكا، والذين شتتتهم الإمبريالية ومن بقي حيٌّ منهم أجبر على العيش في "معازل" يهان فيها يومياً. للمضطهدين ومحبي العدالة في هذا العالم، نضالكم ومقاومتكم هي منبع غير متناهٍ من الدعم، الأمل، والإلهام. في وجه كل الحكومات والهيئات الدولية المنافقة في هذا العالم، إننا ندعو جميع الشعوب للتضامن والتعاضد مع الشعب الفلسطيني وتكثيف عزلة دولة إسرائيل العنصرية ورفع شعار حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم الأصلية.

د. سليم فالي هو رئيس لجنة التضامن الجنوب أفريقية مع الشعب الفلسطيني، وهي ناشط في الحركة العالمية المناهضة للحرب.


جدار الفصل العنصري الإسرائيلي (الأيام)





خربة وادي الحمام، قضاء طبريا،
هجرت في ٢٢ نيسان ١٩٤٨.

الجدل، قضاء طبريا، ٤١٨ نسمة،
هجرت في ٢٢ نيسان ١٩٤٨.

كفر سبت، قضاء طبريا، ٥٥٧ نسمة،
هجرت في ٢٢ نيسان ١٩٤٨.

كراد البقّارة، قضاء صفد، ٤١٨ نسمة،
هجرت في ٢٢ نيسان ١٩٤٨.

كراد الغنّامة، قضاء صفد، ٤٠٦ نسمة،
هجرت في ٢٢ نيسان ١٩٤٨.

كفر عانة، قضاء يافا، ٣,٢٤٨ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

سلمة، قضاء يافا، ٧,٧٠٨ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

ساقية قضاء يافا، ١,٢٧٦ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

الخيرية، قضاء يافا، ١,٦٤٧ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

بيت دجن، قضاء يافا، ٤,٤٥٤ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

ياجور قضاء حيفا، ٧٠٨ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

بلد الشيخ، قضاء حيفا، ٤,٧٧٩ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

قنّير، قضاء حيفا، ٨٧٠ نسمة،
هجرت في ٢٥ نيسان ١٩٤٨.

يافا، قضاء يافا، ٧٦,٩٢٠ نسمة،
هجرت في ٢٦ نيسان ١٩٤٨.

سمخ، قضاء طبريا، ٤,٠١٤ نسمة،
هجرت في ٢٨ نيسان ١٩٤٨.

تليل، قضاء صفد، ٣٤٩ نسمة،
هجرت في ٢٨ نيسان ١٩٤٨.

غربة سعسم، قضاء حيفا، ١٥١ نسمة،
هجرت في ٢٨ نيسان ١٩٤٨.

غربة المنصورة، قضاء حيفا، ٢٢٣ نسمة،
هجرت في ٢٨ نيسان ١٩٤٨.

القدس، قضاء القدس، ٦٩,٦٩٣ نسمة،
هجرت في ٢٨ نيسان ١٩٤٨.

الشونة، قضاء صفد، ١٩٧ نسمة،
هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

المد احل، قضاء صفد،
هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

الدردارة (مزعة دراجة)، قضاء صفد،
١١٦نسمة، هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

خربة الدامون، قضاء حيفا، ٣٩٤ نسمة،
هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

كبّارة، قضاء حيفا، ١٣٩ نسمة،
هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

الريحانية، قضاء حيفا، ٢٧٨ نسمة،
هجرت في ٣٠ نيسان ١٩٤٨.

أيار ١٩٤٨

يازور، قضاء يافا، ٤,٦٧٥ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

جريشة، قضاء يافا، ٢٢٠ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

الغابسية، قضاء عكا، ١,٤٣٨ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

الجلمة، قضاء حيفا،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

البطيمات، قضاء حيفا، ١٢٨ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

فلنسمي الأشياء بأسمائها:

تطهيـر فلسطيـن عرقيـاً في العام ١٩٤٨

بقلم: د. إيـلان بابيـه

لسنوات طويلة بدا مصطلح النكبة - الكارثة الإنسانية - مصطلحا كافيا لتقديم (وصف) كل من أحداث العام ١٩٤٨ في فلسطين وتأثير تلك الأحداث على حياتنا اليوم. أعتقد أن الوقت قد حان لاستخدام مصطلح آخر وهو التطهير العرقي في فلسطين. فمصطلح النكبة لا يتضمن أي إشارة مباشرة إلى من يقف وراء الكارثة - بمعنى: يمكن لأي شئ أن يسبب دمارا في فلسطين ويمكن أن يكون ذلك الفلسطينيون أنفسهم. لكن لن يكون الأمر كذلك عند استخدام مصطلح التطهير العرقي، فهذا المصطلح يتضمن اتهاما وإشارة مباشرين إلى مرتكبيها، ليس فقط في الماضي وإنما في الحاضر أيضا. والأهم من ذلك بكثير أنها تربط سياسات، مثل تلك التي أدت إلى دمار فلسطين في العام ١٩٤٨ بأيديولوجية معينة. وحيث أن تلك الأيديولوجية ما زالت الأساس لسياسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين أينما حلّوا -أي حيث تتواصل النكبة- أو بتعبير أكثر دقّة وقوّة حيث يتصاعد التطهير العرقي. بحلول الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة، آن الأوان لاستخدام مصطلح التطهير العرقي بوضوح ودون أي تردد، باعتباره أفضل مصطلح قادر على وصف عملية طرد الفلسطينيين في العام ١٩٤٨.

فالتطهير العرقي هو جريمة وأولئك الذين ارتكبوها هم ثلّة من المجرمين. في العام ١٩٤٨، أصبحت قيادة الحركة الصهيونية حكومة لإسرائيل وارتكبت جرائم ضد الشعب الفلسطيني. وقد كانت الجريمة جريمة تطهير عرقي. التطهير العرقي ليس مصطلحا غير رسمي ولكنه اتهاما يتضمن منطلقات سياسية وقانونية وأخلاقية عميقة الأبعاد. أما معنى هذا المصطلح فقد تم تفسيره أثناء معالجة نتائج الحرب الأهلية التي دارت في البلقان في التسعينات من القرن الماضي. حيث هدف كل فعل من أفعال المجموعة العرقية المعينة إلى طرد المجموعة العرقية الأخرى بهدف تحويل منطقة مسكونة من قبل أعراق مختلطة إلى منطقة نقية عرقيا وهذا ما أطلق عليه التطهير العرقي. حيث يصبح الفعل سياسة تطهير عرقي بغض النظر عن الأساليب المستخدمة لتحقيقه. كل وسيلة - ابتداءا من الإقناع والتهديد وصولا إلى الطرد والقتل الجماعيين - يبرر إسناد هذا المصطلح لتلك السياسات. بالإضافة إلى ذلك فإن السلوك نفسه يحدد التعريف به، ولذا اعتبرت بعض السياسات، سياسات تطهير عرقي من قبل المجتمع الدولي حتى في الحالات التي لم تكتشف أو تفضح فيه خطة أساسية لتنفيذ ذلك. وبناء عليه فإن ضحايا التطهير العرقي هما كلا المجموعتين: التي هجرت جراء الخوف أو أولئك الذين طردوا بالقوة كجزء من عملية متواصلة. إذ توجد التعريفات والمراجع المذكورة آنفا على الصفحات الإلكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية وصفحات الأمم المتحدة. تلك هي التعريفات الأساسية التي وجهت محكمة العدل الدولية في لاهاي عندما شرعت في محاكمة أولئك المسؤولين عن تنفيذ عمليات التطهير العرقي باعتبارهم أناس ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية.

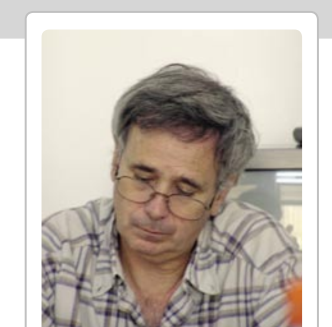
كان هدف إسرائيل في العام ١٩٤٨ جليّا كما كان واضح المعالم ومباشرا في خطة "دالت" التي تبنتها القيادة العليا لمنظمة الهاجاناة (المنظمة اليهودية السرّية الأساسية في مرحلة ما قبل دولة إسرائيل) في آذار عام١٩٤٨. كان الهدف هو الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من أراضي فلسطين الانتدابية وإزالة معظم القرى الفلسطينية والأحياء العربية من مستقبل الدولة اليهودية المنتظرة. كان التنفيذ أكثر انتظاما وشمولية مما توقعته الخطة ففي مدة لا تتجاوز السبعة أشهر دمرت ٥٣١ قرية كما أفرغت إحدى عشر تجمعا سكانيا مدنيا. وقد رافق الطرد الجماعي مجازر وعمليات اغتصاب وسجن للرجال (عرّف الرجال بأنهم الذكور الذين تجاوزوا العاشرة من العمر) في معسكرات العمل لفترات تجاوزت السنة. في العام ٢٠٠٦ يمكن أن تطلق كل هذه الصفات على سياسة التطهير العرقي. وبشكل أكثر تحديدا فان سياسة التطهير العرقي كما عرّفتها الأمم المتحدة تهدف إلى تحويل منطقة مسكونة من قبل أعراق مختلطة إلى مساحة تتميز بالنقاء العرقي، حيث تعتبر كافة الوسائل مبررة لتحقيق ذلك. ويصنّف القانون الدولي مثل تلك السياسة على أنها جريمة ضد الإنسانية حيث تعتقد وزارة الخارجية الأمريكية أن تصحيح تلك الجرائم يتم فقط عبر إعادة كافة الناس الذين هجروا أو طردوا بسبب عمليات التطهير العرقي إلى ديارهم.

تشير المضامين السياسية لمثل هذا الخطاب الى أن إسرائيل وحدها هي المسؤولة عن خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وأنها وحدها تتحمل المسؤولية القانونية والأخلاقية عن تلك المشكلة دون غيرها. أما المدلول القانوني فيفيد أنه حتى في حالة زوال "بعد هذه الفترة الطويلة" معظم من ارتكبوا أفعالا يمكن أن توصف كجرائم ضد الإنسانية، فإن الفعل نفسه مازال جريمة لم يقف أحد أمام العدالة جراء ارتكابها. أما المدلولات الأخلاقية فتشير بالتأكيد الى أن الدولة اليهودية قد ولدت جراء خطيئة - حالها حال الكثير من الدول طبعا - ولكن الخطيئة أو الجريمة ما زالت طيّ التنكر والنكران. تعترف بعض الدوائر الإسرائيلية أنها الأسوأ، ولكنها بنفس الوقت تبررها بوعيها المستدرك وباعتبارها سياسة مستقبلية تمارس ضد الفلسطينيين أينما كانوا.

لقد تجاهلت النخبة السياسية الإسرائيلية كافة هذه الدلائل، وبدلا من ذلك استقت عبرة مختلفة من أحداث ١٩٤٨ مفادها: أن بإمكان إسرائيل كدولة، طرد نصف السكان وتدمير نصف قراهم والخروج من ذلك دون أي خدش أو انتقاد. أما نتائج تلك العبرة فكانت المواصلة الحتمية لسياسة التطهير العرقي بوسائل أخرى. ميّزت تلك العملية مفاصل معروفة تماما، كطرد عشرات القرى بين ١٩٤٨ و ١٩٥٦ من إسرائيل وإجبار ٣٠٠ الف فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة على الرحيل القسريّ، ومنطقة القدس الكبرى بشكل مقنن ولكنه متواصل.

طالما أن العبر السياسية لم تستقى بعد، فلن يكون هنالك أي حلّ للصراع العربي الإسرائيلي. وستبقى قضية اللاجئين هي السبب المتكرر لإفشال أي محاولة بغض النظر عن مدى نجاحها في تحقيق تصالح بين الطرفين المتصارعين بأي مقياس آخر. لذا فإن الاعتراف بأحداث ١٩٤٨ باعتبارها عملية تطهير عرقي أمر غاية في الأهمية، من أجل ضمان أن لا يتجاهل أي حل سياسي جذور النزاع، وعلى الأخص طرد السكان الفلسطينيين. فحريّ بالذكر أن مثل هذا التجنّب كان على امتداد الماضي سببا رئيسيا لانهيار أي اتفاقية سلام سابقة.

وطالما أن العبر السياسية لم تستقى بعد ، ستبقى بعض النزعات والمشاعر الانتقامية قائمة في الجانب الفلسطيني. أما الاعتراف القانوني بنكبة عام ١٩٤٨ باعتبارها خطوة تطهير عرقي فسيجعل العدالة التعويضية أمرا ممكنا. تلك هي العملية التي تمت مؤخرا في جنوب أفريقيا. فالاعتراف بشرور الماضي لا يهدف إلى إحضار المجرمين للعدالة، ولكنه يهدف إلى إحضار الجريمة إلى محكمة ووعي الجماهير. أما الحكم النهائي في هذه الحالة فلن يكون انتقاميا - لن يكون هنالك عقاب- بل سيكون تعويضيا، حيث سيتم تعويض الضحايا. لقد نطقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بالتعويض الأكثر منطقية في حالة اللاجئين الفلسطينيين تحديدا وذلك في كانون أول عام ١٩٤٨، متمثلا بقرارها رقم ١٩٤ والذي يقضي بالعودة غير المشروطة للاجئين الفلسطينيين وأسرهم إلى موطنهم الأصلي (وبيوتهم حيث كان ذلك ممكنا). وطالما أن العبرة الأخلاقية لم يتم تعلمها بعد ستواصل دولة إسرائيل وجودها كجيب عدواني في قلب العالم العربي. وستبقى أيضا آخر ما يذكّر بالماضي الاستعماري، الأمر الذي لا يعقّد فقط العلاقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ولكن بين الإسرائيليين وكافة شعوب العالم العربي أيضا. ولأن العبرة الأخلاقية لم تستقى بعد، يبقى في إسرائيل اليوم تبريرا استدراكيا للتطهير العرقي وخطرا حقيقيا يتمثل في محاولة أخرى لاستحضاره.



متى وكيف يمكننا أن نأمل في استقاء تلك العبر واستخدامها في جهود ترمي إلى إحلال السلام والتصالح في فلسطين؟ أولا وبالطبع فإننا لن نتوقع أن يحدث الكثير ما دامت المرحلة الوحشية الحالية من احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة مستمرة. ومع ذلك إلى جانب النضال ضد الاحتلال - والتطور الإيجابي لخيار مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها قائما باعتباره الاستراتيجية الأساسية قدما والتي يعتمدها المجتمع المدني في المناطق المحتلة وكذلك حركة التضامن العالمية - لا بد من مواصلة الجهود لوضع عملية التطهير العرقي لعام١٩٤٨ في مركز اهتمام العالم ووعيه.

لا يمكن حصر العمل في مكان واحد. فالمكان الذي حدثت فيه عمليات التطهير العرقي عام١٩٤٨ - إسرائيل اليوم - مستثنى تماما من هذه الخطة. فالعمل في داخل أرض النكبة يجب أن لا يتم بالتنسيق مع أو أن يشمل في الجهد الكلي المبذول في مناطق تواجد الفلسطينيين ومن يساندونهم. وبمساعدة مركز بديل ومنظمات أخرى فإن اللاجئين المهجرين في داخل إسرائيل والمنظمات غير الحكومية الفلسطينية الريادية، بالتعاون مع مجموعة من النشطاء اليهود لا بد من المبادرة إلى محاولة جدية لإستحضار ما حدث من تطهير عرقي إلى وعي الجمهور والدفاع بشكل قوي ودون أي تردد عن تنفيذ حق عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم الأصلية. ففي مؤتمرين مؤيدين لحق العودة أعلن بعض الباحثين الفلسطينيين واليهود والنشطاء السياسيين على الملأ استنتاجاتهم حول التطهير العرقي من عام ١٩٤٨ حتى اليوم، كما طرحوا أفكارهم حول أفضل السبل للمضيّ قدما على طريق تثقيف الرأي العام حول المدلولات الكارثية - بالنسبة للفلسطينيين واليهود كما هو بالنسبة للعالم الواسع بكل تأكيد - للنكران المتواصل للتطهير العرقي الذي حدث عام ١٩٤٨ ورفض قبول حق العودة المعترف به دوليا.

وبمناسبة الذكرى الثامنة والخمسين وتحضيرا للذكرى الستين لا بد لنا - نحن الفلسطينيين والإسرائيليين وكل محبي هذه الأرض - من المطالبة بأن تتضمن كل كتب تاريخنا ما حدث عام ١٩٤٨ من جريمة ضد الإنسانية، وذلك لإيقاف مواصلة ارتكاب الجريمة الحالية قبل أن يفوت الأوان.

د. إيلان بابيه هو محاضر كبير في كلية العلوم السياسية في جامعة حيفا ورئيس مجلس إدارة معهد إميل توما للدراسات الفلسطينية والاسرائيلية. يعتبر د. بابيه أحد أبرز المؤرخين الاسرائيليين الجدد وله العديد من الدراسات حول تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي، وخاصة النكبة واللاجئين الفلسطينيين.


مخيم نهر البارد للاجئين، لبنان (أرشيف الأنوروا)

وفـاء للجيـل الذي ضيـّع البـلاد !

بقلـم: جمـال ناجـي

حين كنا نضيق بثيابنا وبواقعنا "الأليم"، كان احتجاجنا يتم بطريقة غنائية، وبمفردات ثورية حالمة، مفردات تمردت على السأم، وتجرأت على اتهام الجيل الذي سبقنا بالتخاذل والتقصير ازاء الوطن الذي تسرب من بين ايديهم ، وتبعثر في زحام البحث عن النجاة والحياة في زمن تكالب الاقوياء فيه على الضعفاء، في عقر دارهم.. كان الآباء والأجداد، يتفهمون نزقنا وضيقنا "الوجودي والثوري" في آن معا، فيقولون لنا، بصبر الآباء وحزن الانبياء: البركة فيكم. ثم يصمتون، فنهدأ نحن ونزهو بانتزاعنا اعترافهم العلني بالذنب! لكننا لم نكن نلتفت الى ما تبقى من اجابة الآباء والاجداد، كأن اعترافهم بضياع البلاد هو الموضوع ، اما استعادتها فمسألة اخرى، فيها نظر.

الآن، ونحن في ذكرى ضياع تلك الارض، أثر نكبة أو وعكة ألمت بنا وبأمتنا فطرحتنا وطرحتها ارضا، نكتشف ان ما كان يهمنا هو ان نزيح عبء القضية عن كواهلنا، وان نبحث عمن نحمّله مسؤولية نكبات الوطن ونكساته، ربما لاننا لم نستطع التمييز بين المؤمنين والمقامرين، بين الشهداء وقتلى الاشتباكات على مراكز نفوذ يقف على ساق واحدة، وربما لاننا اردنا ان نتفرغ للتغني بالقضية، والانشغال عنها بتفاصيل ثرثراتنا واستعراضاتنا السياسية والثقافية، وخلافاتنا حول الواقعية، واولويات النضال الملتبس، وكيفيات السير في المسارب الضيقة، دون الوقوع بين اشواك الحقيقة والغامها !.

نتذكر أيضا، أن الجيل "الذي ضيع البلاد" ظل يحيا على أمل الرجوع إليها، واتخذ من مواطن شتاته، محطات اقام عليها خياما مؤقتة لا يزيد عمرها الاستهلاكي عن شهور: كان يحلم بالإياب، وكانت أيامه تزخر بالأمل، لأنه آمن بأن فلسطين هي ببساطة: فلسطين التي يعرفها ليس غير! ولأنه أيضا، جيل لم يتعرف الى التقاليد الرسمية، والياقات المنشاة، والبروتوكولات، والمراسم، وآداب العلاقة مع المحتلين.

أما جيلنا، الذي يستحق بجدارة جوائز فنون التنصل، جيلنا الذي لا زال يتحدث باسترخاء مريب عن الوطن، في المهرجانات والندوات والصالونات، هذا الجيل تخلى عن الحلم "من زمان" واختفى في زحمة الشعارات والمراكز والبنايات والمطارات، مكتفيا بذكرى مكتوبة عن الارض، وبخريطة متغيرة غير ثابتة للوطن الذي كان..

هكذا أصبحنا: لم نعد نحلم حتى اثناء نومنا! من يرصد لياليه الآن يستطيع التنبه الى كارثة اختفاء الاحلام ! ولربما اسعفته الذاكرة فرأى ما كان قد رأى قبل عقود، ولربما توصل بفطنته الواقعية الى انه لم يعد ثمة ما يبرر الحلم، اذ طالما اخترنا ان تعود فلسطين الينا برجليها حيثما نكون، وطالما آمنا بان التاريخ سيعيد نفسه، ويتدخل بأثر رجعي ليمنحنا ما نريد، فلماذا العناء؟ لماذا نهجس في احلامنا، ونزعج زوجاتنا وابنائنا بكوابيس وطن تناثرت دماؤه واشلاؤه في كل البقاع والاتجاهات؟! هي لعنة لاحقت جيلنا، منذ ان احيلت عطاءات القضية اليه بقوة الزمن، لعنة لاحقتنا منذ ان استبدلنا بأحلامنا، هلوساتنا السياسية، وعلاقاتنا الدولية المثيرة للشفقة وللجدل المبني على خرائط متحركة كالرمال..

ثمة تقصير، نقولها ونمضي ، كأن التقصير لفظة بلا جذور، او مفردة بريئة تقرر رأيا في وجبة ينقصها الملح!

كأنها ليست امتدادا لتثاؤب جيل تناسى طريق الوطن؟ وكأنما رياح المنافي لم تنبئه بعد، ان الزمان اذا تمادى ، فان رماله ستدفن معالم الطريق، وتخفي حتى الشواخص والسهوب والتلال التي لا زالت، ساجدة تنتظر..

الكاتب جمال ناجي هو الرئيس السابق لرابطة الكتاب الأردنيين (٢٠٠١ - ٢٠٠٣). شغل ناجي في السابق، منصب رئيس تحرير مجلة أوراق، ومدير عام مركز انتلجنسيا للدراسات. من مواليد مخيم عقبة جبر (أريحا) في العام ١٩٥٤، وله عدد من الإصدارات الروائية والقصصية.



التمويـه والخديعـة خـلال حـرب العـام ١٩٤٨

بقلم: د. شكري عـرّاف



قصف صهيوني لقرية ديرأبان، غرب القدس، في العام ١٩٤٨ (Palestineremebered.com)

جمعتني ندوة تاريخية بالسيدين أوري ملشتاين، مؤرخ حرب العام ١٩٤٨ من وجهة نظر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، والدكتور ايلان بابيه، المحاضر في جامعة حيفا. وكان كيبوتس حَنيتا، على الحد اللبناني، وإلى الشرق من رأس الناقورة، مكان انعقاد الندوة التي حملت عنوان "الجليل الغربي في حرب العام ١٩٤٨– نموذجاً للحرب العربية –الإسرائيلية".

ولحرب العام ١٩٤٨ عدة مصطلحات، تختلف باختلاف الجهة التي تطلق عليها، وهي تشمل "النكبة" كمصطلح أطلقه الفلسطينيون على هذه الحرب، أو حرب النكبة والصمود. فيما يطلق الاسرائيليون على هذا العام مصطلحات كـ "حرب الاستقلال" و "حرب التحرير". والجليل الغربي هو الجزء الواقع إلى الغرب من جبال الجليلين الأعلى والأسفل، وهو يشمل، إلى جانب المرتفعات الغربية لهذه الجبال، و التي لا يزيد ارتفاعها على ٥٠٠ متر عن سطح البحر، السهل الساحلي الواقع بين رأس الناقورة شمالا و جبال الكرمل جنوباً. يشمل هذا الجزء من الجليل مدينتين : عكا وهي عاصمة القضاء وشفاعمرو وهي مدينة بحكم الاعتراف بها كمدينة منذ العام ١٩٠٨. وفي هذه المنطقة عدد كبير من القرى والبلدات العربية إلى جانب عدد غير كبير من المستوطنات اليهودية التي غرست في فترة الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦–١٩٣٩)، والتي كان قد خطط لها ضمن مشروع "السور والبرج". فيما كانت نهاريا أكبر هذه المستوطنات، وقد أقيمت في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، إلى جانب مجموعة من القرى أسموها " هَكريوت" أُقيمت إلى الشمال من حيفا على امتداد رمال خليج حيفا – عكا ، مثل كِريات بياليك، كِريات موتسكين و غيرهما.

ولا أهدف في هذه المقالة، الى دراسة العمليات العسكرية التي جرت في هذه المنطقة بين يوم إعلان مشروع التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وبين انسحاب القوات البريطانية من فلسطين منهية بذلك عملية الانتداب التي استمرت قرابة ٣٠ عاما. أريد أن أسجل أمراً، كانت له و لغيره من الأمور، آثار على نمط تفكيرنا كعرب هذه البلاد الذين صارعوا المجهول في تلك الفترة، ألا و هو قضية "التمويه والخديعة".

والتمويه قضية عسكرية استعملتها الجيوش خلال القتال، ولكن التمويه جاء ليشطر المجتمع الفلسطيني، القروي منه والمدني، إلى مجموعتين من التفكير. الأولى، و هي الأغلبية، آمنت بالوعود التي اقترحها أصحاب هذا التمويه، و الثانية هي الأقلية المؤمنة بعدم صدق النوايا الصهيونية اليهودية. لقد آمنت الفئة الأولى بأن الذين يتحدثون إليهم من اليهود إنما هم ناس يريدون السلام ولا يريدون القتال، كما أنهم يودون الحياة المشتركة مع العرب في هذه البلاد. أما المجموعة الثانية فرأت في مثل هذه الوعود مجرد مراوغة هدفها إضعاف الروح المعنوية من المقاومين من جهة، و خلق البلبلة والشكوك بين السكان، الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا بأقوالهم.

وخلال حديثي عن العوامل التي أدت الى احتلال الجليل الغربي، في تلك الندوة، استشهدت بما حصل لقرية البصة، القرية القريبة من الحد اللبناني، وهي القرية الأكثر ثقافة وغنى بين قرى فلسطين، حيث طلب مخاتير المستوطنات القريبة من البصة ككيبوتس متسوبا وكيبوتس حنيتا وإيلون أن يتحدثوا إلى مخاتير هذه القرية وزعمائها. اجتمعوا بهم و طلبوا ان يحافظوا كجيران على اليهود إن قامت دولة فلسطين، ووعدوا بالمحافظة على سكان البصة والقرى العربية الأخرى المجاورة إن قامت دولة إسرائيل.

كل المخاتير في هذه المستوطنات قد ألقيت على عاتقهم مسؤولية جمع المعلومات عن القرى المجاورة وعن القبائل النازلة بين هذه القرى ومستوطناتهم، فقد سجلوا في مذكراتهم التي حفظتها أرشيفاتهم التي زرتها في مستوطناتهم، كما بعثوا بنسخ من هذه المعلومات تبعاً إلى مركز الاستخبارات الإسرائيلي التابع لقوات الهجاناه.

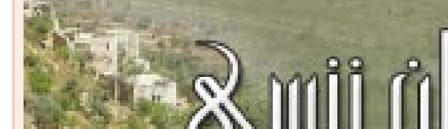
أطلق على هؤلاء الموظفين مصطلح "رجال هَشاي" شاي تعني خدمات الاستخبارات، و التي تحولت كمؤسسة، بعد قيام دولة إسرائيل، إلى مؤسسة الاستخبارات العامة، وخاصة ما يُعرب باسم "شين بيت" أي خدمات الأمن. وقد اطلعتٌ على تقارير هؤلاء الرجال في أكثر من موقع، وقد شملت تقاريرهم العديد من النقاط كاسم القرية، تبعيتها للقضاء و الشرطة؛ طرق القرية؛ أودية القرية ومصادر مائها، بما فيها الآبار و العيون؛ الأراضي–مساحتها و توزيع أنواعها: المشاع منها و الملك و الميري؛ السكان– عددهم و تقسيمهم إلى طوائف؛ الحمائل– زعماؤها وعدد أنفار كل حمولة، والانتماء السياسي لكل زعيم؛ مصادر الرزق في القرية أو المدينة – الحوانيت وأصحاب المهن، خصوصاً مصلحي السلاح؛ الموظفون في دوائر الحكومة المختلفة؛ والأوقاف– بما فيها المعابد، المساجد و الكنائس و الخلوات، و أسماء الأمة و الكهنة و المشايخ؛ وأيضا أسماء الذين شاركوا في الثورة الفلسطينية، وأسماء الذين قتلوا أو جرحوا في هذه الفترة؛ وأنواع الأسلحة التي صادرتها حكومة الانتداب البريطاني من السكان، وعدد الأسلحة التي يفترض أنها خبئت بعد انتهاء الثورة. يتضح مما سبق أن هذا الجهاز كان يعرف "كل" ما هو موجود في كل قرية و مدينة فلسطينية، ربما استعداداً للحرب التي دارت رحاها بين يوم مشروع التقسيم وحتى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٨.

في العودة الى الندوة سالفة الذكر. فعندما ذكرت أسماء المخاتير العرب واليهود الذين "تفاهموا" على الأساس الذي ذكرناه، قال لي زميلي المحاضر، السيد أوري ملشتاين : "كان ذلك "هسقاة" أي "تمويه". ومن المؤسف أن المجتمع الفلسطيني انجرّ وراء سراب هذه الوعود، وفترت روح القتال عند بعضهم، ودبّ الشقاق بين مصدق ومكذب لهذه الوعود. لقد سمعت الكثيرين من لاجئي الداخل، يتحدثون عن هذا التمويه، بألم و مرارة "اليوم".

أنهي الحديث عن الأمر بمقوله رددتها، وما زلت، على مسامع طلابي ومجتمعي: " لا تجعلوا حدود قراكم و مدنكم حدوداً للعالم فالعالم أوسع من هذه الحدود". و أضيف هنا ان على كل منا أن لا يرى قيم غيره و كأنها قيم مشابهة لقيمه التي تربى عليها في مجتمعه العربي. القيم بين المجتمعات تختلف. و علينا أن نفهم وندرس قيم الغير، لئلا تنطلي علينا نوايا قيمه وأهدافه التي تصب في مصالحه هو لا في مصالحنا .

د. شكري عراف هو جغرافي فلسطيني متخصص في تاريخ المدن الفلسطينية، له العديد من الأبحاث والدراسات حول القرى والمدن العربية.





الحمراء، قضاء صفد،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

الدرباشية، قضاء صفد، ٣٦٠ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

جاحولا، قضاء صفد، ٤٨٧ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

خيام الوليد، قضاء صفد، ٣٢٥ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

السنبرية، قضاء صفد، ١٥١ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

الويزية، قضاء صفد، ١١٦ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

طيطبا، قضاء صفد، ٦١٥ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

ياقوق، قضاء طبريا، ٢٤٤ نسمة،
هجرت في ١ أيار ١٩٤٨.

بيريّا، قضاء صفد، ٢٧٨ نسمة،
هجرت في ٢ أيار ١٩٤٨.

عين الزيتون، قضاء صفد، ٩٥١ نسمة،
هجرت في ٢ أيار ١٩٤٨.

مغر الخيط، قضاء صفد، ٥٦٨ نسمة،
هجرت في ٢ أيار ١٩٤٨.

هونين، قضاء صفد، ١,٨٧٩ نسمة،
هجرت في ٣ أيار ١٩٤٨.

الزنغرية (زحلق)،قضاء صفد، ٩٧٤ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

جب يوسف (عرب السيّاد)، قضاء صفد،
١٩٧ نسمة، هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

عرب الشمالنة، قضاء صفد، ٧٥٤ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

القديرية، قضاء صفد، ٤٥٢ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

خربة كرّازّة، قضاء صفد،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

البطيحة، قضاء صفد، ٧٥٤ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

الطابغة، قضاء طبريا، ٣٨٣ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

عرب السمكية، قضاء طبريا، ٤٤١ نسمة،
هجرت في ٤ أيار ١٩٤٨.

بريكة، قضاء حيفا، ٣٣٦ نسمة،
هجرت في ٥ أيار ١٩٤٨.

الشجرة، قضاء طبريا، ٨٩٣ نسمة،
هجرت في ٦ أيار ١٩٤٨

عاقر، قضاء الرملة، ٢,٨٧٧ نسمة،
هجرت في ٦ أيأر ١٩٤٨.

بير سالم، قضاء الرملة، ٤٧٦ نسمة،
هجرت في ٩ أيار ١٩٤٨.

ابو الفضل (عرب السترّية)، قضاء الرملة،
٥٩٢ نسمة، هجرت في ٩ أيار ١٩٤٨.

الجاعونة، قضاء صفد، ١,٣٣٤ نسمة،
هجرت في ٩ أيار ١٩٤٨.

عكبرة، قضاء صفد، ٣٠٢ نسمة،
هجرت في ٩ أيار ١٩٤٨.

المنصورة، قضاء طبريا، ٢,٤٨٢ نسمة،
هجرت في ١٠ أيار ١٩٤٨.

ميرون، قضاء صفد، ٣٣٦ نسمة،
هجرت في ١٠ أيار ١٩٤٨.

آبل القمح، قضاء صفد، ٣٨٣ نسمة،
هجرت في ١٠ أيار ١٩٤٨.

بيت محسير، قضاء القدس، ٢,٧٨٤ نسمة،
هجرت في ١٠ أيار ١٩٨٤.

لماذا لا تزال النكبة مستمرة؟

بقلم: رجا ديب

السؤال الذي من المفترض أن نتوقف عنده لنطرحه على أنفسنا، ونحن نعيش الذكرى الثامنة والخمسين لنكبة شعبنا الفلسطيني، وربما يطرحه علينا آخرون أيضا، لماذا لا تزال النكبة مستمرة إلى الآن؟ وبالتالي ماهي أسباب استمرار حالة اللجوء الفلسطيني، حيث إنه عنوانها الأهم.

بعد الحرب العالمية الثانية، وما تسببته في لجوء أو ترحيل أو نزوح الملايين من الناس قسرا في أوروبا، ازداد الوعي بمسؤولية المجتمع الدولي بضرورة تقديم الحماية لهم ومساعدتهم لحل مشاكلهم. وانعكس ذلك الوعي في تشكيل "منظمة الأمم المتحدة لشؤون الإغاثة والتأهيل" والمشار إليها اختصارا بـ (UNRRA). وكان الدور الهام الذي قامت به هو تنظيمها عودة الملايين من اللاجئين والنازحين إلى أوطانهم.

وتوضح ذلك الوعي أكثر في عام ١٩٤٦ عندما أدرجت مشكلة اللاجئين ضمن جدول أعمال أول جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة كموضوع يحظى بالأولوية، التي تم التأكيد فيها على أن **مشكلة اللاجئين عالمية بطابعها ونطاقها، والمجتمع الدولي ككل معني بمعالجتها وحلها على قاعدة تقديم الدعم لهم من أجل عودتهم الطوعية بأي وسيلة متاحة إلى بلدانهم.**

وتتوج هذا الاهتمام الأممي بمشكلة اللاجئين بإنشاء "المفوضية السامية لشؤون اللاجئين- (UNHCR)، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرارها رقم ٣١٩(٤) تاريخ ٣ كانون أول ١٩٤٩. فوفق نظامها الأساسي واتفاقية ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين، ومن ثم بروتوكول ١٩٦٧ الخاص بوضع اللاجئين، تحددت مهمتها بمعالجة مشاكل اللاجئين بصورة شاملة، والقيام بتأمين الحماية لهم لحين حل مشكلتهم وفق خيارهم الحر، وتسهيل عملية إعادتهم الطوعية إلى ديارهم. لهذا فإنه أصبح الإسهام في حركة العودة الطوعية على نطاق واسع من السمات التي تتميز بها المفوضية، وتتضمنها الأنشطة التي تقوم بها.

تجسد هذا الوعي والاهتمام الأممي بمشكلة اللاجئين على صعيد مشكلتنا (اللاجئين الفلسطينيين) على المستويين السياسي والإنساني. فعلى المستوى السياسي بحثت الجمعية العامة للأمم المتحدة الوضع في فلسطين من جديد بعد قيام دولة إسرائيل على ٧٨٪ من أرض فلسطين، وتشريد حوالي ثلثي سكانها، وأصدرت القرار رقم ١٩٤ تاريخ ١١ كانون أول ١٩٤٨، وينص على "**وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم...**"، وعلى تشكيل لجنة لمتابعة تنفيذه (لجنة الأمم المتحدة للتوفيق حول فلسطين، UNCCP). وعلى المستوى الإنساني أنشأت وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (وتسمى أيضا، وكالة الغوث الدولية، "الأونروا")، استنادا إلى قرارها رقم ٣٠٢ تاريخ ٨ كانون أول ١٩٤٩. وبموجبه تتعاون هذه الوكالة مع الحكومات المحلية من أجل القيام بالإغاثة المباشرة وتقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين الذين لجأوا إلى بلدان تلك الحكومات إلى حين تأمين عودتهم.

بذلت لجنة التوفيق (UNCCP) في سنواتها الثلاث الأولى جهودا كبيرة من اجل تمكين اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى ديارهم، استنادا إلى الفقرة ١١ من القرار ١٩٤، إلا أن جهودها هذه فشلت، وكان آخرها مؤتمر باريس الذي عقد سنة ١٩٥١، وحضره ممثلون عن الدول العربية التي لجأ إليها الفلسطينيون بالإضافة إلى إسرائيل، حيث كان آخر المحاولات التي بذلتها لإعادة اللاجئين إلى ديارهم، فقد تقدمت فيه باقتراح يطلب من إسرائيل الموافقة على **عودة عدد معين من اللاجئين إلى ديارهم، ومن الفئات التي يمكن دمجها في الاقتصاد الإسرائيلي**، ومع ذلك رفض الوفد الإسرائيلي هذا الاقتراح رفضا قاطعا. واعتبر عودة اللاجئين الفلسطينيين أمرا مستحيلا لاعتبارات سياسية وأمنية تتعلق بدولة إسرائيل. ومنذ ذلك التاريخ توقفت جهودها على هذا الصعيد. ومع أن هذا يعني فشلها في تنفيذ المهمة التي أنشأت من أجلها إلا أنها لم تحل رسميا إلى الآن، فهي تقدم تقريرا سنويا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تشير فيه إلى أن تطبيق القرار الذي كلفت بتنفيذه يحتاج إلى قرارات سياسية من الأطراف المعنية.

وباعتبار أن اللاجئين الفلسطينيين استثنوا من صلاحيات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين (UNHCR)، وبعد أن عجزت لجنة التوفيق (UNCCP) عن متابعة عملها، فقد اقتصر دور الأمم المتحدة على القيام بأعمال الإغاثة وتقديم الخدمات من خلال الأونروا، التي باشرت عملها هذا في أيار ١٩٥٠، ولا تزال مستمرة في هذه المهمة منذ ذلك التاريخ وإلى الآن، رغم النقص المستمر في التمويل الذي يهدد وجودها.



لاجئون فلسطينيون على الحدود العراقية، نيسان ٢٠٠٦ (مسيحيون من أجل السلام CPT)

وما من شك في أن انسحاب الأمم المتحدة من مهمتها على صعيد حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، لا يعود إلى إشكالية قانونية، فهناك من القرارات الدولية ذات الصلة ما يمكنها من تجديد دورها. لكن الإشكالية هي أن القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة تحتاج لتنفيذها إلى موافقة مجلس الأمن الذي يضم في عضويته الدائمة قوى دولية تأخذ بالموقف الإسرائيلي الرافض لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم الأصلية. ومع ذلك فإن إسرائيل تحرص على إبقاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين خارج نطاق عمل الأمم المتحدة.

إن فشل لجنة التوفيق (UNCCP)، ومن ثم عدم بذل أي جهد آخر من قبل الأمم المتحدة من أجل عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، والاكتفاء بتقديم المساعدات الإنسانية من خلال وكالة الغوث الدولية- الأونروا، ترك مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لطرفيها الأساسين والمعنيين بها بشكل مباشر: الإسرائيليون والفلسطينيون.

حالة الصراع القائمة ما بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ النكبة، التي أخذت أشكالا متعددة، من تبني خيار المقاومة المسلحة كخيار وحيد حتى مرحلة المفاوضات التي بدأت مع اتفاق أوسلو ١٩٩٣، وما أظهرته من تباينات في مواقف الطرفين حول مشكلة اللاجئين، وما سيتمخض عنها من نتائج سياسية هي التي سوف تحدد مسار حل مشكلة اللاجئين.

استمرار الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، سوف يؤدي منطقيا في النهاية إلى إحدى الإمكانيتين لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين؛ الأولى إما أن يتمكن الطرفان الإسرائيلي والفلسطيني من الاتفاق على حل ما يلتزمان بتنفيذه، والثانية أن يتمكن أحدهما من فرض حله لهذه المشكلة على الآخر، ولكل من هاتين الإمكانيتين متطلباتها واحتياجاتها سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

الإمكانية الأولى: الوصول إلى اتفاق مشترك

ما تجمع عليه القوى الحزبية صاحبة القرار السياسي والاستراتيجي في إسرائيل أو التي تشارك في صنعه، منذ قيامها العام ١٩٤٨ وإلى الآن، هو رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين، وعدم الاعتراف بأي نوع من المسؤولية نحوهم. وهذا الموقف المشترك لهذه القوى الذي تتوحد حوله، هو الذي حال دون قيام لجنة التوفيق (UNCCP) بمهمتها بتنفيذ القرار ١٩٤، وما يحول دون أي تقدم بهذا الاتجاه حتى حينه.

تتعامل القوى الحزبية الإسرائيلية مع مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أنها مشكلة الدول العربية، فبنظرها هذه الدول هي التي خلقتها وتتحمل مسؤوليتها، وهي المعنية بحلها، لكن يمكن أن تساهم إسرائيل في حل بعض الجوانب الإنسانية، مثل دفع تعويضات والموافقة على لم شمل بعض العائلات. هذا الموقف ينسجم مع ما أنشأت على أساسه إسرائيل كمشروع استيطاني لليهود في فلسطين، فهي تعرف نفسها على أنها دولة لليهود، بالتالي المواطنة فيها تحدد على هذا الأساس، ولا مكان لغيرهم عندها.

فخلال المفاوضات التي جرت بين الفلسطينيين والإسرائيليين في إطار اتفاق أوسلو، لم يقدم الطرف الإسرائيلي خلاف الموقف المشار إليه أعلاه، رغم أنه حقق إنجازا تاريخيا في هذا الاتفاق عندما أعترف الطرف الفلسطيني المفاوض بدولة إسرائيل على حوالي ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية. وحتى المبادرات السياسية المشتركة ما بين شخصيات فلسطينية وإسرائيلية، التي تدعو إلى إحلال السلام وإنهاء حالة العداء والكراهية ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وقيام دولة لكل منهما على أرض فلسطين، تلك المبادرات لم تشكل خروجا مهما عن هذا الموقف.

مقابل هذا الإجماع على مستوى القوى الحزبية الإسرائيلية، لا بد من القول أن هناك مواقف جريئة وشجاعة لعدد من الأكاديميين والمثقفين الإسرائيليين، أولئك الذين ينشطون من أجل الاعتراف بنكبة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، وأنها كانت عملية تطهير عرقي، وبذلك فإن حق اللاجئين في العودة هو الطريقة الوحيدة المنطقية لتعويضهم عما تعرضوا له، ومن أبز هؤلاء الأستاذ الجامعي د. إيلان بابيه. كما توجد جمعيات غير حكومية تسعى إلى فتح حوار حول حق العودة للاجئين الفلسطينيين في إسرائيل، انطلاقا من إيمانها بهذا الحق، مثل جمعية زوخروت (تذكرون). فهي تعمل على رفع مستوى الوعي حول النكبة الفلسطينية بين أوساط اليهود الإسرائيليين، على أمل أن يؤدي ذلك إلى الاعتراف بمسؤولية إسرائيل عن تلك النكبة، ومن ثم القبول بعودة اللاجئين.

إن الوصول إلى اتفاق مشترك لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على قاعدة حقهم في العودة، يعتمد على حدوث تحول بين صفوف الإسرائيليين لصالح دعم هذا الحق، وهذا يبدو صعبا ونحن نرى أن الشارع الإسرائيلي يتجه نحو التطرف، سواء بالانحياز إلى القوى التي لا ترفض عودة اللاجئين فقط، بل لتلك التي تدعو إلى ترحيل من بقي من الفلسطينيين على أرضه إلى البلدان العربية المجاورة، أو تلك القوى التي تقبل بوجود دولة فلسطينية لكنها ترفض عودة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية في أراضي الـ ٤٨، مثل حيروت، تسومت، المفدال وغيرها.

الإمكانية الثانية: الحل من طرف واحد

القيادة الإسرائيلية بتلاوينها السياسية المختلفة، التي تجمع على رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين، تستطيع أن تستمر في موقفها هذا، لكن هذا الموقف لا يحل المشكلة. فالحلول البديلة للعودة مثل التوطين في البلدان العربية أو في بلدان أخرى، يحتاج إلى موافقة تلك البلدان، وهي تعلن تمسكها بالحل الذي أقرته الأمم المتحدة بقرار جمعيتها العامة رقم ١٩٤، فضلا عن عدم قبول اللاجئين أنفسهم بحلول بديلة لحق العودة.

فاللاجئون الفلسطينيون عندما تنبهوا أن حقهم في العودة بات مهددا بالضياع أو معرضا للمساومة بعد اتفاق أوسلو، بادروا إلى أخذ زمام المبادرة للرد على ذلك، فشكلوا هيئات للدفاع عن هذا الحق في مختلف مناطق تواجدهم، بدءا من الجليل في فلسطين الـ٤٨ إلى أمريكا الشمالية، مرورا بالبلدان العربية المضيفة وأوروبا. وخلال سنوات قليلة على نشوء تلك الهيئات، نجحت في أن تكون قوة سياسية، لها حضورها الشعبي الذي لا يستهان به.

قد تنجح إسرائيل في فرض الحل من طرف واحد على صعيد حدود الدولة الفلسطينية أو القدس أو المستوطنات أو ما يتعلق بسيادة هذه الدولة، على غرار انسحابها من غزة، أو لنقل كل ما يتعلق بقضايا الحل النهائي، لكن الوضع مختلف على صعيد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. فهذه المشكلة لها أبعادها الخاصة التي تجعل حلها ليس رهناً بإسرائيل فقط، لكنها تستطيع أن تستمر في رفضها لعودتهم، طالما أنها تمتلك القوة التي تمكنها من ذلك في مواجهة عجز عربي وفلسطيني. لكن هذا لن يؤدي إلى إنهاء هذه المشكلة، طالما بقي خيار أصحابها هو عودتهم إلى ديارهم الأصلية.

ما سبق يوضح لحد ما لماذا لا تزال النكبة مستمرة إلى الآن رغم مضي ٥٨ عاما عليها، أو لماذا لا يزال اللجوء الفلسطيني دون حل. إن إنهاء النكبة وحالة اللجوء مرهون بدور اللاجئين أنفسهم أولاً وأخيراً، وهذا يتطلب منهم العمل في إطار جهد جماعي لتنفيذ حقهم في العودة، ولأجل ذلك لا بد من بلورة خطاب سياسي مبني على مبادئ القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية يشرع ممارسة أي شكل من العمل المدعوم من المجتمع الدولي ليكون هذا الحق هو الأساس في حل مشكلتهم في أي اتفاق أو تسوية يمكن التوصل إليها. في الذكرى الأليمة للنكبة لا يزال حلم العودة حاضراً لدى اللاجئين الفلسطينيين، وسيبقى قائماً طالما تمسك به أصحابه.

رجا ديب هو منسق مجموعة عائدون في سورية، عضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة. ديب من مواليد العام ١٩٥٠، يحمل الماجستير في الفلسفة. وله أبحاث ومقالات عديدة حول القضية الفلسطينية عموما وقضية اللاجئين الفلسطينيين خصوصا.



الظاهرية التحتا، قضاء صفد، ٤٠٦ نسمة، هجرت في ١٠ أيار ١٩٤٨.

دلاّتة، قضاء صفد، ٤١٨ نسمة، هجرت في ١٠ أيار ١٩٤٨.

الزوق التحتاني، قضاء صفد، ١،٢١٨ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

صفد (عرب)، قضاء صفد، ١١،٠٥٥ نسمة، هجرت ١١ أيار ١٩٤٨.

الخالصة، قضاء صفد، ٢،١٣٤ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

قدّيتـــا، قضاء صفد، ٢٧٨ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

البويزية، قضاء صفد، ٥٩٢ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

بيت دراس، قضاء غزة، ٣،١٩٠ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

فرّونة، قضاء بيسان، ٣٨٣ نسمة، هجرت في ١١ أيار ١٩٤٨.

السموعي، قضاء صفد، ٣٦٠ نسمة، هجرت قي ١٢ أيار ١٩٤٨.

معذر، قضاء طبريا، ٥٥٧ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

حدثا، قضاء طبريا، ٦٠٣ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

عولم، قضاء طبريا، ٨٣٥ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

الجوفي، قضاء جنين، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

أم الشوف، قضاء حيفا، ٥٥٧ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

السنديانة، قضاء حيفا، ١،٤٥٠ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

صبارين، قضاء حيفا، ١،٩٧٢ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

خبيزة قضاء حيفا، ٣٣٦ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

كوكبا، قضاء غزة، ٧٨٩ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

حليقات، قضاء غزة، ٤٨٧ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

برير، قضاء غزة، ٣،١٧٨ نسمة، هجرت قس ١٢ أيار ١٩٤٨.

الفاتور، قضاء بيسان، ١٢٨ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

تل الشوك، قضاء بيسان، ١٣٩ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

الساخنة، قضاء بيسان، ٦١٥ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

زبعة، قضاء بيسان، ١٩٧ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

الحميدية، قضاء بيسان، ٢٥٥ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

الأشرفية، قضاء بيسان، ٢٦٧ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

بيسان، قضاء بيسان، ٦،٠٠٩ نسمة، هجرت في ١٢ أيار ١٩٤٨.

سمسم، قضاء غزة، ١،٤٩٦ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

نجد، قضاء غزة، ٧١٩ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

برقة، قضاء غزة، ١،٠٣٢ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

نكبة فلسطين وأزمة الخطاب العربي المعاصر

بقلم: د. تركي علي الربيعو

يبدو للمتتبع لحركية الخطاب العربي المعاصر، في النصف الثاني من القرن العشرين وحتى بداية الألفية الجديدة، تأثره الواضح بأطروحة المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي في التحدي والاستجابة، والتي ما تزال تفعل فعلها في خطاب عربي يمزج بين الميثولوجيا الدينية وبين السياسة، ولكن بصورة أكثر مأساوية وتراجيدية. فعلى طول المسافة التاريخية الممتدة ما بين نكبة ١٩٤٨ التي انتهت باحتلال فلسطين الى النكبة / الكارثة ممثلة بالحرب العدوانية التي شنها التحالف على العراق والتي انتهت باحتلال بغداد، والخطاب العربي المعاصر لم يمل من دفع مرافعاته النكبوية إلى الواجهة باستمرار، التي تنشد النكبة والكارثة، وما يزال يدعو القدر التاريخي لأن ينزل بنا مزيداً من النكبات والكوارث والصدمات علّنا نستفيق من هول الكارثة ونرد على التحدي. أليس التحدي الخارجي هو المهماز الذي أيقظ وعينا القومي بعد أن تكلست بيضته ؟ ويتساءل المتتبع لمسيرة هذا الخطاب عن سر هذه الانفعالية التي تلازم خطابنا المعاصر بكافة صنوفه (القومي والديمقراطي والنهضوي عموماً) والتي تكاد أن تكون علامته الفارقة؟ عن السر الذي يدفع بهذا الخطاب إلى مزيد من الهروب إلى الأمام كما يرى محمد عابد الجابري في تشخيصه لنقاط قوة وضعف هذا الخطاب؟ إلى تخوم الانفعال السياسي في الوقت الذي يزعم فيه أنه يؤسس لخطاب عقلاني في النهضة والسياسة؟ وإلى تخوم الفكر الميثولوجي الذي لا يرى إمكاناً للقيامة والبعث إلا عبر المرور بدرب الآلام؟ وأخيراً عن البؤس النظري الملازم لهذا الخطاب والذي لم يفارقه أبداً؟

أسئلة عديدة، وما أكثرها، تفرض نفسها في سياق البؤس النظري والسياسي لهذا الخطاب وهو ينشد النكبة الكارثة، وليس هذا فحسب، بل، وهو يتمنى المزيد من الكوارث، لاعتقاده، بأن النكبة هي شرط للنهضة المرتقبة، فلا نهضة بدون نكبة، ولا بعث بدون درب الآلام والذي يستعير معظم بواعث التعبير عن نفسه – كما أسلفت – من ميثولوجيا العهد الجديد التي ظلت محايثة للخطاب القوموي العربي، دافعة إياه إلى الظلال الوقائية لنزعة مازوخية بقيت تمارس مزيداً من تعنيف الذات العربية وجلدها، ظناً منها أن ذلك طريق الخلاص. لا بل أن بعض المثقفين العرب وفي سياق الحرب الإمبريالية على العراق، راح يتمنى الهزيمة فمن شأن الهزيمة/الصدمة أن توقظ العرب.

كان من الممكن أن نسهو عن هذا الخطاب، وعن الزخم الإيديولوجي الذي رافقه ممثلاً بـ " الإيديولوجيا الإنقلابية "، إلا أن عودته بصورة لا لبس فيها وهو يرتدي معطف الحداثة محيطاً نفسه بكل تقنيات الأسئلة الحداثوية، هو الذي دفعنا إلى قراءة هذا الخطاب الانفعالي الذي تنفع معه كل عدة التحليل النفسي بحق، وذلك بهدف فضح عيوبه وإظهار تناقضاته وذلك على الرغم من تحفظنا المستمر على هواة التحليل النفسي.

تعود جذور هذا الخطاب الى هزيمة ١٩٤٨ واحتلال فلسطين، ففي بحثه عن " الفعالية الثورية في النكبة " وصف المفكر القومي نديم البيطار نكبة ١٩٤٨ بأنها " نعمة "، لأن نزول النكبة، بنا، يفتح في الواقع كما يرى البيطار دورة تاريخية جديدة أمامنا، لأنه يعلن موت الوجود العربي التقليدي، لذلك كانت النكبة من وجهة نظره ذات طبيعة انقلابية كبرى.

إن الموضوع الأساسي الذي يدور من حوله البيطار، هو مأساة الوجود العربي التقليدي، الذي أصبح بمثابة حجر عثرة في طريق النهضة، إن لم نقل صخرة كبيرة كما حاول أن يقنعنا البيطار وعبد الله العروي (العرب والفكر التاريخي، ١٩٧٣) وياسين الحافظ (الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة، ١٩٧٨) وإحسان مراش (مدخل الى تطبيق الماركسية في الواقع العربي، ١٩٧٥) وكثيرون، فالتقليد هو داء الأمة، الجاثم على صدرها والذي ينيخ بكلكله عليها ولا مزحزح له إلا الكارثة / النكبة، من هنا كان للنكبة طابعاً ثورياً كما يرى البيطار.

لم تكن ردة الفعل العربي على النكبة، ردة ثورية فعالة ومتكاملة كما يشتهي البيطار. ولم يتم اكتشاف القوانين الثورية للنكبة، كذلك لم ينتج عن سحر الخطاب المحكوم بمفاهيم الثورية والانقلابية أية نتيجة، وجاءت النكبة الجديدة، نكبة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ولم تكن نعمة، لا بل أنها فاقت جميع النعم التي يمكن استخلاصها منها على حد تعبير المفكر المغربي عبد الله العروي الذي راح يسخر من تهافت الخطاب الثوروي العروبوي الذي ينشد الكارثة. وتوالت الكوارث والنكبات وبقي جرحنا النرجسي فاغر الفم،



من أنشطة النكبة ٢٠٠٥ (بديل)



وازدادت حيرة الخطاب الإنشائي الثوروي الذي حوّل الهزيمة إلى انسحاب والنكبة إلى درس يمكن استخلاص نتائجه، كذلك الخطاب اللاحق الذي استعان على عجل بالتحليل النفسي، والذي حوّل هزيمة حزيران / يونيو إلى رضة، والرضة تقع بين الصدمة والكارثة كما يقول هذا الخطاب ولا تدفع إلى إيقاظ الوعي. بهذا أنقذ الخطاب العربي نفسه من المأزق في تفسيره لعدم استفادتنا من درس النكبة، وراح يتطلع بدوره إلى كارثة جديدة تفوق بحجمها مجموع ما حصل وتكون بمثابة صدمة تساهم في إيقاظ الأمة النائمة.

بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٨٢ ودخول القوات الإسرائيلية إلى قلب بيروت، راح لفيف من المثقفين العرب الراديكاليين (الطيب تيزيني وصادق جلال العظم على سبيل المثال) يتحدثون عن مرحلة ما بعد بيروت ١٩٨٢، كحد فاصل بين الثورة والخيانة، بين النكبة والنهضة، فقد آن الآوان وطفح الكيل بما فيه، لكن شيئاً من هذا لم يحدث. فقد تاه الأول – أي الطيب التيزيني – في تحليلاته الأرثوذكسية للتراث، وبقي الثاني – أي العظم – أسير انطباعاته الدينية (انظر كتابه في " نقد الفكر الديني "، ١٩٦٩) وأسير حالة الحصار التي دفعته باتجاه الدفاع عن الماركسية باعتبارها سقفاً للتاريخ. وجاءت حرب الخليج الثانية ١٩٩١ ولكنها –ويا للمفارقة – لم تكن بمستوى الكارثة التي يتمناها ويدعو لها الخطاب العربي المعاصر.

في بحث مطول وتحت عنوان " نحو تحرير الروح العربي الإسلامية من عقالها " كتبه هاشم صالح ونشرته المجلة العمانية " نزوى " في عددها الثامن تشرين اول/ أكتوبر ١٩٩٦ – جمادى الأول ١٤١٧ هجرية، عبّر هاشم صالح، عن أمنيته في حدوث كارثة ولكن كارثة من شأنها أن تدفع إلى انهيار، وهو يشدد على ذلك بقوله "ينبغي أن يحصل انهيار وأن يتفجر في وجهنا الزلزال"، فمن شأن الانهيار وكما اعتقد البيطار أن يولد مزيداً من الأسئلة، بصورة أدق، أن يدفع بالأسئلة المحجوبة في أعماق الواقع والمكبوتة في تلافيفه إلى الواجهة. إن هاشم صالح يدفع إلى الواجهة بنظرية التحدي والاستجابة ولكن بصورة أكثر فجائعية بحيث يمكن القول إنها التعبير الأكثر حدة عن أيديولوجيا الإحباط التي تستبطن مسيرة الخطاب العربي المعاصر والتي تدفعه إلى النكوص على عقبيه والدعاء على مجتمعه بالويل والثبور، فهو لايتمنى للكارثة أن تكون على مستوى الأمة فحسب، بل يدعو لها أن تطال المفكرين و المثقفين العرب، وهو هنا يقيس على التاريخ الأوربي وعلى تاريخ المفكرين الأوربيين. فلو لم يكن نيتشه مصاباً بعاهة العمى والمرض لما فجَّر المكبوت من الأسئلة (مساكين هم المثقفون العرب الذين يدعو عليهم هاشم صالح بالعمى والعاهات).

من فلسطين إلى العراق الذي تحتل أراضيه من قبل القوات الأميركية – البريطانية الغازية، بقي الحال على نفسه، ويفي الخطاب العربي المعاصر على نفسه مستعيراً معظم دوافع التعبير عن حاله من أيديولوجيا الهزيمة والإحباط، التي تعشش في أروقته كفطر ذري سام، ففي سياق العدوان الأميركي – البريطاني على العراق، راح المفكر السعودي تركي الحمد يدعو القدر التاريخي أن ينزل بالأمة مزيداً من الصدمات، فما نحتاجه هو صدمات و صدمات، علّها أن تدفع الجثة الهامدة إلى شيء من الحراك.

يندفع الحمد وهو ينظر إلى العدوان الثلاثي الجديد على العراق إلى شيء من المقارنة بين الأمس البعيد واليوم، بصورة أدق، بين الحملة الفرنسية على مصر التي أيقظت الوعي عند العرب بضرورة الحداثة، وبين الحملة الأميركية الحالية على العراق التي يدرجها الحلفاء تحت راية " الحرية للعراق " يكتب الحمد: "بذات المنطق– ويقصد منطق حملة نابليون على مصر – يمكن القول إن شعارات الحملة الأميركية في واشنطن، و قد تكون من ضمن الأهداف فعلاً، و لكن لأنها تخدم مصلحة معينة و ليس للقيمة الذاتية للمبدأ نفسه. و لكن في النهاية ستبقى المبادئ و مضامينها، و ليس من الضروري أن يستمر الوجود الأميركي. ففي أحيان كثيرة، يكون الوضع في هذا البلد أو ذاك، في هذا المجتمع أو ذاك من السكون و الجمود وثبات الحال إلى درجة فقدان الحيوية و الحياة، بحيث لابد من صدمة كهربائية قوية من خارجه، أي خارج المجتمع العربي، كي تعيد له الحياة و الفاعلية الذاتية. هذا ما حدث في بروسيا بعد الحملة النابليونية حين أدت إلى بعث الروح في الحياة الألمانية، فازدهر الفكر والأدب والفن، و توحدت الولايات الألمانية بعد ذلك في دولة واحدة استطاعت أن تجد لها موطئاً بين الأمم، و مكاناً تحت الشمس في كل المجالات. و هذا ما حدث في اليابان بعد أن كادت الحداثة اليابانية أن تضيع في مغامرات العسكر وبحثهم عن المجد في مغامرات عسكرية غير مجدية. وهذا ما حدث للصين حين أعاد الاستعمار البريطاني، من حيث لا يشعر ولا يريد بطبيعة الحال، الروح إلى مجتمع نخر فيه الفساد، و كان يهوي كما يتهاوى ضرس نخره السوس حتى الجذور. وهذا ما حدث لمصر والمشرق العربي حين غزاهما نابليون، فأعاد العرب إلى الوعي بالعصر الذي يعيشون فيه، ولكنهم نكصوا على أعقابهم بعد ذلك، فكان لابد من صدمات و صدمات، إذ لعل وعسى، فمكر التاريخ لا يعرف الاستسلام".

وينهي الحمد حديثه بالقول: "الحملة الأميركية الحالية على العراق، بكل ما يمكن أن يكون لها من سلبيات قريبة أو بعيدة على المنطقة، إلا أنها قد تجبر العرب على الانخراط في العولمة، ومن ثم العصر، وبالتالي الحداثة، بكل أبعادها، و من ثم المشاركة في بناء عالم كانوا يشعرون أنهم لا ينتمون إليه ولا ينتمي إليهم، وهنا تكمن المعضلة الحضارية العربية".

وفي رأيي أن هذه الانفعالية التي تطغى على الخطاب العربي المعاصر وتدفعه إلى تمني الكارثة / النكبة لمجتمعه وأهله، تعبر بحق عن سوداوية وصلت إلى أقصى درجات التطرف عند المثقف العربي، وتظل بمثابة التعبير الحي عن بؤس الثقافة والسياسة معاً، لدى المثقف النخبوي أو الذي ظن حاله كذلك.

د. تركي علي الربيعو هو كاتب وباحث سوري من مواليد القامشلي في العام ١٩٥١. له العديد من البحوث والدراسات منها، "أزمة الخطاب التقدمي العربي في منعطف الالف الثالث-الخطاب الماركسي نموذجا"؛ "الاسلام والغرب الحاضر والمستقبل"؛ "الاسلام وملحمة الخلق والاسطورة"؛ "من الطين الى الحجر"؛ "العنف، والمقدس والجنس". للكاتب مساهمات في عدد من الصحف العربية أيضا.

تداعيات النكبة على أوضاع الفلسطينيين في إسرائيل

بقلم: د. أسعد غانم



إن أهم ما يميز النكبة عن غيرها من الأحداث التي عصفت بالفلسطينيين وحركتهم الوطنية هو في كونها شاملة ومستمرة. شاملة من حيث عمق ما نتج عنها من ضرب الفلسطينيين وجوانب حياتهم المختلفة بحيث لم يترك أي مجال أو جانب من جوانب حياتهم من غير أن يتضرر مما حدث؛ ومستمرة بما يتعلق بحقيقة أن ما حدث خلال النكبة من خراب واحتلال وهدم وإجلاء ومظاهر أخرى، كلها لا زالت مستمرة ومؤثرة يومياً على حياة الفلسطينيين وعلاقتهم بإسرائيل. بل وأكثر من ذلك، فإن الأحداث التي تواكب الفلسطينيين عامة، بما في ذلك مواطني اسرائيل خاصة، هي بالاساس نتيجة لعلاقتهم بإسرائيل والتي أقيمت على خلفية النكبة وكأحد أهم نتائجها.

يمكن الإدعاء أساسا وبشكل بديهي تقريبا، بأن مشروع الصهيونية هو مشروع شامل أطبق على كل مناحي الحياة الفلسطينية، بحيث عرض وطبق كمشروع بديل وشامل لكل الوضع الفلسطيني. بني وخطط له لكي يستبدل الوجود الفلسطيني السياسي والمادي بدولة يهودية ذات أغلبية ديمغرافية يهودية وتم تنفيذه من خلال قرارات وخطوات عينية نفذت ضد الوجود الفلسطيني، في المدينة والقرية والتجمعات البدوية.

بالمقابل، أدت النكبة الى تخريب البنى الأساسية للمجتمع الفلسطيني بحيث تم الإجهاز على كل البنى السياسية من أحزاب ومؤسسات وقيادات، والبنى الثقافية مثل النوادي والمسارح والجرائد والمجلات، والمبنى الاجتماعي المتأصل في المجتمع الفلسطيني والمستحدث بالأساس في المدن الفلسطينية والمرافق الاقتصادية التقليدية والجديدة.

وتعتبر أوضاع الفلسطينيين في إسرائيل بعد النكبة وحتى الآن أوضاعا غير طبيعية، من حيث تحطمت البنى الإجتماعية والسياسية والاقتصادية، واستبدلت بواقع جديد محكوم من قبل إسرائيل ومؤسستها العسكرية والسياسية والأمنية، بحيث تم استحداث نظام سيطرة مركب نفذ من خلال الحكم العسكري بالاضافة الى مؤسسات علنية ومخفية أخرى.

ما نعايشه اليوم، هو بالأساس نتاج النكبة وحيثياتها، وبالأساس هو إستمرار للمركبات التي نتجت عن النكبة وأهمها الوجود المادي من جهة، في إسرائيل كدولة يهودية– صهيونية تطبق سياسات وتكتيكات سياسية تنبع من إلتزامها تجاه المبنى السياسي الذي يحمل ملامح النظام المبني على أساس التفوق العرقي، ومن الجهة الأخرى الانقطاع المادي والنفسي والوطني العام عن باقي قطاعات الشعب الفلسطيني وبالأساس عن المركز السياسي الذي أخذ يتشكل في المنفى خارج فلسطين.

على مستوى العلاقة مع اسرائيل، فقد أقدمت إسرائيل على اتباع وسائل مركبة للسيطرة على الفلسطينيين من مواطنيها والحاقهم كهامشيين في دوائر حياتها المختلفة وبالأساس لأجل إبعادهم، عملياً واجتماعياً وحتى نفسياً، عن إخوتهم الفلسطينيين خارج حدود إسرائيل. وتعمدت اسرائيل في التطبيق برسم عدد من السياسات منها:

أ – قطع صلة الهوية بين الفلسطينيين في اسرائيل وباقي اجزاء الشعب الفلسطيني والأمتين العربية والاسلامية وبناء مجموعة جديدة "عربية اسرائيلية".

ب – منع الفلسطينيين في اسرائيل من التواصل المادي والمعنوي مع إخوتهم في الضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزه، وخصوصا فيما يخص الأماكن المقدسة والتي تمثل رمزا روحيا جامعا للفلسطينين وللعرب وللمسلمين.

جـ – منع تنظيم الفلسطينيين في اسرائيل خارج ما تريده الأكثرية والدولة من حيث التنظيم البرلماني، والتدخل لمنع اية امكانية جدية وملهمة لنسبة كبيرة من الفلسطينيين في اسرائيل خارج التنظيم المعني بالانتخابات البرلمانية وخصوصا اذا كان هذا التنظيم شعبي ويحظى بدعم جدي من قبل الفلسطينيين في اسرائيل.

د – ضرب اية قيادة جدية تحاول تنظيم الفلسطينيين في اسرائيل او تبني لهم رؤيا مناهضة للتسليم بوضع الاقلية في الدولة اليهودية والتي ترضى في نهاية المطاف بالسيطرة اليهودية على الدولة ومقدراتها.

هـ – اجبار الفلسطينيين في اسرائيل على القبول بكون موارد الدولة توزع حسب المفتاح الاثني وليس حسب المواطنة حتى يتسنى للدولة الحفاظ على التفوق اليهودي والدونية العربية.

وقد نجحت إسرائيل في إنجاز بعض من مراميها رغم أنه من الواضح بأن جزءاً مما أرادت لم يتحقق لها بفضل مجموعة من العوامل، التي لا يحتمل هذا المقال الخوض فيها.

على مستوى الوضع الداخلي للمجتمع الفلسطيني، من الواضح تماماً بأن آثار النكبة نتيجة للتغيرات الإجتماعية والديموغرافية الجمة التي مر بها الفلسطينيون عموماً كانت ولا زالت حاضرة في الواقع الفلسطيني في اسرائيل، وأهمها وضع المتاهة الاجتماعية التي نشأت بعد هدم البنى الإجتماعية قبل النكبة وحالة التفكك الوطني التي رافقت ذلك وخصوصاً على مستوى العلاقات بين الطوائف والعائلية وحتى على مستوى العلاقة الوطنية بين سكان الجليل والمثلث والنقب.

إن غياب قيادة وطنية نتيجة للنكبة لا زال يواكب حياة الفلسطينيين في اسرائيل حتى اليوم، وخصوصاً على ضوء سعي السلطة لمنع انتخاب قيادة وطنية جماعية للفلسطينيين في اسرائيل. فمنذ الخمسينات والستينات، حظر الحكم العسكري على الفلسطينيين في اسرائيل انتخاب ممثليهم بحرية ولا زال هذا الوضع مسيطراً حتى اليوم. ورغم أن هذا الوضع تغير قليلاً بعد إقامة لجنة المتابعة العليا لشؤون المواطنين العرب، حيث قادت هذه اللجنة الجهود السياسية للعرب ابتداء من السبعينات، وبلغ نشاطها ذروته في الثمانينيات من القرن الماضي، عند اعلان إضراب "يوم المساواة"، واضراب "يوم السلام". لقد رمى الإضراب الأول الى التعبير عن الإجماع الوطني العربي فيما يتعلق بمساواة مكانة العرب في اسرائيل. أما الإضراب الثاني فكان هدفه الإعراب عن الدعم العربي العام لإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

منذ ذلك الوقت، تداعت مكانة لجنة المتابعة بالتدريج، وفقدت الكثير من مساندة الجمهور العربي الفلسطيني، وذلك بسبب انعدام نجاعتها الداخلية وصراع القوى بين مختلف الفئات الأيديولوجية الممثلة فيها. ولم تقم لجنة المتابعة بأي دور ذو أهمية في تسعينيات القرن الماضي، ونحتها مؤسسات الدولة جانبا. وكانت إحدى الصعوبات الجوهرية في عمل اللجنة في كون الجمهور العربي الفلسطيني لم ينتخبها ديمقراطيا كي تمثله على المستوى الوطني. ويعتمد عمودها الفقري على رؤساء السلطات المحلية العرب، الذين يتم انتخابهم بانتخابات محلية التي تعتمد في أغلب الأحيان على الروابط العائلية والدينية، وإن كانت تجري بطريقة ديمقراطية.

كما أن الدولة عمدت الى منع حدوث تطور إقتصادي مؤثر في المجتمع الفلسطيني وبشكل متعمد كي يبقى الفلسطينيون تابعون للأكثرية في مصادر رزقهم، إذ فقد هذا المجتمع الأسس الزراعية نتيجة سلسلة من مصادرات الاراضي التي نقلت الى الوسط اليهودي. إضافة الى أن إسرائيل لم تشجع أو تبادر الى تطوير بنية صناعية في الوسط العربي. نتيجة لذلك، يسافر الكثيرون من العمال العرب يوميا للعمل في المدن اليهودية. وتدل البحوث التي أجريت في الأعوام الأخيرة فيما يتعلق بالتطور الاقتصادي على وجود تقدم ما في هذا الشأن، الا إن الهوة العميقة بين الوسطين آخذة في التوسع. إن اسباب المشكلة الاقتصادية والتي يغذي الواحد منها الآخر هي غياب بنية اقتصادية داخلية والاعتماد المطلق على الوسط اليهودي الناجم عن هذا الغياب.

كما وجد الفلسطينيون داخل إسرائيل أنفسهم في أعقاب نكبة العام ١٩٤٨ منعزلين رغم أنفهم عن الثقافة الفلسطينية وعن العالم العربي. وأدت الحرب كذلك الى هدم تام لمراكزهم المدنية، وللطبقة الوسطى والنخبة التي كان في قدرتها مواصلة تنمية الثقافة العربية الفلسطينية. لقد ظل السكان العرب تحت هذه الظروف بلا بنية تحتية قادرة على تنمية واستحداث ثقافة عربية، وبلا قنوات تصلهم بالثقافة العربية الام. وقد فتحت الطريق الاولى على العالم العربي بعد الهزيمة العربية أمام اسرائيل في العام ١٩٦٧، لكن على الرغم من ذلك فإن الثقافة الفلسطينية التي كانت تسودها شعارات مقاومة ومحاربة اسرائيل ظلت محظورة. وعندما فتحت، بمرور الزمن، قنوات على العالم العربي كانت الثقافة هناك تعاني أزمة ثقافية مصيرية. لقد قدمت إسرائيل في مقابل ذلك مؤسسات ونشاطات ثقافية، لكن بما أن هذه المؤسسات تسودها شعارات يهودية – صهيونية، ظل للعرب إمكان تبني القشور الخارجية للثقافة الاسرائيلية الغربية من دون صلة بجذورهم الاصلية الخاصة بهم.

إضف الى ذلك، أن وضعية الفلسطينيين في اسرائيل كجزء من الشعب الفلسطيني تشكلت على ضوء اقصاء من الحركة الوطنية الفلسطينية نتيجة لما كان من آثار النكبة من حيث بقائهم في وطنهم بينما سعى الشعب الفلسطيني في المنفى وفي الضفة وقطاع غزة الى نسج مباني المؤسسة الوطنية والمشروع السياسي الفلسطيني في الأراضي التي احتلتها اسرائيل في العام ١٩٦٧، بينما في الواقع بدأت قضية الفلسطينيين في اسرائيل بعد قيام دولة اسرائيل وهي جزء لا يتجزأ من القضية الفلسطينية بمفهومها الواسع.

لم تر الحركة الوطنية الفلسطينية في هموم الفلسطينيين في إسرائيل الوطنية موضوعا رئيسيا على جدول الاعمال الوطني. وتعاملت اسرائيل دائما مع كل وضعية للفلسطينيين فيها على انها مسألة اسرائيلية داخلية، وحذت حذوها منظمة التحرير الفلسطينية التي لم تطرح قضايا تتعلق بالفلسطينيين في اسرائيل على طاولة المفاوضات مع اسرائيل. من جهتهم، لم يمارس المواطنون الفلسطينيون في اسرائيل ضغطا من اجل السير في هذا الاتجاه، ربما لأنهم أدركوا أن أية خطوة في مثل هذه الحساسية قد تؤدي الى تعطيل العملية السلمية برمتها ومس علاقاتهم بالدولة.

لقد كانت منظومة العلاقات بين الفلسطينيين في اسرائيل وبين الشعب الفلسطيني ومؤسساته دائما ذات حساسية فائقة بالنسبة إليهم كأفراد وكمجموعة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ العداء بين الحركة الصيونية والحركة الوطنية الفلسطينية وجدنا أن الهوية الفلسطينية للفلسطينيين في إسرائيل كانت دوما مصدر تهديد بالنسبة الى السلطات وإلى الجمهور اليهودي الواسع في إسرائيل. وبما أن منظمة التحرير الفلسطينية إعتبرت "تنظيما ارهابيا" من قبل إسرائيل حتى عقد التسعينيات فإن كل صلة بينها وبين مواطني اسرائيل كانت تعتبر مخالفة للقانون.

تتمثل الضائقة، على صعيد العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والفلسطينيين في إسرائيل، في الفجوة بين الوعي الذاتي لكونهم فلسطينيين وبين الانتماء الى الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير وعلى الرغم من أن المنظمة تعتبر لدى الشعب الفلسطيني، بما في ذلك مواطني اسرائيل، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، فإنه لم يزعم أحد، لا منظمة التحرير ولا الفلسطينيون في إسرائيل، أن المنظمة تمثلهم أيضا. لذلك لم تكتمل قط صيغة الاستنتاج القياسي : (أ) منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. (ب) الفلسطينيون في اسرائيل جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني. (ج) وبالتالي فإن منظمة التحرير الفلسطنيية تمثل الفلسطينيين في اسرائيل. وبعد أن بدأت اسرائيل المفاوضات العلنية مع منظمة التحرير برزت من جديد مسألة العلاقات بين الفلسطينيين في إسرائيل والحركة الوطنية الفلسطينية كأمر مركب أكثر مما كان متوقعا.

إن الاتفاق الضمني بين الاطراف: منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل والفلسطينيين في إسرائيل، حوّل هذه المجموعة ومشكلاتها الى جزء خاف عن العيان على الصعيد الفلسطيني. وأصبح من الواضح تماما للعرب الفلسطينيين في إسرائيل أن مشكلاتهم مع الدولة هي مشكلات خاصة بالعرب كأقلية وتتعلق بهم فقط. ومع مرور الوقت، إتضح للعرب الفلسطينيين في إسرائيل أنه لا يوجد أمامهم أي امكانية عملية لأن يكونوا جزءا من الحركة الوطنية الفلسطينية في الظروف الراهنة، على أساس من المساواة مع الفئات الفلسطينية الأخرى. لقد تطور مركز الحركة الوطنية الفلسطينية في الشتات، ثم في الضفة الغربية وفي قطاع غزة، حيث أنشىء وطور مختلف المؤسسات التابعة لهذه الحركة، أما الفلسطينيون في إسرائيل فقد كانوا على هامش هذه التطورات.

إن السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وفي قطاع غزة تشكل عمليا قيادة الكيان السياسي في الضفة والقطاع، وهناك في حدود السلطة الفلسطينية، نشأ المركز السياسي للفلسطينيين، كما ستواصل الحركة الوطنية تطورها وإنشاء مؤسساتها في هذا الاطار. وحيال ذلك، ستشتد أزمة الفلسطينيين في إسرائيل، إذ لن يتمكنوا من أن يصبحوا جزءا من هذا المركز، أو شركاء في إقامة المؤسسات الوطنية. وقد يصح الافتراض أن الحركة الوطنية الفلسطينية ومركز الكيان الفلسطيني لن يشاءا، هما أيضا، استيعاب الفلسطينيين في اسرائيل كشركاء متساوين في الحركة الوطنية الفلسطينية، حتى لو لم يكن ذلك إلا خشية تعقيد العلاقات بين هذا الكيان ودولة اسرائيل، علما بأن كلا من الأغلبية اليهودية ومؤسسات الدولة ستعارض مثل هذه الخطوة. وسيواصل الفلسطينيون في إسرائيل، إذا، العيش في فلسطين التاريخية، وسيبقون على هامش التطورات الفلسطينية المركزية، ولن يكون لهم مناص في هذه الظروف الا إعادة صوغ هويتهم كفلسطينيين كي يتمكنوا من التغلب على هذه الضائقة.

ان الاحداث التي تعصف بالحركة الوطنية حالياً والمتزامنة مع الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة والتي لا زالت آثارها تلازمنا في كل نواحي الحياة، هي مناسبة لإعادة التفكير في الآثار التي قبلنا بوجودها في حياتنا كأثر من النكبة، لكننا نستطيع أن نغير بعضها ولو جزئياً. على سبيل المثال، نستطيع نحن الفلسطينيون في إسرائيل الخروج من هامش العمل السياسي في إسرائيل الى عمل سياسي مبادر يحضّر لتغيير أساسي في أسس العلاقة بيننا وبين الدولة الاسرائيلية من جهة، وبيننا وبين الحركة الوطنية الفلسطينية من الجهة الاخرى. ذلك يكون عن طريق المبادرة الى إقامة مركز فلسطيني خارج الكنيست الاسرائيلي، في الناصرة، يمكن أن يتحقق اذا بادرنا الى انتخاب هيئة وطنية ممثلة لنا، وهذا هو الأمر الأهم وطنياً على ساحة عملنا الوطني في المستقبل القريب.

د. أسعد غانم هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا، وهو رئيس مجلس ادارة جمعية إبن خلدون- الجمعية العربية للبحوث والتطوير. لغانم دراسات عديدة حول الفلسطينيين داخل إسرائيل.

نتوارثها جيلا بعد جيل

بقلم: د. كرمة نابلسي

"يجب أن نفعل كل ما بوسعنا لنضمن أنهم (الفلسطينيون) لن يعودوا... سيموت الكبار وسينسى الصغار" هكذا قال دافيد بنغوريون مؤسس دولة إسرائيل عام ١٩٤٩.

لم ينسى الصغار. فهم اليوم القائمون على الاحتفالات الشعبية والاجتماعات الحاشدة والمسيرات ومظاهرات العودة والذكرى. الفلسطينيون الشبان في كافة أرجاء العالم يحيون ذكرى النكبة الثامنة والخمسين ليستذكروا كارثة ١٩٤٨ تلك اللحظة التي ترمز لدمار فلسطين والمجتمع الفلسطيني والتهجير والتشتيت العنيفين اللذين حلاّ بالشعب الفلسطيني. حلّة كاملة من المناسبات تجري في مخيمات اللاجئين وفي ساحة مدينة رام الله وفي كافة أرجاء فلسطين المحتلة وكذلك في ساحات جامعات أوروبا وأمريكا وكندا، في المنافي وفي تجمعات اللاجئين في كافة زوايا العالم: أمسيات وشهادات مصورة ومحاضرات ومعارض وذكر أسماء أكثر من ٤٠٠ قرية مدمرة في الكنائس المحلية وقراءات شعرية على ضوء الشموع ورحلات منظمة إلى تلك القرى يقوم عليها الفلسطينيين الذين ما زالوا يعيشون في ما أصبح يسمى دولة إسرائيل منذ أيار ١٩٤٨، وعلى مدى الأسبوعين الماضيين اجتمع مواطنين إسرائيليين – عربا ويهودا – معا في مسيرات يومية تقريبا واجتماعات حاشدة وزيارات للقرى المدمرة على متن حافلة زوخروت رقم ١٩٤، (الذي سمي باسم قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٩ والذي يدعوا إلى عودة الفلسطينيين المنفيين إلى ديارهم) وفي الاجتماع الجماهيري في موقع قرية أم الزينات كان سليم الفاهوم البالغ من العمر الآن خمسة وستين سنة طالبا في المدرسة الابتدائية، عندما دخل الجنود إلى القرية قبل ثمانية وخمسين سنة لطردهم منها. قال سليم لصحفي إسرائيلي، "إن حضور الفتية من الجيل الثالث والرابع بعد الانتفاضة يعطيني إحساسا بالراحة لأنني بهذا أعرف أن الشعلة لم تنطفئ وإنما تنتقل من جيل إلى جيل".

في جامعة لندن بالأمس، ٧ أيار ٢٠٠٦، كان هنالك ندوة نظمها طلبة فلسطينيون. أما في جامعة أوكسفورد فيقوم الطلاب العرب والبريطانيين بتنظيم فعاليات إحياء ذكرى النكبة. وقد أحيى الشبان والنشطاء الفلسطينيين ذكرى النكبة في جامعة بيرمينغهام وجامعات بريطانية أخرى. يتكرر ذات الشيء في كافة أرجاء العالم حيث ينتشر أكثر من سبعة ملايين لاجئ فلسطيني. وبخلاف المناسبات الرسمية التي تقامي من قبل دول قائمة، من أجل بناء هويتها القومية فإن لحظات النكبة هذه تتميز بطابع حيوي فريد. فقد قامت معظم الشعوب بمأسسة مآسيها القومية في أحداث تذكارية حكومية وذلك كوسيلة لتكريم أبطالهم المتوفين. ولكن تلعب هذه الأحداث دورا مختلفا تماما في حياة الفلسطينيين اليوم. ببساطة ليست غياب الدولة ذات السيادة عن تنظيم المظاهرات الرسمية لإحياء الذكرى هو الذي يجعلها كذلك (مع أن هذا جزءا من القصة). ولا يكمن طابعها الفريد في حقيقة أنها محركا للهوية، يبرز بشكل كامل من القاعدة الجماهيرية وتحركه الأجيال الشابة من النشطاء السياسيين الفلسطينيين (مع أنها مميزة من هذا الجانب). كلا هذين العاملين يشيران إلى ميزة موحدة: بخلاف البيانات الاجتماعية والثقافية الأخرى للهوية القومية، هذا التأكيد بعينه والطريقة التي يرتبط الإنسان بها هو أمر سياسيّ متجذر.

لماذا يتميز تذكّر النكبة حديث النشوء بكونه يقوم على أساس سياسيّ من حيث بنائه؟ إنه كذلك لأن الفعل الذي يؤديه يرتبط بشكل حميميّ بحقيقة المقاومة أكثر من كونه يبحث عن احتواء ذكريات الماضي المجيدة أو المأساوية. وكما تعلن أحدى مخطوطات الحائط الضخمة الكائنة على جدار الفصل: "أن تكون موجودا يعني أن تقاوم". تميز هذا المشروع المعادي للفلسطينيين الذي بدأ في مطلع القرن الماضي بأن له طبيعة مزدوجة: أولا، إنكار مفهوم فلسطين كليا وتدمير مؤسساتها السياسية والاجتماعية. وثانيا، تبديد الروح الجماعية للشعب الفلسطيني وذلك لكي ينسوا هويتهم الجماعية حالما يتشتتون بعيدا عن فلسطين، ولذا فإن إحياء ذكرى النكبة ليس مجرد محاولة لمأسسة جرح تاريخي قومي أو وسيلة لندب الخسارة التي عاشها جيل ١٩٤٨، أو جراء الخوف من أن تصبح تلك الذكرى باهتة عندما يموت ذلك الجيل. وبدلا من ذلك وبسبب قسوة وحيوية طبيعة الكارثة – لأنها تجربة فلسطينية يومية متواصلة – فإن المحاولات الراهنة التي ترمي إلى تحطيم صفة الجماعية الفلسطينية تربط اليوم هذا الجيل بالجيل الذي سبقه. وتربط المنافي بالجسم الفلسطيني السياسي. وبكل تأكيد فقد شهدت السنوات القليلة الماضية مرحلة من التسارع العنيف لعملية محاولة التدمير– ولذا فإن عنوان إحياء ذكرى النكبة لهذه السنة "النكبة تتواصل".

هذا الحدث التاريخي الوحيد في مرحلة أواخر الأربعينات – الإبعاد القسري الجماعي لشعب وما يفوق عن الخمسين مجزرة التي نفذت بأيدي قوى يهودية مسلحة مختلفة، كوسيلة لدفع الآخرين الذين كانوا عازمين على البقاء للمغادرة والإزالة المادية للقرى بعد حدوث الطرد لضمان عدم تمكن اللاجئين من الرجوع، "كل هذه الأحداث يجري تذكارها اليوم" ويمكن استشعارها مرة أخرى من خلال رسم السياسات الراهنة وممارسات دولة إسرائيل. فبناء الجدران على جانبي نقاط التفتيش التي تفصل أجزاء فلسطين المحتلة عن بعضها، والطرق المختلفة التي أنشأت لليهود والعرب على الأرض العربية، والجدار الإسمنتي الهائل الذي يقتطع مساحات من الأرض الفلسطينية ويخنق مدنا بأكملها محولا إياها إلى مدن أشباح، والجرّافات المصممة خصيصا لتمزيق البيارات الفلسطينية ومروج الزيتون بشكل يوميّ، وتهدم مئات البيوت، وسحب إسرائيل لبطاقات الهوية من فلسطينيي القدس، وحبس الآلاف من السجناء الفلسطينيين. إن قناعة الفلسطينيين بالصمود يعني بالنسبة لأولئك الموجودين على أرض الوطن: المثابرة، ورفض التخلي عن النضال من أجل عودة أولئك الذين يعيشون في المنافي قد برزت بقوة لم يسبق لها مثيل.

تقوم المقاومة على مستويين لأن النكبة قامت ومازالت قائمة حتى اليوم على كليهما. الأول: هو الجهد المادي الفلسطيني المبذول لمقاومة المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى مصادرة الأرض وحرمانهم منها والسيطرة عليها فعليا والتخلص من سكانها وجعلها تحت السيطرة العسكرية وممارسة الحرمان القانوني ضد أولئك الذين لم يستطيعوا التخلص منهم. بينما يكمن الثاني في تأكيد الفلسطينيين على وجود هويتهم في وجه الجهود الأساسية المنظمة الرامية إلى تجزئة ودثر تلك الهوية وذلك تحايلا على ذاكرة الفلسطينيين. الأمر الجدير بالاهتمام هو، بالرغم من استخدام إسرائيل العنيف للأسلوب الأول، فقد تلقي الأسلوب الثاني فشلا تاما:



فالهوية الفلسطينية في عام ٢٠٠٦ أقوى من أي وقت مضى. إن الظروف غير الإنسانية للمنافي الفلسطينية والتي هدفها تفتيت التجربة الجماعية إلى تجارب فردية، تبدوا وكأنها قد قوّت ذلك الوعي الجماعي بدلا من إضعافه. هنالك تجدد هائل يحدث على نطاق واسع. الخطوات الأولى التي اتخذت لصياغة برنامج سياسي مشترك قادر على توحيد الفلسطينيين في كل مكان، كردة فعل على التجزئة التي سادت العقد الماضي أثناء فترة الانقطاع التام بين الداخل والخارج. المطلب المشترك الذي صاغته حركة التحرر في الستينات والسبعينات كان وثيق الصلة أيضا بالمنفى واللاجئين. فقد أطلقت حركة التحرر الوطني برنامجا سياسيا في المنفى قائم على أساس العودة والتحرير وقد عكس مشاعر الشعب الفلسطيني سواء في الداخل أو في الخارج بشكل موحد.

تبدو أزمة الاحتلال واضحة أكثر من أي وقت ولكن أزمة اللجوء لها ما يميزها حيث تواصل خلق تجربتها من أجل الفلسطينيين وتواصل تراكم خبراتها. معظم الشبان الفلسطينيين اليوم لا يعيشون تحت الاحتلال العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة ولكنهم يعيشون في المناطق المجاورة لحدود فلسطين التاريخية في الدول العربية فهم بلا دولة وبلا هوية وبلا عمل وبلا حماية قانونية دولية كما اللاجئين من الدول الأخرى. فالفلسطينيون في العالم العربي يعيشون ظروفا في غاية الصعوبة والتعقيد. الصعوبة الكبرى التي تواجه التنظيم الجماعي هي عدم القدرة على التواصل بشكل قانوني ومعلن. سواء بداخل الدول المضيفة أو عبر حدودها بهدف التفاعل العلني والجماعي (يعاني الأشخاص من ذوي التاريخ الحافل بالممارسات الديمقراطية من صعوبات خاصة) الأمر الأكثر صعوبة على المستوى الأساسي هو النضال بقسوة من أجل أي شكل من أشكال الحياة. والحصول على إذن للعمل أو السفر أو تسجيل الأولاد في المدارس المحلية أو الحصول على الخدمات الصحية الأساسية أو إذن بدفن الموتى أو شهادة ميلاد أو عقد زواج.

الملايين من اللاجئين الفلسطينيين في المنافي يعيشون في مناف عربية أوروبية أو كندية أو أمريكية. هذا الجيل الشاب يتميز بصفات موحدة أينما كان، صنعتها ظروف المنافي الصعبة ثم عممت من خلال الأدبيات المزدحمة بالذكريات وتغمرها أسماء الأمكنة والأغاني الوطنية القديمة وصور الأقارب الغائبين تماما والصلات الأسرية والأشياء الخاصة، وفوق كل شئ مفتاح صدئ للباب الأمامي للبيت المفقود الذي لم أره. أو كما قال الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي موريس هولبكسك "أن الذاكرة الإنسانية يمكنها أن تكون فاعلة فقط في إطار جماعي" وذلك في كتابه "الذاكرة الجماعية" والذي نشر بعنوان "Memoire et societe" عام ١٩٤٩، وذلك بعد أربع سنوات على إعدامه في باكنوولد. كان "هولبكسك" أول من أدرك أن الذاكرة نفسها ليست فردية أبدا ولكنها دائما مشاركة جماعية بشكل كامل.

وخلال العام ٢٠٠٥ ساعد النشطاء السياسيين الفلسطينيين من الشباب بتنظيم ما يفوق المائة اجتماع في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتجمعات المنافي في أكثر من ٢٨ دولة وذلك لكي يجمعوا بين الفلسطينيين لبحث ما الذي يجب فعله في المستقبل. الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو مشاهدة هذا الجيل وهو يحاول تقليد شئ لم يعهدوه بصورة مباشرة من قبل وذلك لأنه أمر لم يتم الحديث عنه، ولم يكتب بعد: ألا وهو التاريخ السري لعمل المنظمات السرية، وأفعال الجيل الأول من الثوار الفلسطينيين. محاولة الشبان هذه ما هي إلا صدى لنفس الأفعال ونفس الروح ونفس النزعات الداخلية. وفي خضم مشروع استرجاع الماضي الفلسطيني المتعلق بالنكبة، يستعيد الجيل الناشيء في الوقت ذاته تاريخا آخر لهم. معرفتهم المباشرة به بسيطة ألا وهي القصص التي مازالت مبعثرة، حول الجيل السابق من المقاتلين والذين عملوا أيضا في روابط وأحزاب ومجموعات بروح جماعية مشابهة وبحنين مساو. ومع أن كافة الاجتماعات قد نظمت محليا إلا أن محتويات الاجتماعات في أمكنة بعيدة عن بعضها كأستراليا والعراق ومصر والسويد ولبنان وكندا والعربية السعودية واليونان ثبت أنها حوارات متشابهة في محاورها. وبمعجزة الإرادة الجماعية فقد انتهى الأمر بالفلسطينيين الوافدين على مختلف الرحلات بطريقة ما إلى نفس المكان وبنفس الوقت.

د. كرمة النابلسي هي أستاذة جامعية في كلية نوفيلد في جامعة أكسفورد، وهي منسقة مشروع كيفيتاس. شغلت النابلسي مناصب عديدة في مؤسسات ودوائر مختلفة في منظمة التحرير الفلسطينية حتى بداية التسعينيات.



البطاني الغربي، قضاء غزة، ١,١٣٧ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

البطاني الشرقي، قضاء غزة، ٧٥٤ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

عرب العمارة، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

بيت نبالا، قضاء الرملة، ٢,٦٨٠ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

بشّيت، قضاء الرملة، ١,٨٧٩ نسمة، هجرت في ١٣ أيار ١٩٤٨.

أبو شوشة، قضاء الرملة، ١,٠٠٩ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

الشوكة التحتا، قضاء صفد، ٢٣٢ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

الناعمة، قضاء صفد، ١,١٩٥ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

الزيب، قضاء عكا، ٢,٢١٦ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

السميرية، قضاء عكا، ٨٨٢ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

المنشية قضاء، قضاء عكا، ٩٤٠ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

النعاني، قضاء الرملة، ١,٧٠٥ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

شحمة، قضاء الرملة، ٣٢٥ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

البصّة، قضاء عكا، ٣,٤٢٢ نسمة، هجرت في ١٤ أيار ١٩٤٨.

خربة الزبابدة، قضاء طولكرم، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

كفر سابا، قضاء طولكرم، ١,٤٧٣ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

غابة كفر صور، قضاء طولكرم، ٨٥٨ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

النقيب، قضاء طبريا، ٣٧١ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

سارونة، قضاء يافا، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

فجّة، قضاء يافا، ١,٣٩٢ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

أم الزينات، قضاء حيفا، ١,٧٠٥ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

خربة قمبازة، قضاء حيفا، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

عرب ظهرة الضميري، قضاء حيفا، ٧١٩ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

برّة قيسارية، قضاء حيفا، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

عتليت، قضاء حيفا، ١٧٤ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

القباب، قضاء الرملة، ٢,٢٩٧ نسمة، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

خربة الطاقة، قضاء بيسان، هجرت في ١٥ أيار ١٩٤٨.

النبي يوشع، قضاء صفد، ٨١ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

المفتخرة، قضاء صفد، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

المرصّص، قضاء بيسان، ٥٣٤ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

البيرة، قضاء بيسان، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

الفنانون العرب يكتبون عن نكبة فلسطين

رسالة الى شعبنا الفلسطيني الحي:

إن حياتـك وقفـة عـزٍ تتغيـر فيهـا الأقـدارُ

بقلم: الفنانة جوليا بطرس



في منتصف أيار من كل عام، ترتسم في الذاكرة مشاعر الحزن والأسى على ما آلت اليه أوضاع أهلنا الفلسطينيين. في هذا التاريخ تحل ذكرى أكبر نكبة شهدها التاريخ البشري، وقد حلت بشعب أعزل عشق الأرض المجبولة بزهر الليمون، والمظللة بأغصان الزيتون.

عصابات أتت من بعيد وأطلقت عليه حكم التشريد، وسجل التاريخ على صفحاته أن أرضا اغتصبت، وعائلات شردت، ودماء هدرت، وأطفالا ورضعا استشهدت، وحناجر هتفت: أين العدالة الإنسانية؟ أيجوز احتلال أراضي الغير بالقوة؟

نعم. لقد تم ذلك، وعلى مرأى ومسمع الشعوب، وخاصة المتحضرة منها التي باركت هذا العمل الإجرامي وأيدته ومدته بالسلاح والعتاد!

تشرد شعب فلسطين في مخيمات بين الدول المجاورة، هجروا أرضهم، سكنوا المخيمات، وانتظروا المساعدات!

رق قلب الأمم ظاهريا، اجتمعوا، وقرروا عودة اللاجئين، والقرار الصادر عنهم حمل رقم (١٩٤). لكن للأسف الشديد مرت السنوات.. والسنوات... والسنوات... والاحتلال مازال جاثما بقوة أكبر، ودعم غير مسبوق ممن يدعون الحرية للشعوب.

أين حقوق الإنسان؟

أليس من حق الشعب الفلسطيني العودة إلى أرضه؟

أليس من حقه إقامة دولته؟

التاريخ يرتجف خجلا من الممارسات العدوانية على هذا الشعب الآمن!

ارتكبت أفظع المجازر، ووسائل الإعلام رصدت جرائم لم يشهدها التاريخ من قبل! وحتى تحفظ المنظمات الدولية ماء وجهها، أصدرت القرارات تلو الأخرى، تشجب، تندد، وكلمات لا ترجمة لها سوى أنها حبر على ورق، وبقيت دون جدوى!

صمد الشعب طويلا، عانى من مآسي الغربة والتشرد، لكن إلى متى ؟

المهم أن الذاكرة مازالت قائمة، والجرائم لن ولم تمحى من صفحات التاريخ، وستبقى الأجيال تقرأ، وتسخر مما جرى في قرن التقدم والحضارة والمدنية!

مهما تهرب الطغاة من تنفيذ قرارات العدالة، فإن نور الحق سيعيد الأرض لأصحابها.

والأمل في العودة هو مصباح ينير العقول، والتضحية مفتاح الحرية، والشعب ما زال في مدن الشتات والوطن يتطلع إلى اليوم الذي يزاح عن كاهله كابوس الاحتلال، ويراهن على تحقيق الحلم بصموده ووقوف الشرفاء في العالم إلى جانبه.

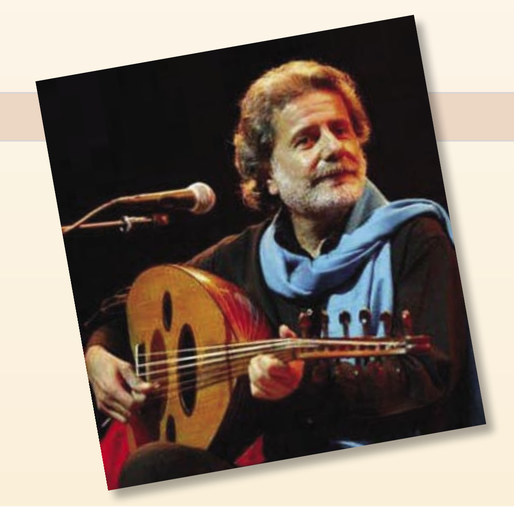
في ذكرى النكبة أقول أن التمسك بحق العودة وإقامة الدولة الفلسطينية هما أقل ما يمكن أن يقابل دماء آلاف الشهداء الذين تنحني لهم القامات إجلالا لدورهم العظيم في سبيل تحرير فلسطين.

رسالتي تبقى إلى شعبنا الحي الفلسطيني والعربي:

قاوم.. فيداك الإعصار.. وتقدم فالنصر قرار.. إن حياتك وقفة عز تتغير فيها الأقدارُ.

أحـبُ فلسطيـن، أحـبُ شعـب فلسطيـن

بقلم: الفنان مارسيل خليفة



ليس سهلاً الكلام عن فلسطين، عن شعب فلسطين، بمعزل عن حالنا العام ووضعنا الشامل. فنكبة فلسطين مسَّت شفاف كياننا بأكمله. وعندما يمس فلسطين الجزء، ينال منا الوجع حتى العظم. لذلك، سوف نعتبر هذا الظلم الفادح بشعب وأرض فلسطين هو بمثابة الشك في قمر الحب الذي يغمر ليلنا الدامس بالفضة الصريحة.

نحن الذين لم تبق لنا في هذا العالم إلا شعلة هذا الشعب المقاوم من أجل الحرية: فلماذا يعتقد البعض إننا سوف نتنازل عن حقنا في الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه (بشتى الأشكال) في حين أن الاحتلال يمعن في القتل والنهب والحرق والتدمير ونصب الفخاخ لأجمل خطواتنا نحو المستقبل.

أحب فلسطين، أحب شعب فلسطين، وهذا حقٌ مشاعٌ كما اعتقد ليس لأحد حق مصادرته. وهذا الحب الذي يشاركني فيه الملايين من العرب، الذين سبقوني إلى إحتضان القضية التي ولدت من صخرة الجبل متميزة برهافة عضفور.

ها نحن، يُحدق بنا الخطر دون أن نملك دفاعاً غير هذه الكلمات والإيمان الأعظم بأن الشعب الفلسطيني ذاهب إلى مستقبله الذي يريده ويحلم به، بالرغم من كل محاولات تعطيل خطواته وتعويق ذهابه الفاتن.

نضع فلسين تحية كل صباح وأيقونة للمناعة ونرفع صوتنا، معلنين أن للشعب الفلسطيني إخوة لا يُحصْون. وما على الطغاة إلا أن يبعثوا عسسهم وجيشهم وصليل سلاسلهم لملاحقة إخوة لا يُحصَون.

ها قد أصبحت أخيراً .. فلسطينياً

بقلم المخرج: حاتم علي

منذ سنوات بعيدة، كتبت ثلاث مسرحيات فلسطينية بالاشتراك مع الصديق "زيناتي قدسية" نشرت في كتاب واحد بعنوان فرعي ((الحصار)) ثم نشرت نصا مسرحيا آخر بعنوان: ((من قتل ناجي العلي)).

وعندما انتقلت إلى الإخراج، راودتني الرغبة في صنع عمل تلفزيوني يتناول "القضية الفلسطينية" ولكنه كان حلما بعيد المنال، فالاقتراب من الموضوع الفلسطيني، يشبه المشي في حقل ألغام.

كنت قد نشأت على أطراف "مخيم اليرموك" في ضواحي دمشق، ودرست سنواتي العشر الأولى في مدارس "وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين". وبدا لي أن "نزوح- ١٩٦٧" هو فصل آخر من مسرحية تراجيدية، لم تنته فصولها بعد، وكان ذلك الإحساس يولد رعبا لدى جيل يبدو مستقبله دون أفق، ودون أمل.

كنت أحمل معي صورا ومشاهد، بدت مع الأيام ، غائمة ومشوشة، اختلطت مع حكايا وأقاصيص الكبار، فحاولت إعادة اكتشافها في مجموعة قصصية بعنوان "ما حدث وما لم يحدث".

واحدة من أكثر تلك المشاهد وضوحا هي صورتي محمولا على كتفي أحد أخوالي، كانت تشبه إلى حد بعيد صورة "صلاح" على كتفي "مسعود" في أوراق الدكتور "وليد سيف"، وكانت آنذاك تحت عنوان "الدرب الطويل".

كان دربا طويلا حقا، وكان درب آلام، وقد شكلت لي معاناة تلك الشخصيات في دربها الطويل، إغراء كبيرا، وكانت تلك الآلام جوهر كتابة المؤلف، وبدت لي في حينها كنزا حقيقيا، فمعظم الأعمال الفنية التي كنت قد شاهدتها، كانت تصور الفلسطيني السوبرمان، متناسية جوهره الإنساني، وعذاباته، ومعاناته، التي كان من المفترض أن تثقل الضمير الإنساني العالمي، وكان لتلك الأعمال عذرها، فقد جاءت في فترة ظهور الكفاح المسلح، وكانت جزء من الحالة التعبوية.

ولأن كل تعميم أحمق، فلابد من ذكر استثناءات كثيرة، أهمها فيلم "توفيق صالح- المخدوعون" عن رواية "غسان كنفاني"، وكانت رحلة رجاله تحت الشمس في طريقهم إلى "الكويت" جزء من كتابة "وليد سيف"، في ملاحقة شخصياته في دروبهم الطويلة.

كان عنوان "التغريبة الفلسطينية" أكثر ملائمة لروح النص، لما يحمله من دلالات وإحالات إلى الذاكرة الشعبية، وكانت ذروة تلك التراجيديا، في مشاهد "التهجير" في منتصف الحلقات الثلاثين، وكان تنفيذها مؤلما ومجهدا، ليس فقط بسبب مشاق التصوير، ولكن أيضا بسبب الآلام والأحزان التي اكتشفناها... وقد كان جزء من المجاميع التي شاركت في تنفيذ تلك المشاهد من أصول فلسطينية، وكان مدهشا أن أسمع أحيانا، شهقات بكاء حقيقي...

كنت أقف أحيانا وسط هؤلاء الناس المتعبين، وقد سيطرت عليهم روح واحدة، بحيث بات من الصعب التفريق بينهم، واكتشاف الفلسطيني من غيره، وأنا غير مصدق، أنني استطعت أخيرا أن أنجز حلمي، ممتنا للظروف التي ساعدتني على ذلك، مؤمنا بأن شعبا جرب كل تلك الآلام، ثم قام، يستحق أن يكون له وطنه، وأن تكون له دولته.

كنت حينها، أود لو أصرخ، ولكن خجلي منعني: ها قد أصبحت أخيرا، فلسطينيا.



الفنانون العرب يكتبون عن نكبة فلسطين

عـودة مخـدة (حكايـة لأحمـد)

بقلم: الفنـان أحمـد قعبـور

كان عمر أحمد ثماني سنوات عندما أهداني رسماً لحلمه وكان الرسم يجسّد بيتاً يظهر في داخله سرير تتربع عليه مخدة هائلة الحجم. وإلى جانب الرسم كتب أحمد ما يلي :

" إسمي أحمد الحاج، أنا ساكن بمخيم عين الحلوة مع بابا وماما وإخواتي وستي وجدي، بالشارع التحتاني.. بحب إرسم وإلعب مع رفقاتي، والربيع لأن السماء بتصير زرقاء وبتطلع الحشرات، نحلات فراشات صراصير.. بحلم يصير عندي حصان إركب عليه وإرجع على فلسطين علشان إزرع وإلعب على أرضي" .

قررت أن أحكي حكاية لأحمد لكني لم أحكها أبداً لأني ما عدت أراه. وكم أود أن أنقلها لكم علّكم تحكونها لكل طفل يحلم أن يصير عنده حصان يرجعه إلى فلسطين.

إعتاد أحمد أن ينام ليلة كل خميس عند جدته، فهويحب بيتها لأنه وُلد فيه، ودبدب على أرضه الملساء، ورسمت يداه على جدران مدخله شموساً وأقماراً وبيوتاً وبساتين. وفي كل مرة يأتي أحمد إلى بيت جدته، يركض فور وصوله إلى غرفتها الواسعة، ويعانق مخدتها البيضاء المتربّعة على سرير خشبي كبير. في إحدى المرات رأته جدته يُربّت على مخدتها فاقتربت منه وإذ به يهمس: "لا تحزني يا مخدتي العزيزة لأني تأخرت عليك.. فقد أحضرت لك رسومي الملونة.. أليست جميلة ؟ أتعلمين ماذا قالت المعلمة عندما رأتها؟ دعْ والدك يعلقها في غرفتك.. ولكن لم أشأ إلاّ أن أعلقها هنا.. في غرفة جدتي كي تتذكريني دائماً " .

إستغربت الجدة حُبّ أحمد لمخدتها البيضاء فهي أيضاً تحبها ولكنها لم تفكر يوماً بأن تكلمها – لكن.. هل يُعقل أن تكلم مخدة؟ !. في أحد الأيام سألت الجدة أحمد : " سمعتك تحدث مخدتي.. هل تسمعُك؟ " أجاب أحمد: " طبعاً يا جدتي وأحياناً تحكي لي حكايات مسلية دون كلام" . بالطبع لم تصدّق الجدة حفيدها، لكنّ الأمر استهواها، وأصبحت كلما أحسّت بضجر في بيتها الكبير تحدّث مخدتها وتشكولها همومها وأحياناً تسمعُ منها أجوبة من دون كلام. ذات يوم علمت الجدة أن أحمد مريض ويعاني من حرارة مرتفعة، فأسرعت بتغيير ثيابها وتسريح شعرها الفضي، وقبل أن تفتح الباب تذكرت مخدتها البيضاء فخطر لها أن تأخذها معها لتفاجىء بها حفيدها. كم كانت فرحة أحمد كبيرة عندما رأى جدته حاملة مخدتها، فقفز من سريره معانقاً جدته بيد ومخدتها البيضاء باليد الأخرى، فما كان من أمه إلاّ أن حملته إلى سريره وذكّرته بملازمة الفراش. جلست الجدة قرب أحمد وطبعت على جبينه قبلة طويلة وقالت له: " سلامتك من كل مكروه يا عزيزي" أجاب أحمد: "كم اشتقت إليك يا جدتي" إبتسمت الجدة قائلة: " إشتقتَ لي أمْ للمخدة البيضاء؟ " .

مع الوقت لاحظت الجدة أن حب أحمد للمخدة يكبر يوماً بعد يوم، وتعلقه بها بات قوياَ بشكل لا يُصدق، أمّا أمه فلم يرق لها الأمر وكانت تخشى أن يؤثر حبه للمخدة على تحصيله في المدرسة. ذات يوم وبينما كانت الجدة تسقي أحواض الزهور في شرفتها، فوجئت بأحمد يناديها من الشارع: " يا جدتي.. يا جدتي.. كيف حال المخدة؟ " أجابت الجدة بدهشة: " أحمد !! من أوصلك إلى هنا ؟ " صرخ أحمد: " أنا وحدي يا جدتي.. وحدي" . لم يكن أحد ليتصور أن يقطع أحمد مسافة طويلة ليرى المخدة البيضاء، يومها قررت الجدة أن تهديه إيّاها خوفاً من أن يضيع في الطرقات.

رجع والد أحمد من السفر وبحوزته مبلغ من المال وتعبُ سنوات ثلاث أمضاها بعيداً عن عائلته، فقد كان حداداً ماهراً لكن الظروف اضطرته أن يرحل بعيداً للسعي وراء لقمة العيش. أكثر ما أفرح أحمد بعودة أبيه هي أنها العودة الأخيرة، فلن يُترك وحده بعد الآن وعليه من وقت لآخر أن يساعد أباه في المحل الذي استأجره. بعد انقضاء شهر على عودته، أحبّ الأب أن يغيّر الأثاث القديم للبيت، فأخبر الأقارب والجيران ممن يرغبون بشراء أثاث قديم، وطلب من زوجته أن تُبقي الأمر سراً على أحمد. علم النجّاد بالأمر فطلب من أبي أحمد زيارة المنزل لشراء ما يُعجبه، وما أن دخل إلى غرفة أحمد حتى وقعت عيناه على المخدة البيضاء، فقرّر شراءها على الفور. اقترب النجّاد وما كاد يهم برفعها حتى أحسّ بقوة غريبة تشدّها إلى السرير فتساءل في نفسه: "ما بي لا أقوى على رفع مخدة" فعزم على حملها مهما كلّف الأمر. في ذلك اليوم ، وفور وصوله إلى البيت، لم يدر أحمد كيف قادته قدماه إلى غرفته... توقف عند الباب وصرخ: "أين المخدة يا أمي؟ " تقدّم الأب وقال: "ستحظى بواحدة جديدة أجمل ألف مرة من القديمة.. على أية حال مخدتك القديمة كانت تلهيك عن دروسك وحان وقت الإستغناء عنها" . لم يصدق أحمد ما قال أبوه وردّد بحزن شديد "ماذا فعلت يا أبي؟.. ما فعلت؟ " ليلتها أبصر أحمد في منامه أطفالاً ضائعين في الطرقات يركضون ولا يجدون مكاناً للإستراحة. أفاق أحمد في اليوم التالي دون أن يصبّح والديه.. تناول طعام الفطور دونما كلمة وتوجه إلى مدرسته القريبة.

في محل "نعيم" النجّاد تكدّست الفرش والأوسدة بعضها على بعض وقد اعتلتها طبقة سميكة من الغبار، وحدها مخدة أحمد حافظت على بياضها في مقدمة الواجهة الزجاجية. مرّ أحمد أمام الواجهة دون أن ينتبه للمخدة، أما هي فأحست به يمر أمامها فأرادت أن تراه ولكن أين لها بعينين وأرادت أن تدله على مكانها ولكن أين لها بيدين، إبتعد أحمد عن الواجهة فحاولت أن تناديه ولكن أين لها بصوت ، وحاولت أن تلحق به ولكن أين لها بقدمين، توارى أحمد بعيداً فحزنت المخدة وبكت بلا عينين ومن دون دموع. مرّت أيام وأحمد يمرّ أمام المخدة دون أن ينتبه لها، فهولم يعد ينتبه لشيء ولا يرغب بشيء.

ذات يوم، فوجئت الجدة بالمخدة البيضاء في واجهة محل النجّاد، لم تصدق عينيها.. اقتربت من الواجهة وتأكدت .. إنها هي.. فهي تعرفها من بين مليون مخدة.. كيف لا وقد كانت هدية زوجها لها قبل عشرين سنة. دخلت الجدة إلى المحل وسألت صاحبه: "من أين حصلت على هذه المخدة؟ " أجاب نعيم: "ابتعتها من أبي أحمد" سارعت الجدة إلى القول: "أشتريها بالثمن الذي تريد" . استغرب النجّاد لهفة الجدة على المخدة فأخذ منها ما طلب من مال وحذّرها بأنها ثقيلة الوزن، وكم كانت دهشته كبيرة عندما بدت المخدة بين يدي الجدة خفيفة وطرية مثل مولود جديد. وصلت الجدة إلى البيت وأرجعت مخدتها إلى مكانها الأول و أرادت أن تحتفل بها فطرّزت عليها بالخيوط الذهبية شموساً وأقماراً وبيوتاً وبساتين. لم تستغرب الجدة حزن أحمد عندما أتاها يوم الخميس برفقة أمه، ولم ترغب أن تفاجئه بالمخدة فور وصوله، إنما أدخلته إلى الدار وجلست تحدثه عن المرحوم جده وحبه لها وحكاياته الغريبة. أصغى أحمد باهتمام شديد وعيناه تحدق بصورة جده المعلقة على الحائط. انتهى الحديث وتناول الجميع طعام الغداء. عند المساء طلبت الجدة من أحمد مرافقتها إلى غرفتها وما أن فتح الباب حتى أحسّ بقوة غريبة تدفعه إلى الأمام.. تقدّم قليلاً ثم ثبت في مكانه.. نظر إلى جدته وكأنه يقول : "أهي حقاً؟! " ابتسمت الجدة وهزّت برأسها، وبلمح البصر ارتمى على السرير وغمر المخدة البيضاء، وأغمض عينيه، أما المخدة فعانقته دون يدين وقبّلته دون شفتين، وسمعت أنفاسه دون أذنين، ليلتها أبصر أحمد في منامه جده يروي له ولآلاف الأولاد من حوله حكايات عن أسرّة ومخدات تجوب الطرقات وتدعوالمتعبين والضائعين إلى الإستراحة عليها والنوم الهانئ، ليلتها أبصر أحمد أحلاماً لن ينساها طول العمر .

الى أحبتنا أطفال فلسطين في الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة

بقلم: بيلا فرويد وجميما خان

أحبتنا وأطفالنا،

نرسل رسالة حب وتقدير لكم ولشعبكم، رسالة احترام وتضامن ومناصرة سواء كنتم قابعين تحت الاحتلال العسكري او في المنافي القسرية.

رسالتنا هذه تأتيكم في ظل ظروف صعبة تعيشونها، ولكننا على قناعة بأنكم قادرون على تجاوزها كما تجاوزتم سابقاتها، ونحن ننهل منكم القوة والعزم والمعنوية، فانتم المبدعون والملهمون وستنجزون مستقبلا مستقرا وآمنا لكم ولشعبكم.

بيلا فرويد هي فنانة ومصممة أزياء، وهي حفيدة عالم النفس سيجموند فرويد. جميما خان هي ناشطة في ميدان التضامن مع الشعب الفلسطيني، وهي زوجة لاعب الكريكيت الباكستاني أمران خان. أسست فرويد وخان، مع عدد من الشخصيات البريطانية مؤسسة "الامل من اجل أطفال اللاجئين الفلسطينيين".







خربة الزاوية (البشاتوي)، قضاء بيسان، ١،٨١٠ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

يبلى، قضاء بيسان، ٢٤٤ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

كوكب الهوا، قضاء بيسان، ٣٤٨ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

كفرة، قضاء بيسان، ٤٩٩ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

عرب البواطي، قضاء بيسان، ٦٠٣ نسمة، هجرت في ١٦ أيار ١٩٤٨.

عكا، قضاء عكا، ١٤،٢٨٠ نسمة، هجرت في ١٧ أيار ١٩٤٨.

قطرة، قضاء الرملة، ١،٤٠٤ نسمة، هجرت في ١٧ أيار ١٩٤٨.

السوافير الغربية، قضاء غزة، ١،١٩٥ نسمة، هجرت في ١٨ أيار ١٩٤٨.

السواقير الشمالية، قضاء غزة، ٧٨٩ نسمة، هجرت في ١٨ أيار ١٩٤٨.

السوافير الشرقية، قضاء غزة، ١،١٢٥ نسمة هجرت في ١٨ أيار ١٩٤٨.

المغار، قضاء الرملة، ٢،٠١٨ نسمة، هجرت في ١٨ أيار ١٩٤٨.

جبول، قضاء بيسان، ٢٩٠ نسمة، هجرت في ١٨ أيار ١٩٤٨.

قيطيّة،قضاء صفد، ١،٠٩٠ نسمة، هجرت في ١٩ أيار ١٩٤٨.

السفرية، قضاء يافا، ٣،٥٦١ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

صرفند العمار، قضاء الرملة، ٢،٢٦٢ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

عرب الزراعة، قضاء بيسان، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

عرب الصفا، قضاء بيسان، ٧٥٤ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

عرب الخنيزير، قضاء بيسان، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

عرب الغزاوية، قضاء بيسان، ١،١٨٣ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

عرب العريضة، قضاء بيسان، ١٧٤ نسمة، هجرت في ٢٠ أيار ١٩٤٨.

الزوق الفوقاني، قضاء صفد، ١٨٦ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

الزّازة، قضاء صفد، ٢٦٧ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

أم صابونة (خربة عرب الصقر) قضاء بيسان، ٨٦٨ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

الطنطورة، قضاء حيفا، ١،٧٢٨ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

خربة المنار، قضاء حيفا، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

النهر، قضاء عكا، ٧٠٨ نسمة هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

الكابري، قضاء عكا، ٦،٢١٨ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

التل، قضاء عكا، ٣٤٨ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

أم الفرج، قضاء عكاء، ٩،٢٢٨ نسمة، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

السوامير، قضاء حيفا، هجرت في ٢١ أيار ١٩٤٨.

عرب الجمامة، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة، هجرت في ٢٢ أيار ١٩٤٨.

الفنانون العرب يكتبون عن نكبة فلسطين

لـم ينجحـوا بتدميـر الحلـم الفلسطينـي!

بقلم: الفنانة ريم بنّا

نكبة فلسطين ليست مجرد حدث من الماضي، بل هي الحاضر بعينه. أنا لن أكتب كثيراً عن نكبة فلسطين في العام ١٩٤٨، ولا عن الجرح الفلسطيني الذي لن يندمل، ولن أكتب عن النزوح والتشرّد، ولا رائحة الموت والذكريات الأليمة.

حاجز قلنديا شتاء ٢٠٠٣.

الجو بارد، والسماء على وشك أن تنزل غضبها على الأرض.

حاجز قلنديا البائس والمليء بمئات الفلسطينيين الذين يعبرونه لقضاء حاجاتهم اليومية. حاجز يجعل الإنسان الفلسطيني عاجز عن أدنى حقوقه الإنسانية في التحرك والعمل لتدبير لقمة العيش له ولأطفاله.

في هذا اليوم الشتائي، سافرت مع زوجي وأطفالي إلى القدس ومنها إلى رام الله، لتقديم مجموعة من العروض الفنيّة للأطفال في المخيمات الفلسطينيّة للاجئين هناك، علّنا بذلك نخفف من وطأة الخوف عليهم جرّاء القصف الإسرائيلي المتواصل على رام الله والمدن والقرى الفلسطينيّة الأخرى.

وصلنا إلى الحاجز الذي كانت حركة العبور فيه تكاد تكون معدومة. جنود مدججون بأحدث أنواع الأسلحة أمريكيّة الصنع. طوابير من البشر تنتظر رحمة السماء.

كانت النساء الفلسطينيات يحملن أطفالهنّ الرضع، بينما يتشبث الأولاد الأكبر سناً بأطراف أثوابهنّ الفلسطينية المطرزة بألوان الجنّة والنار، كأنهم يحتمون بها من الآتي المجهول.

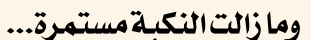
كانت وجوه العمال الفلسطينيين المتعبة من شدة الانتظار والسفر بين المدن والقرى بسبب الإغلاق والحواجز، والنساء الحوامل اللواتي تنتظرن لساعات وساعات في طابور لا نرى نهاية له.

برودة الجو ومشاهد العذاب اليومية ومعاناة الناس، لم تثن الجنود وتجعلهم يخففون الإجراءات المشددة وغير الإنسانية المفروضة على الفلسطينيين.

لم تمهلنا السماء، فأمطرت. بدا المكان مشوهاً أكثر مما كان عليه. كان زوجي ليونيد يحمل القيثارة بيد وبالأخرى حقيبة، وأنا أحمل ابننا أورسالم، أما ابنتنا بيلسان ابنة العاشرة، فهي الأخرى اضطرّت أن تحمل أختها قمُران (أورسالم وقُمران توأمان لم يتجاوزا السنة في ذلك الوقت).

لم نتوقع أن يطول انتظارنا إلى هذا الحد. وفيما أنا أراقب المشهد، عذاب الناس، غضب السماء، النساء الحوامل، نفاذ صبر الأطفال، صورة بيلسان وهي تحمل أختها الص غيرة وتسير ببطء مع العابرين، محاولة تحمل عناء فوق طاقتها دون تذمر. قرأت في عينيها، أنها تكابر على نفسها حتى لا تثقل علينا أكثر مما نحن عليه.

وبلحظة حملتني هذه المشاهد على أجنحتها المشرعة، إلى عام نكبة فلسطين، صور ما زالت معلقة على جدران الذاكرة، النزوح والشتات، عيون اللاجئين التي تنزف حزناً ودماً، قلوبهم التي ما زالت تنبض بأمل العودة، مشاهد حقول القمح والبساتين التي لا زالت تنتظر عودة أصحابها. البيوت المهجرة والحواكير التي لم تعد مسيجة بالفل والياسمين، صور التلال التي لم تعد تعبق برائحة الميرمية، الزوفا، الخزامى والزعتر، بعد أن جرفتها بلدوزرات الاحتلال الإسرائيلي لبناء المستوطنات عليها، مشهد أم فلسطينية لا زالت ترنو للعودة إلى عتبة دارها:



" أمسى المسا يا غريب
وتقفّلت البواب
صار الغريب يلتجي
من باب لباب

سافر وخذني معك
بفطر على الدُقه
بصبر على الجوع
ما بصبر على الفُرقة "

" يا ليل ما أطولك
مشيتني حافية
ميزان ما أثقلك
هديتلي كتافي

صبرت صبر الخشب
تحت المناشيري
صبرت لنّو استوى
لحم العصافيري
وحياتك تكبر وتجبر والرب يعطيني
جبره قوية يا يمّه وتكيد عدويني ... يا ابني "

وما زالت النكبة مستمرة...

نكبة فلسطين في العام ٢٠٠٦ هي استمرارية لنكبة فلسطين في العام ١٩٤٨، حيث أظهرت إسرائيل على مر التاريخ، وجهها المشوه لكنه الحقيقي، بكل مظاهر عنف الاحتلال من قتل المدنيين الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، تجريف الأراضي، تدمير البيوت الفلسطينية على رؤوس أصحابها، مصادرة الأراضي، قلع أشجار الزيتون المباركة، القصف المتواصل على القرى والمدن الفلسطينية، بناء الجدار العازل، الاغتيالات، الاعتقالات، متاريس وحواجز عسكرية، حصار وتجويع، انتهاكات لا نهاية لها لحقوق الإنسان الفلسطيني. كل هذا لم ينجح بتدمير الحلم الفلسطيني بالأمل الآتي لا محال، ولا بإطفاء شعلة حقنا بالمقاومة لأننا نستحق الحياة.

علـى أمـل العـودة ذات يـوم، ذات نصـر !

بقلم: الشاعر والصحفي زاهي وهبي



طفلاً طريّ العودِ والأحلام، نشأتُ على حكايات مثخنة بالوجع والحنين. كانت جارتنا عائشة، سيدة فلسطينية، تهجرت من مدينتها يافا وجاءت إلى جنوب لبنان برفقة أسرتها. راحت الأيام توطد عرى العلاقة الإنسانية التي جمعت عائشة بوالدتي، ومعها توطدت علاقتي بحكايات عائشة وأخواتها عن فلسطين، وليمون فلسطين، وزيتون فلسطين، وبيّارات فلسطين، وكل ما يمت بصلة إلى ذلك الفردوس المفقود الذي كان يزداد سحراً وغواية كلما تباعدت المسافة الزمنية بين الوطن ومواطنيه.

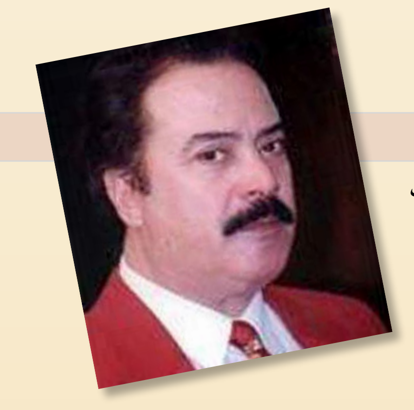
كانت عائشة فلسطينية بكل معنى الكلمة، شكلاً ومضموناً، تشبه إلى حد بعيد تلك النسوة الفلسطينيات في لوحات إسماعيل شموط، وفي الملصقات التي كانت تعلق على الجدران في ذكرى انطلاقة الثورة، أو تشبه النسوة في روايات غسان كنفاني، لكنها تختلف عنهن بأنها أكثر من حبر، إنها لحم ودم وحنين وذكريات وأمل دائم بالعودة إلى الديار، ذات يوم، ذات نصر.

ثمانية وخمسون عاما مضت على مغادرة عائشة لمدينتها يافا، ثمانية وخمسون عاماً ومفتاح الأمل لا يزال مخبأ داخلَ صدرها. انه قلبها الذي يأخذ شكل خارطة فلسطين، والذي لا يكتفي بضخ الدم إلى الأوردة والشرايين، بل يضخ الأمل بالعودة يوماً إلى الوطن، إنه قلب لا يحيي الجسد وحسب، بل يحيي الروح التي لا تعرف الانكسار ولا الذبول.

مضت سنون طويلة على حكايات عائشة، باعدت بيننا الأيام، كبر الطفل الذي كنته يوماً، وعائشة صارت عجوزاً على الأرجح، ربما هي في السويد الآن على ما أسمع ، لكني مُتيقّن أنها لا تزال كما هي وكما آلاف العائشات اللواتي يعشن في الشتات ويحملن في صدورهن مفاتيح الأمل بعودة آتية لا محالة. وبأننا سنرجع يوماً، خبّرني العندليب.

"الشعب الفلسطيني أكبر من الآلام وأقوى من إرادة المحتل "

بقلم: الفنان يوسف شعبان



هل مرت فعلا كل هذه السنين؟ والإجابة نعم؟- فهل هي تعتبر فترة طويلة أم قصيرة؟ والاجابة هي قصيرة في أعمار الأمم لكنها طويلة وطويلة جداً في عمر الشعب الفلسطيني- ثلاثة أجيال مرت وتمر بها كل صنوف القهر والظلم والاستبداد والاستعباد والعذاب والاجحاف والتشريد والإذلال واللإنسانية ... أجيال ذاقت وما زالت كل هذه الاهوال ... فهل أوصلتها إلى حافة اليأس وفقدان الامل؟ والاجابة ... لا والف لا فها هو الشعب كله الرجال والنساء والشباب والصبية والاطفال يؤكدون ويثبتون للعالم أنهم اكبر من كل الآلام وأقوى من إرادة المحتل الغاشم وأنهم أبطال ونبلاء وعمالقة أقوى من كل المحن ومن كل أسلحة وترسانة وأساليب البربرية والنازية والفاشية بل أن العدو وهو الذي أقترب من حافة اليأس رغم عنفوانه وجبروته ... والدليل أنه لجأ إلى السلاح الفعال والأقوى على مر التاريخ ألا وهو سلاح التفرقة والتمزيق وفرق تسد ... يضربون حماس بفتح وفتح بحماس. فلننتبه ونصحوا ونستيقظ، نختلف فيما بيننا في الرأي لكن نجمع على الهدف الاوحد مصلحة الشعب الفلسطيني... هو الاكبر من كل المنظمات والاحزاب والاشخاص.

هذا السلاح "فرق تسد" قد برع فيه العدو على مر العصور إذا ما ابطلناه نكون أوصلناه إلى حالة اليأس التي سوف لا يجد بعدها بدا غير التسليم لنا بكل حقوقنا

فهل نحن قادرون؟؟





مـاذا تعلمنـا؟

بقلم: الفنان والمخرج محمد بكري

سألت أحد المقاتلين في جنين المخيم أثناء تصويري لفيلم "جنين جنين" (الذي أقام اسرائيل وأقعدها حتى أصبح شغلها الشاغل على مدار سنتين جرجرتي الى المحاكم التي ما زالت مستمرة حتى اليوم، وآخرها اولئك الجنود الخمسه "الأبرياء" الذين تقدموا بشكوى تطالبني بدفع "شرفية" لتلويث سمعتهم)، سألته: أخشى أن يكون قد ذهب دم الشهداء هدرا!! إستفز المقاتل من سؤالي، تريث قليلا ثم أجاب متلعثما وكأنه يقرأ أفكاري: لا تخف هنالك من يطالب!!! صمت، ولم أكن من جهتي مقتنعا بالإجابة. فجوابه كان متأخرا، وبه قدر من الإحباط المدثر بالدبلوماسية!

لقد لاحقني الجيش الاسرائيلي والاعلام الاسرائيلي، الكنيست والحكومة الاسرائيلية لم تبخلا ايضا، وبقيت وحدي أحارب دولة عظمى فرضت علي الحرمان على انواعه، وهدرت دمي في الشارع الاسرائيلي بصفتي خائن أعظم لمواطنتي الاسرائيلية على حد قولهم، وها أنا ذا قابع في قريتي البعنة الباقية، محبوس في وطني أحارب من أجل بقائي بكرامة في بلدي. لم تدافع عني صحفنا العربيه لا في فلسطين المحتلة (ما عدا وليد أبو بكر في جريدة الايام) ولا في صحفنا في الداخل، استثني أيضا "الاتحاد" التي وكمن يؤدي واجبه عندما يذهب لتعزية من فقد غاليا. كتبت هنا وهناك استنفارا ضد من هاجموني.

كان وما زال الهجوم الاسرائيلي شرسا، منظما ومدروسا. أما دفاعنا فكان كاتمام واجب لا غير.

لم تتحرك السلطة الفلسطينية ولا الهيئات الشعبيه لتقف الى جانبي وتقول كلمتها. لقد أحسست حينها (وما زلت) كما أحس أهل المخيم جنين أثناء الاجتياح الاسرائيلي، وحيدا، مهملا ومنبوذا من ذوي الشأن العالمي، الفلسطيني والعربي ايضا على السواء. ولست هنا لخوض أناويتي، ولا للحديث عن مدى معاناتي الشخصية. فما قدمته وما يقدمه الآخرون الكثر من أمثالي يبقى ضئيلا، وضئيلا جدا، أمام ملايين اللاجئين الفلسطينيين، ممن يعيشون ولا يعيشون، بعد ان نستهم القوانين الدولية باتفاقاتها المكتوبة، وحرموا من حقهم الأساسي: حق العودة، حجر الأساس الأول لسلام حقيقي مستقبلي بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي.

وماذا يعني نضالنا أمام الشهداء والجرحى والمعاقين والأسرى والأمهات والزوجات والاخوات الثكالى وآلاف اليتامى؟! وآلاف البيوت المدمرة والأشجار المقتلعه؟! ومع ذلك، فإن السؤال لا يزال ينتظر الإجابة: هل من مطالب حقيقي لكل هؤلاء الضحايا؟ وهل من ممثل لهذا الكم الكبير من المعاناة؟! يبدو لي أننا قد فقدنا بوصلتنا القيادية في الداخل والخارج. وإلا، فما معنى هذا التشرذم؟ هذه الطائفية؟ وهذه الرجعة الى العرف القبلي والعائلي والطبقي؟ ما دام المشروع واحد وهو تحرير الارض والانسان؟ تحريرالأرض المحتلة وإستعادة كرامة الانسان فينا؟

أمثلة كثيرة تعلو في السياق. فماذا أجيب سائلا سألني في أحد المؤتمرات الأوروبية: أنتم عرب الـ ٤٨ تشكلون ٢٠ ٪ من سكان إسرائيل تستطيعون ان تكونوا قوة مانعة بالحصول على ٢٠ مقعدا في الكنيست أو أكثر. فلماذا لا يحدث هذا؟ كان جوابي مقتضبا، ولكنه لم يكن الجواب الحقيقي، فقد خجلت من مواجهة نفسي بحقيقتنا: "لأننا اغبياء". أمثلة أخرى، وأسئلة كثيرة تنتظر من يجيب عليها، ولكن ليس هذا هو المهم.

المهم هو ماذا تعلمنا منذ النكبة الاولى؟ وجوابي هو: لا شيء على الاطلاق. لأننا لو تعلمنا، لكانت لدينا سينما. لكان لدينا إعلام حقيقي غير القصيدة والمقالة. لكان لدينا مسرح. لكان لدينا موسوعات فلسطينية. لكانت لدينا مؤسسات ترعى كل هؤلاء المبدعين. لكان لدينا حقا مشروع حياة. ولكننا على ما يبدو، لم نتعلم شيئا منذ النكبة غير الخطاب المباشر السياسي الغبي الذي لا يحمل في قالبه مشروعا حقيقيا يهدف الى استعادة كرامة الانسان. نعم، لم نتعلم شيئا. وقد تدجنت الثورة ودخلت في طور "الوظيفة" حتى أصبح القائد المغوار مجرد موظفا ينتظر الكثير إلا الدرس والعبرة، إلا الدولة العتيدة.

لقد صنعت المؤسسة الصهيونية وما زالت آلاف الأفلام والمسرحيات وطبعت آلاف القصص ووضعت الملايين المرصودة للاعلام فقط. هذا إضافة الى المتاحف والمنابر والفن التشكيلي والموسيقى، الاعلام المدروس والموجه. أما نحن، فماذا فعلنا بـ ٥٨ عاما من النكبة؟ أين وضعنا أموالنا وبماذا استثمرناها؟ ماذا فعلنا غير الصراخ والعويل. أنظروا الينا، وشاهدونا في المرآه. شاهدو تلفزيوناتنا، مسارحنا، سينمانا. لو كنا نحترم الانسان فينا، لو كنا حقا نحترم الانسان؟

وساقول هنا أمرا قد يغضب الكثيرين: فلنتعلم من إسرائيل كيف تحترم انسانها اليهودي فقط!! فيا ليتنا نحترم انساننا لينطبق علينا مثلنا "ما في حق بضيع ووراه مطالب". فقط عندها نصنع الأبطال ونخلق قيادة نبيهة مسؤولة تسوقنا الى بر الأمان. عندها فقط نستحق الدولة وعندها فقط نستطيع أن نعلمهم كيف يحترمون الإنسان أيا كان. عندها فقط.

قضيـة عـودة اللاجئيـن الفلسطينييـن هـي قضيتـي الأولـى

بقلم: الفنانة فردوس عبد الحميد



حينما شرعت في الكتابة عن القضية الفلسطينية وشعب فلسطين بالذات، أخذت أفكر في هذا الشعب الذي مرت علية الأهوال تلو الأهوال منذ نكبته في العام ١٩٤٨. أذكر أنه عندما كنت طفلة وأنا أسمع أغنية فيروز الرائعة "سنرجع يوماً" كان لدي اليقين والإيمان الذي لا يتزعزع في أن قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين هي قضيتي الأولى. هي جزء من مشكلتي، فلم أشعر يوماً أنها قضية منفصلة أو أنها قضية شعب آخر حتى ولو كان شعباً شقيقاً. لم يكن هذا شعوري وحدي بل كان شعور أجيال سبقتني وأجيال جائت بعدي. لقد كانت قضية مصير بالنسبة لنا جميعاً. وهي خط الدفاع الأول الذي يحمي الجميع من التساقط والسقوط. وعندما أناضل اليوم، أجد أن المحظور قد حدث. خصوصا مع بروز إحساس محايد لدى الأجيال الجديدة التي للأسف لا تع تماما ما يدور حولها من أحداث جسام. هذا الكيان الضخم المسمى بالوطن العربي الذي كان صخرة كبيرة في وجه الاستعمار لم يعد كما كان.

إن التعامل العربي مع فلسطين المحتلة، العراق، سوريا، لبنان والسودان المستهدفين، هو صورة تدعو إلى اليأس. ولكن إذا دققنا جيدا في الصورة ترى المقاومة الشعبية الحقيقية في العراق وليست الجماعات الإرهابية التي تحاول الشوشرة عليها. نجد المقاومة الباسلة في لبنان التي استطاعت أن تحرر جزءاً كبيرا من الأرض بالرغم من القوى المتواطئة التي تحاول تعويق مسيرتها، ونجد سوريا، البلد الشقيق الذي يحاول الحفاظ على عروبته و صموده.

وأولا وأخيرا. نجد الشعب الفلسطيني. هذا الشعب الذي يتمتع بقوة وعزيمة من فولاذ بالرغم من الظلم والقهر والعدوان والمجازر التي تحاول كسر عظامه. هذا الطفل الفلسطيني الذي ولد رجلا، وهذه المرأة الفلسطينية الحديدية التي يُقتل أبناؤها أمام عينيها ولكن الوطن لديها أغلى.

واليوم، وفي الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة، وما يشهده من خلافات تشق الصف الفلسطيني أجدني كمواطنة عربية تعشق التراب الفلسطيني وتنحني هاماتها للتضحيات ولا تنسى عشرات الآلاف من الشهداء، أشعر بالخوف على فلسطين. وأحذر من النافخين في نار الفتنة من الداخل والخارج، هذه الفتنة التي قد تجعل الدماء الزكية تضيع هدراً. تحية إجلال وإكبار للشعب الفلسطيني الباسل في الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة و بعون الله، سيكون هذا الشعب على موعد مع التحرر والحرية والعودة.





الزاوية، قضاء صفد، ٨٨٢ نسمة، هجرت في ٢٤ أيار ١٩٤٨.

المنشية، قضاء صفد، ١٤٠ نسمة، هجرت في ٢٤ أيار ١٩٤٨.

عمّوقة، قضاء صفد، ١٦٢ نسمة، هجرت في ٢٤ أيار ١٩٤٨.

إندور، قضاء الناصرة، ٧١٩ نسمة، هجرت في ٢٤ أيار ١٩٤٨.

الصالحية، قضاء صفد، ١,٧٦٣ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

المنصورة، قضاء صفد، ٤١٨ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

الملاّحة، قضاء صفد، ١,٠٣٢ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

الخصاص، قضاء صفد، ٥٤٥ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

هرّاوي، قضاء صفد، ٢٩٠ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

الدوّارة، قضاء صفد، ٨١٢ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

بيسمون، قضاء صفد، ٢٣ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

العابسية، قضاء صفد، ١,٤١٥ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

عرب صقرير، قضاء غزة ٤٥٢ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

كوفخة، قضاء غزة، ٥٨٠ نسمة، هجرت في ٢٥ أيار ١٩٤٨.

ماروس، قضاء صفد، ٩٣ نسمة، هجرت في ٢٦ أيار ١٩٤٨.

قبّاعة، قضاء صفد، ٥٣٤ نسمة، هجرت في ٢٦ أيار ١٩٤٨.

فرعم، قضاء صفد، ٥٨٥ نسمة، هجرت في ٢٦ أيار ١٩٤٨.

المحرّقة، قضاء غزة، ٦٧٣ نسمة، هجرت في ٢٧ أيار ١٩٤٨.

زرنوقة، قضاء الرملة، ٢,٧٦١ نسمة. هجرت في ٢٧ أيار ١٩٤٨.

القبيبة قضاء الرملة، ١,٩٩٥ نسمة، هجرت في ٢٧ أيار ١٩٤٨.

السامرية، قضاء بيسان، ٢٩٠ نسمة، هجرت في ٢٧ أيار ١٩٤٨.

دنّة، قضاء بيسان، ٢٢٠ نسمة، هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

المالكية، قضاء صفد، ٤١٨ نسمة، هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

قدس، قضاء صفد، ٤٥٢ نسمة، هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

غرابة، قضاء صفد، ٢٥٥ نسمة، هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

زرعين، قضاء جنين، ١,٦٤٧ نسمة هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

نوريس، قضاء جنين، ٦٦١ نسمة، هجرت في ٢٨ أيار ١٩٤٨.

خان الدوير، قضاء صفد، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٣٠ أيار ١٩٤٨.

المزار، قضاء جنين، ٣١٣ نسمة، هجرت في ٣٠ أيار ١٩٤٨.

اللجّون، قضاء جنين، ١,٢٧٩ نسمة. هجرت في ٣٠ أيار ١٩٤٨.

بيت جيز، قضاء الرملة، ٦٣٨ نسمة، هجرت في ٣٠ أيار ١٩٤٨.

لاجئون بلا وجوه:

حق العودة في المناهج التعليمية الاسرائيلية

بقلم النائب: عيسى قراقع



مأزق أخلاقي في الثقافة العبرية

عندما بدأت الحركة الصهيونية نشاطها في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر وضعت مشروعاً ثقافياً الى جانب مشروع احتلال الارض واحتلال العمل في فلسطين. ولم تأت الحركة الصهيونية لتقوم بنشاط في فلسطين الا مع مشروع ثقافي وهذا كان مصدر قوتها، وكان مصدر تأثيرها على الرأي العام العالمي أي توظيف الثقافة لبناء مشروع قومي توسيعي وكولونيالي في صلب اهدافه.

إن أدبيات الحركة الصهيونية قد صورت فلسطين كبلاد مستنقعات وانها كانت صحراء قاحلة وخالية لا بشر فيها وان وجد البشر فهم بدائيون متخلفون وكان الهدف من ذلك اقناع الرأي العام العالمي والاوروبي بأهمية قيام الدولة اليهودية–الحضارية في فلسطين لتكون كما وصفها هرتسل "محطة للغرب المتمدن كي يصل الى الشرق المتخلف" وكذلك تسهيل عملية التغلغل اليهودي في فلسطين.

ولهذا فإن نكبة ١٩٤٨ وتهجير الفلسطينيين من قراهم ومنازلهم لم تحدث الصدى اللازم في الرأي العالمي لأن الحركة الصهيونية قد نجحت في خلق تصور ان بلاد فلسطين كانت خالية وقفراء وأن سكانها الذين يعيشون فيها لا يستحقون الحياة.

والدارسون للثقافة العبرية يستنتجون انه لا توجد سياسة ثقافية لاسرائيل. أي لا يوجد برنامج ثقافي سياسي لحكومة اسرائيل منذ العام ١٩٤٨ حتى اليوم ولكن يوجد ثقافة مسيّسة أي ثقافة تخدم السياسة وهذا واضح في مناهج التعليم التي سنتطرق اليها.

والثقافة الاسرائيلية تقوم منذ نشأتها حتى اليوم على ثلاث قيم أو ثلاث مركبات أساسية هي: اليهودية كدين وقومية والصهيونية كفكر وأيديولوجيا والثقافة الغربية (الاشكنازية) كحضارة. ولعل المتتبع لما كتبه الكتاب الاسرائيليون بعد النكبة وأحداثها يلفت نظره ان في كتابات عدد كبير منهم شيء من محاسبة النفس واحساس بالجريمة التي ارتكبت في عام ١٩٤٨.. ولكن هذا الاحساس بما اقترف ضد العرب في العام ١٩٤٨ لا يعني تماثلاً مع معاناة الفلسطينيين بل معاناة الاسرائيليين انفسهم اذ صورت الجرائم تجسيداً لسلوك فردي وليس لسياسة.

وكثير من المؤرخين الاسرائيليين الذين يكتبون حول النكبة بمن فيهم المؤرخ "بيني موريس" الذي كتب الكثير عن النكبة وما ارتكبته القوات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني لم يكتب ان هذه كانت سياسة وانما كانت مجرد سلوك انحرافي لضباط هنا وهناك. ويتضح من لقاءات مع كتاب اسرائيليين انهم مستعدون للحديث عن كل مسألة الا المسألة الاخلاقية. ان مأزق الكاتب او المثقف الاسرائيلي هو ما حدث عام ١٩٤٨، أي أنه أقام دولته وأقام وجوده وكيانه على أنقاض شعب آخر.. وكثير منهم يهربون مما حدث في كتاباتهم ويتعاملون مع هذا التاريخ كأنه لم يكن وبعضهم طالب بمواجهة الحقيقة ووضعها على الطاولة كونها ظلت ضاغطة بالضمير وبالوعي وبالوجدان الاسرائيلي.

وبرزت اصوات تقول انه لا يمكن ان نتقدم أو نخلص من هذه الحالة النفسية الصعبة الا اذا اعترفنا بها ولهذا السبب في موضوع المسؤولية عما حدث عام ١٩٤٨ والنكبة وكذلك عن حق العودة.

مناهج التعليم الاسرائيلي: حق العودة لا زال خارج المدرسة

تنشئ كتب التدريس الاسرائيلية وخاصة في المرحلة الابتدائية تصوراً سلبياً لدى الطلبة اليهود عن العرب لمجرد أنهم عرب. ويترسخ الانسان العربي في اذهانهم في صور شريرة ومشوهة. ومجرد مراجعة كتب التاريخ، والمدنيات والجغرافيا والأدب وحتى قصص الأطفال ووردت الكلمات التالية في الكتب الدراسية العبرية تصف الفلسطينيين خاصة والعرب عامة: الحاقدون، الخونة، الغرباء، البدو الرحل، العصابات، الارهابيون، قطاع الطرق، العنصريون، الحقيرون، المجرمون، السفلة، اللصوص، القتلة، المخربون، الانذال، المتخلفون وغيرها...

وتعتبر التربية إحدى ركائز الصهيونية، غرست في عقول الطلبة اليهود المبادئ الصهيونية وجسدت هيمنة الرواية الصهيونية وخلقت اجيالاً يهودية متطرفة وعدائية ومتعصبة تجاه العرب والهدف من كل هذا التركيز على زرع بذور الدعائم التاريخية والايديولوجية لدولة اسرائيل الكبرى في برامج التربية الصهيونية هو تذكير الشبان الاسرائيليين بشعار بيغن القائل: "انتم الاسرائيليون لا ينبغي ان تشعروا بالشفقة حين تقتلون عدوكم لا عطف ولا رثاء حتى ننتهي من ابادة ما يسمى بالحضارة العربية التي سنبني على انقاضها حضارتنا".. لهذا فإن دمية العربي المشنوق التي تنتجها مصانع الالعاب في اسرائيل منتشرة في الحدائق والمدارس الابتدائية اضافة الى الكتب التي تصور العربي وكأنه من أكلة لحوم البشر ولد من أب عفريت وأم عفريتة.. له قرنان يطوف البيوت ليخطف الاولاد.

ان التمعن بالمناهج التدريسية يضعك امام الكثير من النماذج على نصوص تصوّر العرب بشكل سلبي.. وحتى في كتب الجغرافيا والخرائط.. حيث تتجاهل بصورة مطلقة القرى والبلدات الفلسطينية. هذا التجاهل يأتي لخدمة التوجه المؤدلج بالصهيونية الهادف الى اظهار أن فلسطين قبل هجرة اليهود اليها كانت قفراء ولا وجود لأي شعوب آخر فيها.

وعن ذلك يقول الكاتب الاسرائيلي "ايلي بوديه": "التاريخ في كتب التدريس العبرية كافة بلا استثناء تعرض لاعادة كتابة غائية وفي خضم ذلك جرى اضفاء الشرعية على ما تقوم به اسرائيل من جميع الاعمال والممارسات وفي موازاة ذلك جرى اسقاط الشرعية عما يقوم به الاخر".

وواضح ان فلسفة التربية والتعليم الاسرائيلية واهدافها الرسمية والحكومية كرست لتكون أداة في خدمة الايديولوجية الصهيونية.

وصيغت أهداف التعليم الرسمية للحكومة الاسرائيلية وشرّعت عن طريق قانون التعليم (١٩٥٢) وهذه الاهداف تجاهلت وجود العرب في هذه البلاد ووضعت لتخدم دولة اسرائيل فقط ولخدمة الهوية الجمعية لليهود وليس هناك أي ذكر للهوية القومية للعرب او حتى لوجودهم وليس هناك اية محاولة لتعريف اليهود على العرب.

وحددت كتب التاريخ أهداف التعليم بزرع حب دولة اسرائيل في الطالب والحفاظ على كيانها وتجذير الاعتراف القومي في قلب الطالب وتعزيز الشعور لديه بالمصير المشترك. وصرحت وزيرة المعارف ليمور ليفنات بأنه من الضروري التربية على القيم اليهودية وتجذير الروح القومية لدى ابناء الشبيبة.

وبهذا نرى ان أهداف التعليم في اسرائيل كانت وما زالت امام تحد متواصل للسيطرة على العرب ودمغهم في اتجاه العدمية القومية والحضارية من جهة ولغرس القيم الايديولوجية الصهيونية في نفوس الطلبة اليهود وحتى العرب على طريق أسرلتهم.

ولكتب التاريخ اهمية خاصة في هذا المضمار لأن الطالب يتقبل المؤرخين كأناس موضوعيين ينقلون الحقائق التاريخية ويتعامل مع مادة التاريخ كحقائق مطلقة.. لذلك جاءت كتب التدريس في المدارس الاسرائيلية بعيدة عن الوقائع والحقائق الاساسية واستعملت لخلق الولاء المنشود لدولة اسرائيل وللشعب اليهودي.

وليس عجباً ان تكون باكورة اعمال وزيرة المعارف ليمور ليفنات الغاء احد كتب التاريخ من المنهاج التعليمي (عالم من التبدلات) للكاتب "داني يعقوبي" لانه حسب زعمها لا يتماشى مع الايديولوجية الصهيونية.

وتوضح الأبحاث ان الكتب الرسمية شكلت أداة مركزية بأيدي المؤسسة الصهيونية في تكوين وتشكيل الذاكرة الجماعية للأمة اليهودية ومنح الشرعية للنظام القائم، وتشير الأبحاث الى وجود مغالطات وتجاهل بالنسبة لتدريس تاريخ العرب وحضارتهم.

ويظهر الصحفي الاسرائيلي "توم سيغف" في كتابه (المليون السابع) ان الحكومة الاسرائيلية استعملت الكارثة اليهودية عمداً كوسيلة لتوحيد الهوية الاسرائيلية.

وكان تزييف الحقائق في كتب التاريخ والجغرافيا والمدنيات اداة رئيسية استعملها الصهيونيون من اجل تشكيل الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي ومن اجل اعطاء الشرعية لوجودهم وتشكيل حكاية تاريخية موحدة بالنسبة للصراع العربي– اليهودي فعممت هذه الرواية في جميع كتب التدريس.

الصراع على الحكاية

الصراع ليس على الواقع وانما على الحكاية. فالرواية الصهيونية تستخدم التاريخ وتزيف الحقائق لتبرير وجودهم ومحو الوجود الفلسطيني ولتأكيد حقهم التاريخي على ارض فلسطين.. فهم شعب الله المختار وعليهم ان يتواجدوا في أرض الميعاد.

وتمشياً مع اصرارهم على جعل المكان متجانساً مع روايتهم جاءت اسطورة الارض القاحلة التي استوطنها اليهود واستثمروها وجففوا مستنقعاتها وبنوا فيها البيوت الجميلة وهذا ما زال الطلاب يتعلمونه حتى اليوم.

ويذكر الكاتب "ايلي فوده" في بحثه عن مناهج التدريس في المدارس العبرية ان الهدف الأساسي لكتب التدريس كان خلق الارتباط التاريخي بين المشروع الصهيوني والاستيطان اليهودي في أرض اسرائيل وإلغاء وجود الاستيطان العربي.. وتطورت أسطورة الارض الخاوية في العديد من كتب التدريس واتسم التعامل مع شخصية العربي الفلسطيني بالتجاهل والإنكار والتغييب وبهذا تعزيز لهدف وزارة المعارف بتثبيت حق اليهود على ارض اسرائيل ودحض الحق العربي.

ولم تتطرق اطلاقاً كتب التدريس الى نكبة ١٩٤٨ والمذابح التي ارتكبت حينها لا من بعيد ولا من قريب.. وجاء في أحد الكتب أن مقولة اللاجئين العرب انهم شعب جرى تشريده عن أرضه كاذبة والحقيقة ان العرب اختاروا ان يهاجروا من بلاد ذات أكثرية يهودية حتى يعيشوا بين الشعوب العربية.

ولا احد يعتقد ان تغييراً جذرياً قد حدث على الرواية الصهيونية في كتب التعليم الاسرائيلية بعد اتفاقية أوسلو.. ففي بحث أجراه البروفوسور "داني بارطال" على كتب التعليم بعد سنوات أوسلو وجد أن غالبية الكتب تشدد على بطولة الشعب اليهودي وتبرزه بشكل فوقي فهو صاحب قضية عادلة يحارب من أجلها ضد عدو عربي يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودي في اسرائيل.. وتذكر الكتب العربي بصاحب الأفكار السلبية والتعامل معه من خلال إلغاء شرعيته وإلغاء إنسانيته.

هكذا نرى أنه في مسار بناء الأمة اليهودية كان لجهاز التربية والتعليم وظيفة أساسية لنشر صورة هذه الأمة وتراثها وذلك عن طريق إحياء، إعادة صياغة وإيجاد أسطورة تاريخية وذاكرة جماعية على حساب شعب آخر.

لاجئون بلا وجوه

إن مصطلح الفلسطينيين غريب على أغلبية الكتب الدراسية الاسرائيلية تماماً مثل الخط الاخضر. اما اللاجئون فيظهرون من خلال صورة جوية لمخيم من دون ذكر إسمه ومن دون وجوه إنسانية، بينما يظهر اللاجئون اليهود مباشرة وهم جالسون على الحقائب كما أن النصوص تظهر العرب في صور وملابس بدائية وتقول أنهم يصرون على السكن في منازل أفقية ملتصقة بالأرض وعالية التكلفة.

يتحدث الباحث "ميرون بنفستي" في جريدة "هآرتس" يوم ٢٠ نيسان ٢٠٠٦، عن ذلك بقوله أن "اليهود قرروا استبدال تجاهلهم العاطفي للفلسطينيين بالطلاق وإزالتهم من الوعي". ويقول أنه "لأول مرة منذ ان بدأ الالتقاء المأساوي بين الطرفين يصدر اليهود امراً بالطلاق النهائي من العرب ويديرون ظهرهم لهم ويزيلونهم من وعيهم ويحبسونهم من خلف جدران صمّاء وينطوون طواعية في غيتو خاص بهم متمنين ان يجف البحر الميت او أن يشيد جسر يربطهم بالقارة الأوروبية مباشرة.. لأن نظرة الجمهور اليهودي للعرب كانت دائماً تتصف بالنكران والتجاهل". ويقول ايضاً: "العلاقة كانت تنطوي على الكثير من المشاعر: الخوف والرهبة والود والانجذاب، الفوقية والتمركز العرقي الاوروبي".

إن ملايين اليهود المهاجرين حملوا معهم كراهية غير اليهود وأسقطوها على غير اليهود (المحليين) وجهاز التعليم بدوره يرعى تنفير العرب والتأكيد على انهم غرباء عن القيم الصهيونية.

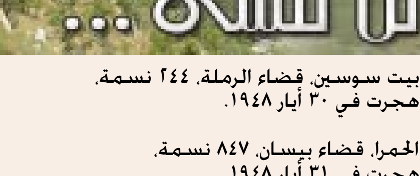
الخلاصة

لقد كان العامل المرشد لوزارة المعارف الاسرائيلية هو التوجه السياسي القائم على تعميق رسائل وقيم الصهيونية والقومية والانزلاق الى التعصب القومي والتشويهات التاريخية التي تسعى الى تزيين المشروع الصهيوني منذ ظهوره وسط نبذ وإهمال الرواية الاخرى الفلسطينية، تنطوي على عناصر مقصودة لتعميق الاحتلال حتى داخل الخط الاخضر والنكبة الكولونيالية.

فلا غرابة بعد كل ذلك أن يكون موقف الجمهور اليهودي من العرب متطرفاً وهو المؤشر الذي أظهره مركز مكافحة العنصرية في اسرائيل وكشف النقاب عن ان ٦٣٪ من الجمهور اليهودي يعتقدون بأن العرب في اسرائيل هم تهديد امني وديمغرافي على الدولة.

الكاتب عيسى قراقع هو عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، ورئيس نادي الأسير الفلسطيني في الضفة الغربية. لقراقع مؤلفات أدبية وبحثية عديدة.



بيت سوسين، قضاء الرملة، ٢٤٤ نسمة، هجرت في ٣٠ أيار ١٩٤٨.

الحمرا، قضاء بيسان، ٨٤٧ نسمة، هجرت في ٣١ أيار ١٩٤٨.

مسيل الجزل (الزيناتي)، قضاء بيسان، ١١٦ نسمة، هجرت في ٣١ أيار ١٩٤٨.

أم عجرة قضاء بيسان، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٣١ أيار ١٩٤٨.

هوج، قضاء غزة، ٩٤٠ نسمة، هجرت في ٣١ أيار ١٩٤٨.

حزيران ١٩٤٨

سجد، قضاء الرملة، ٤٢٩ نسمة، هجرت في ١ حزيران ١٩٤٨.

النبي روبين، قضاء الرملة، ١,٦٤٧ نسمة، هجرت في ١ حزيران ١٩٤٨.

يبنه، قضاء الرملة، ٦,٢٨٧ نسمة، هجرت في ٤ حزيران ١٩٤٨.

قاقون، قضاء طولكرم، ٢,٢٨٥ نسمة، هجرت في ٥ حزيران ١٩٤٨.

ياصور، قضاء غزة، ١,٢٤١ نسمة، هجرت في ٩ حزيران ١٩٤٨.

البروة، قضاء عكا، ١,٦٩٤ نسمة، هجرت في ١١ حزيران ١٩٤٨.

جولس، قضاء غزة، ١,١٩٥ نسمة، هجرت في ١١ حزيران ١٩٤٨.

تموز ١٩٤٨

خربة جدين قضاء عكا، ١,٧٤٠ نسمة، هجرت في ١ تموز ١٩٤٨.

المسمية الصغيرة (حورانية)، قضاء غزة، ٦١٥ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

المسمية الكبيرة، قضاء غزة ٢,٩٢٣ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

الجلدية، قضاء غزة، ٤١٨ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

عبدس، قضاء غزة، ٦٢٦ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

بعلين، قضاء غزة، ٢٠٩ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

صميّل، قضاء غزة، ١,١٠٢ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

التينة، قضاء الرملة، ٨٧٠ نسمة، هجرت في ٨ تموز ١٩٤٨.

تل الترمس، قضاء غزة، ٨٨٢ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

قسطينة، قضاء غزة، ١,٠٣٢ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

إدنبة، قضاء الرملة، ٦٨ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

جليا، قضاء الرملة، ٣٨٣ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

قزازة، قضاء الرملة، ١,٠٩٠ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

الخيمة، قضاء الرملة، ٢٢٠ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

برقوسيا، قضاء الخليل، ٣٨٣ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

مغلس، قضاء الخليل، ٦٢٦ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

تل الصافي، قضاء الخليل، ١,٤٩٦ نسمة، هجرت في ٩ تموز ١٩٤٨.

رنتية، قضاء يافا، ٦٨٤ نسمة، هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.



إسرائيل بعد انتخابات ٢٠٠٦:

"الخارطة الحقيقية تنزاح يمينًا وبصورة متطرفة"

بقلم: أنطوان شلحت

حملت نتائج الانتخابات للكنيست الإسرائيلي الـ١٧ (التي جرت في ٢٨ آذار ٢٠٠٦) عدة دلالات سياسية واجتماعية وفكرية، فيها ما أحال أساسًا إلى التركيبة المتوقعة للحكومة الإسرائيلية المقبلة وإلى أجندتها العامة، بمقدار ما يحيل إلى مستقبل علاقة إسرائيل الخارجية مع الجانب الفلسطيني وخصوصًا ما هو متعلق بالعملية السياسية، فضلاً عن إحالاتها إلى التطورات الداخلية السياسية والاجتماعية والحزبية. يتناول هذا المقال أبرز هذه الدلالات وتأثيرها على مستقبل النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي، وكيفية انعكاسها في مجال السياسة الداخلية حيال المواطنين العرب.

هل انهار اليمين المتطرّف؟

إعتبر الكثير من المعلقين والمحللين وكتاب الأعمدة الصحافية الهزيمة النكراء التي مُني بها حزب "الليكود" مؤشرًا دالاً إلى انهيار اليمين المتطرف، الاستيطاني، وتحديدًا على خلفية موقفه ضد خطة الانفصال عن قطاع غزة وأجزاء من شمال الضفة. فهل انهار اليمين المتطرف فعلاً؟.

– في جردة حسابية بسيطة، قد تبدو جافّة بغض الشيء، لا يجوز التغاضي عن أن قوة المعسكر اليميني المتطرف في الكنيست الـ١٧ قد ازدادت إلى حوالي نصف المقاعد الـ١٢٠. والمتشائمون أكثر قد يرون أن قوة هذا المعسكر تضاهي الغالبية المطلقة، أي ٥٠ بالمائة زائد واحد.

إذا أخذنا في الاعتبار أن هذا المعسكر الواضح يضم الأحزاب التالية: يسرائيل بيتينو، هئيحود هليئومي- المفدال، شاس، يهدوت هتوراة والليكود فإننا نصل إلى ٥٠ عضو كنيست. وإذا أضيف إلى هؤلاء أعضاء كنيست يمينيون في كديما، مثل المستوطن عتانئيل شنلر ونائبة الوزير روحاما أبراهام والوزير تساحي هنغبي وأشباههم، فسنصل بسهولة إلى رقم يزيد عن ٦٠ عضو كنيست.

– في الكنيست السابق الـ١٦ بلغ عدد أعضاء كتل هئيحود هليئومي ويسرائيل بيتينو والمفدال ١٢ عضوًا. أما في الكنيست الحالي الـ١٧ فإن هذه الأحزاب الثلاثة ارتفع تمثيلها إلى ٢٠ عضو كنيست، أي بزيادة حوالي ضعفين.

– تتمثل إحدى ميزات العنصرية الشاطّة في الكنيست الجديد أيضًا في العودة التقليدية إلى استعمال مصطلح "الغالبية اليهودية"، المطلوبة لأية خطة منوطة بانسحاب من المناطق (الفلسطينية).

– لا ينبغي التقليل من النزعات اليمينية الكامنة داخل حزب ائتلافي مثل "شاس"، مع أنه بالمفهوم العام لا يمثّل خيارًا سياسيًا. فقد طرأت على حزب "شاس" تحوّلات عميقة في السنوات الأخيرة، بحيث تحوّل إلى حزب سياسي يميني بشكل واضح للعيان بعد أن تردّد سنوات طويلة وراوغ بين اليمين وبين اليسار الصهيوني.

عن "الإجماعات الوطنية" الإسرائيلية الراهنة

شهدت انتخابات الكنيست الـ١٧ مجموعة من "الإجماعات الوطنية"، التي على ما يبدو ستتحكم في التطورات المقبلة.

ونشير في هذا الشأن إلى ما يلي:

– مضت إسرائيل إلى هذه الانتخابات وهي أكثر تمسكًا بسياسة الضمّ والتوسّع والعدوان، التي لم تكفّ عنها يومًا. أما "الرؤيا" حول حلّ "دولتين للشعبين"، التي لا ينفك البعض يروّج لرسوخها في المسلكية السياسية الإسرائيلية العامة، فتبقى في هذه البرامج لا أكثر من "ضريبة كلامية" بينما هي في الممارسة مجرّد رؤيا غائمة مغلّفة بكل ما في مقدوره أن يفضي إلى المزيد من تمكين الدولة الإسرائيلية وتعزيز أمنها، في جهة وإلى استئصال كل ما من شأنه أن يجعل الدولة الفلسطينية العتيدة دولة قادرة على الحياة، وخصوصًا موردي الأرض والحيّز، في جهة أخرى موازية ومكمّلة.

الصحافي جدعون ليفي ("هآرتس") أشار، مثلاً، إلى ولادة "إجماع وطني" جديد في المجتمع الإسرائيلي في الآونة الأخيرة حول ما يعرف بـ"الكتل الاستيطانية". كما أشار إلى أنه في الوقت، الذي يشير فيه المحللون واستطلاعات الرأي إلى انزياح مزعوم نحو اليسار وإلى وجود أغلبية مؤيدة لإقامة دولة فلسطينية وإخلاء مستوطنات، تتزحزح الخارطة الحقيقية يمينًا وبصورة متطرفة. فإن برامج الأحزاب الكبرى الثلاثة كديما والعمل والليكود- يمين ووسط ويسار كما يبدو ظاهريًا- موحّدة تماما في إجماعها حول إبقاء المستوطنات الكبرى في يدي إسرائيل. وحتى برنامج جنيف، الذي يعتبر "متطرفًا" (من وجهة النظر الإسرائيلية الرسمية والشعبية)، يبقي معاليه أدوميم في داخل إسرائيل.

"فجأة- يقول ليفي- ينهض الإنسان في الصباح ويكتشف أن حوله إجماعًا جديدًا: ليس واضحًا تمامًا كيف تبلور الإجماع اليميني فجأة. ذات مرة كان هناك إجماع حول القدس والآن أصبح حول نصف الضفة، ومع ذلك يطلقون على هذا: زحزحة نحو اليسار".

والحقيقة أنه قبل ليفي بوقت كثير كتب المعلق السياسي لصحيفة "هآرتس" ألوف بن، تحت العنوان "فرحة البلدوزر"، فيما يشبه النبوءة، يقول إن من يعتقد بأن أريئيل شارون تحوّل إلى يساري وبدأ الاهتمام بـ"حقوق الفلسطينيين" على خلفية "خطة الانفصال"، يكون كمن ارتكب خطأ جسيمًا. فشارون لا يزال يعتقد أن البلدوزرات والشقق السكنية هي التي تحسم الحدود، بتأييد ودعم من أميركا. وأضاف أن "سياسة الكتل الاستيطانية" التي اتبعها شارون تُصيب قلب الوسط السياسي في إسرائيل. فإن الجميع يحبون معاليه ادوميم وأريئيل، باستثناء حركة "سلام الآن" وبعض الزاعقين من اليسار (يقصد اليسار الراديكالي، لا الصهيوني). فإيهود باراك، الذي كان آنذاك يريد منافسة شارون، يلتف عليه من اليمين ويحذّر من فقدان "الكتل الاستيطانية" بسبب النهم المفرط. وشمعون بيريس تمتم محتجا على "توقيت" الإعلان عن خطة البناء في معاليه أدوميم، لكنه لم يعترض على المبدأ. والنتيجة المطلوب استخلاصها هي أن الانتخابات القادمة ستدور، إذًا، حول قضية من الذي سيحافظ على أريئيل وبيت آرييه أفضل من الآخر؟.

– إذا أضفنا إلى الإجماع الذي يقول به ليفي "إجماعًا وطنيًا" آخر لدى تلك الأحزاب حول وجوب الانفصال ديمغرافيًا عن الفلسطينيين دون الحاجة إلى تحقيق حل عادل ودائم، أي دون الحاجة إلى الانسحاب إلى حدود العام ١٩٦٧ ودون حق العودة ودون القدس، فإن الكلام السالف يحيل، ضمن أشياء أخرى، إلى طمس الفوارق بين ما يسمى بـ"يمين" و"وسط" وحتى بين هؤلاء وبين ما يسمى بـ"يسار"، في الخريطة الحزبية الإسرائيلية، حتى في حمأة انتخابات اتفق الجميع على كونها مصيرية. بل إن واقع الحال والبرنامج الانتخابي يقتضيان السؤال فيما إذا كان حزب "ميرتس" نفسه ما زال في "اليسار" الذي اعتبر حتى وقت قريب أحد رموزه الدالة، في حين أن برنامجه الانتخابي لا يستأنف، حتى لا نقول يؤيّد، على هذا الضمّ، ويؤيّد "قانون العودة" العنصري ويعارض حقّ العودة المشروع، بحجة الخشية من أن يهدّد الأخير الطابع اليهودي لإسرائيل، الذي جاء الأول من أجل تدعيمه.

– ينضوي حزب "ميرتس"، وفق برنامجه المنشور، تحت كنف "إجماع وطني" آخر يقول بأن التفاوض مع أية حكومة فلسطينية لا ينبغي أن يتم قبل أن تتوفر فيها الشروط التالية: تعترف بإسرائيل، تتبرّأ من الإرهاب وتحترم الاتفاقيات التي تمّ توقيعها بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولا يلبث أن ينتقل منه ليرتمي في أحضان "إجماع وطني" ثالث حول الخطوات الأحادية الجانب، معٍ فارق أن تأييده لهذه الخطوات يأتي من باب مناداته بإنهاء الاحتلال، لأن ذلك ينطوي أيضا على مصلحة إسرائيلية، ولا غضاضة في ذلك.

– أكثر مصطلح يخطف الأبصار في البرامج الانتخابية هو مصطلح "الخطوات الأحادية الجانب"، سواء ورد ذكره في البرامج التي تتبناه وتؤيده أو في البرامج المعترضة عليه، علمًا بأن المعترضين عليه لا يفعلون ذلك بدافع الحماس للوصول إلى تسوية من خلال الاتفاق مع الطرف الآخر. ومن هذا التناقض بين الفئتين يتولّد، للمفارقة، "إجماع وطني" مفاده أن إسرائيل وحدها هي التي يجب أن تمتلك مفاتيح الحلّ والربط، في كل ما يتعلق بصيرورة الصراع مع الفلسطينيين.

– من أكثر الأمور لفتًا للنظر أيضًا في البرامج الانتخابية أن التشديد على وجوب "يهودية إسرائيل" يأتي فوق أي اعتبار. وإن لهذا الأمر، ناهيك عمّا ذكر وأساسًا عن المواقف الرعناء من حق العودة، دلالات داخلية، بشكل خاص في المواقف المعبّر عنها من قبل بعض هذه البرامج حيال المواطنين العرب في الداخل، إلى ناحية إمعان إسرائيل في تعميق الكولونيالية الداخلية، وهو ما تجسّده، ليس على سبيل الحصر، المخططات الرسمية الأخيرة الرامية إلى ترحيل العرب من النقب والداعية إلى تطبيق ترانسفير ضد العرب في المثلث تحت شعار "تبادل مناطق"!.

في السياسة الداخلية- الأقلية العربية

لم يعد خافيًا أنه في المفترق التاريخي الحالي اختارت إسرائيل طريق تعميق الكولونيالية الداخلية. صحيح أن السيطرة والتمييز تجاه الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل ليسا بالشيء الجديد كما هو معروف، لكنهما يسيران كما يبدو في منحى التعاظم والتفاقم في أعقاب الانسحاب من غزة وفي خضم التوقعات بحصول انسحابات أخرى.

ولعل إيراد عدة أمثلة من الفترة الأخيرة كفيل بإثبات صحة ذلك:

– بدايةً هُناك النقاش المستمر لـ"المشكلة الديمغرافية" والذي بات يوّلد سَيلاً من المبادرات الرامية إلى إقصاء العرب من الحياة الإسرائيلية. وتشمل هذه المبادرات الاقتراحات الداعية إلى "تبادل سكاني" بين المستوطنات (في الضفة الغربية) ومنطقة المثلث (داخل الخط الأخضر) والتي سيتعين في نطاقها علىٍ عرب المثلث أن يدفعوا مكانتهم المدنية ثمناً لجريمة المستوطنات التي بنتها إسرائيل، هذا أولاً.

– ثانياً هناك خطط مختلفة مطروحة للنقب- وخاصة مبادرة "مجلس الأمن القومي الإسرائيلي"- تساند وتدعو إلى إخلاء قسري لقرى البدو القائمة في معظمها على أراضي آبائهم وأجدادهم.

– ثالثاً، أنظمة حالات الطوارئ التي تحظر منذ عدة سنوات تجسيد أحد حقوق المواطن الأساسية جداً، وهو جمع شمل عائلات مواطنين عرب من إسرائيل مع فلسطينيين (زوجات وأزواج) من المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧.

هذه المبادرات تسوّقها الدولة العبرية بغطاء مكشوف، من قبيل: (فرض) "القانون والنظام" في موضوع البدو، و"السلام" في موضوع نقل المثلث، أو "منع الإرهاب" في قضية جمع شمل العائلات.

لكن هذه الذرائع الواهية والكاذبة تخفي وراءها العنصرية العميقة للدولة الإثنوقراطية التي تعمل دون كلل، وبشكل لا ديمقراطي، على تعميق السيطرة اليهودية وسط إقصاء وحرمان السكان العرب في إسرائيل من موارد القوة والأراضي العامة.

ومؤخرًا نشرت لجنة الدستور التابعة للكنيست مسودة الدستور العتيد للدولة. هؤلاء السياسيون أنفسهم، الذين تلهج حناجرهم بأهمية الدستور الديمقراطي، يصممون ويصوغون في الوقت ذاته سياسة تحول إسرائيل إلى دولة أبرتهايد زاحف.

أنطوان شلحت هو كاتب وصحفي من مواليد عكا في العام ١٩٥٦. شغل مناصب عدة منها رئيس تحرير صحيفة فصل المقال، وقائم بأعمال رئيس تحرير جريدة الاتحاد، كما يشغل السيد شلحت منصب المدير الفني لمسرح الكرمة في حيفا، وله العديد من الإصدارات الأدبية، النقدية والبحثية.

شظايا النكبة تجرح الحاضر

بقلم: هشـــام نفـــاع

بداية متفائلة: خلال المسيرة إلى قرية أم الزينات المهجّرة على كتف الكرمل، يوم الثاني من أيار الجاري ، في نفس اليوم الذي احتفلت فيه إسرائيل باستقلالها المنقوص (لأنّ الاحتلال والعنصرية ينهشانه)، سمعتُ ملاحظة لافتة، من شخصين. فقد علّق كلّ منهما، على حدة، بأنّ المشاركات والمشاركين في المسيرة يبتسمون ويتبادلون التحيّات والحديث، بل إنّ بعض الشباب كان يغنّي.

برأيي أنه لا يمكن هندسة ما يشعر به البشر (رغم قدرة السلطة على غسل الأدمغة وتهويش الغرائز!). وحين يحافظ المحتجّون في أمّ الزينات على معنوياتهم العالية ويعبّرون عنها، فهم يعلنون ثقتهم بعدالة مطالبهم وبتفاؤلهم بأنّ الظلم ليس قدرًا محتومًا.

مرّة أخرى: في واقع كواقعنا الراهن، بكل ما فيه من بطش وقمع واستغلال وجرائم سياسية، سيصبح التشاؤم سلاحًا قاتلا يدفع الجماهير لليأس أو للبحث عن فردوس مفقود في الماضي، أو ملجأ في عوالم الوهم، من الشعوذات وحتى المخدرات.

أما التفاؤل الواعي فيقوم على القناعة بأنّ الحياة محكومة بالتغيير، وأن التغيير يتفاعل في ظروف غير جامدة. صحيح أنّه لا يمكن تغيير العالم كلّه مرّة واحدة وبحركة واحدة. مع ذلك يظلّ هناك ما يمكن (ويجب) القيام به. فالتفاؤل هو موقف سياسيّ، أيضًا.

**

في المسيرة الى القرية المهجرين التقيت مشاركيْن أعادا الى ذهني القصة التالية. انهما المؤرخ إيلان بابه والباحث تيدي كاتس. فقد كانت وقعت في جامعة حيفا (القريبة بالصدفة من موقع أم الزينات. فكلاهما على الكرمل) حادثة بدت يومها "إجرائية" لكنها بقيت عميقة الدلالات.

يومها كان الممر الواقع في الطابق الأول من البناية الرئيسية للجامعة مليئًا بالعيون. عيون غاصت تحت الحواجب المرفوعة استهجانًا مما قرره رئيس الجامعة، بروفيسور يهودا حيوت. بدأت القصة حينما بادر المؤرخ إيلان بابي الى تنظيم يوم دراسي يتناول حرب ١٩٤٨ برؤية تحليلية بحثية مجددة، تقدّم مختلف "الروايات". لكن تبيّن وجود مواضيع يُمنع النظر المجدّد إليها ولو بثمن الكتم الأكاديمي للأنفاس. بل كأنه يجب على تلك المسائل، كما يبدو، أن تظل مغطاة بغبار الأمس. وهو الدليل على شدة راهنيتها. ولكن حتى القمع يفقد في حالات كهذه إحدى احتياجاته الهامة: حفنة الحياء.. يومها توجه د. بابي الى رئيس قسم العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية، د. ميخائيل غروس بطلب تنظيم اليوم الدراسي، لمتابعة وعرض وتحليل الرؤى الأكاديمية في تناول حرب ١٩٤٨ لدى اسرائيليين وفلسطينيين وعرب بمشاركة عدد من الباحثين والكتّاب: د. أسعد غانم، د. أودي أديب، الكاتب سلمان ناطور والباحث تيدي كاتس (صاحب البحث الشهير عن مجزرة الطنطورة، والذي قامت الجامعة بشطبه رغم أن أستاذه أجازه بعلامة امتياز. رئيس قسم العلاقات الدولية تجاوب معلنًا موافقته على تنظيم اليوم الدراسي. من هنا يبدأ مسلسل مثير (للعجب وغيره)، فقد تدخل عميد مدرسة العلوم الاجتماعية بروفيسور أريه رتنر وأعلن إلغاء اليوم الدراسي.. أشهرَ "فيتو"! ومما قاله العميد إن هذا القرار مشترك بينه وبين رئيس الجامعة أيضًا. أما تسويغ تلك الخطوة المفرطة في "الديمقراطية وحماية الحريات الأكاديمية" فقد كان ما اعتبروه "إشكالية مشاركة د. أودي أديب". لماذا؟ لأنه كان أدين في السبعينيات بـ "علاقات مع العدو السوري" وسُجن. حسنًا، إذن فالمَخرج المتاح من هذا الانفتاح الرؤيوي الذي يشار إليه بالبنان كان محاولة إقامة اليوم الدراسي كحصة غير منهجية ضمن قسم العلاقات الدولية.

لأن الادارة الجامعية بلّغت المنظمين أن أي نشاط "يحتاج لترخيص". وبما أن الحصة لا تحتاج لذلك "الترخيص" فقد ظن المنظمون أنهم اجتازوا "العقبات الديمقراطية". ولكن هيهات.. فقد أصدر الرئيس أمرًا موقعًا يعلن فيه منع إقامة هذا اليوم الدراسي في أية بقعة من الحرم الجامعي. حتى ولا في أحد المقاهي. لا بل انه أرسل قوة من رجال الأمن الى القاعة التي كان يُفترض أن تشهد النشاط، حيث أغلقوها وما كان ينقص سوى ختمها بالشمع الأحمر.

هنا اختلط الاستياء والغضب بالتندّر.

فالأمثال تصدق أحيانًا. "شرّ البليّة..".. رسالة الرئيس هي "فرمان" عثماني لا يمكن خرقه، قال البعض.. وآخر تساءل عما إذا كانت "القوات الخاصة" في الطريق.. يومها قال مسؤول الأمن ردًا على سؤال وجهته اليه بهذا الخصوص إنه "ينفذ الأوامر فقط". صياغة ليست غريبة عن واقعنا.. عدد من المحاضرين لم يخفِ غضبه. وقد نشروا ردودهم في موقع الانترنيت الجامعي الداخلي. د. يوفال يونائي من قسم علم الاجتماع قال: "إن إلغاء النشاط بأمر من فوق يناقض الروح والحرية الأكاديميتين، حتى لو كانت لدى ادارة الجامعة الصلاحية لذلك. وهو احتمال مهزوز من ناحية قانونية. على أية حال فإن هذا الحظر يناقض الحاجة في انجاز التسوية ومعالجة جروح الصراعات والعداء". بروفيسور ميخا ليشم من قسم علم النفس قال: "إن هذا السلوك لا يُغتفر وهو يستدعي تفسيرًا مقنعًا من سلطات الجامعة. أخشى أن العديد من زملائنا ومن الصحفيين سيتساءلون بدهشة عن سمعة الجامعة، ألم يكن من الحكمة إجازة اليوم الدراسي وترك المسؤولية عنه لمنظميه، اذا كانت هناك حاجة في ذلك أصلا؟". وقد اختتم بكلمات قاسية: "في كل الأحوال سنظل في هذا الوحل الذي يغطي وجوهنا". بروفيسور يوسي غوطمان اتهم رئيس الجامعة بـ "المساس بسمعة جامعة حيفا كمؤسسة أكاديمية منفتحة وحرة". وفسّر موقفه كالتالي: "إن المؤسسة الاكاديمية تقوم على مبدأ حرية التفكير وحرية الرأي، طالما لا تتناقضان على الأقل مع القانون. وممنوع أن يقوم صاحب وظيفة في الجامعة، مهما كانت درجته، باستغلال مكانته لوضع حواجز أمام هذا المبدأ، حتى لو كانت الأفكار المطروحة غير مقبولة عليه". د. ايلان بابي، المبادر لليوم الدراسي الذي شطبته "رقابة الأكاديميا"، (ويا لها من توليفة!)، اعتبر يومها أن هذه الحادثة ليست وحيدة. بل ان "هذا هو الواقع اليومي في الحرم الجامعي، الذي يعكس التدهور العام في في حقوق المواطن والانسان في إسرائيل". بابي يربط المسألة بالسياق الاسرائيلي الأوسع الذي لا يزال أبرز ما فيه هو الاحتلال. ويقول: "إطلاق النار على الصحفيين وقتل ناشطي حقوق الانسان في المناطق المحتلة من جهة، وسلطة الارهاب والتخويف في الجامعة من جهة أخرى تشكل جزءا من نفس الظاهرة". وتحدى الصامتين من بين زملائه المحاضرين مؤكدًا: "طالما واصلوا صمتهم على تدمير الحياة الأكاديمية في المناطق المحتلة، فلا يمكن للجامعات في اسرائيل أن تكون جزءًا من العالم المتنور والمتقدم الذي تطمح للانضواء تحت لوائه. إن العديد من الزملاء يستصعبون التعبير عن تضامنهم، كل واحد وواحدة لأسبابه. يبدو أنهم لم يذوّتوا بعد العبرة التاريخية من الماضي. فاليوم أنا، وغدًا سيأتي دورهم.. العديدون منهم جاءوا من عائلات عانت على جلدها من كتم الاصوات التدريجي الذي رافق صعود النازية والفاشية والدكتاتوريات في أمريكا اللاتينية. إنهم يعيشون حالة من الانكار الذاتي، وكأن هذا لن يحدث لهم". هذه القضية المركبة بل الخطيرة التي طالت أساسيات الخطاب والممارسة الأكاديميين تحولت الى ما يلي من خلال سطور (سطر) الرد الرسمي للناطقة بلسان الجامعة: "اليوم الدراسي لم يكن بحسب المعايير الأكاديمية لجامعة حيفا". بمعنى ما، كانت الناطقة محقّة. فمعايير بهذه القامة تغتال نفسها وما تمثّله من أكاديمية.

**

حادثة جامعة حيفا التي حملت في طيّاتها حظرًا على الاقتراب من تعقيدات عام النكبة، ١٩٤٨، هي بمثابة ذلك الذي يأبى سوى الطغيان على الذاكرة. فتكتيكات وممارسات التكتّم تتفاعل بشكل معكوس: لأنها تفضح المكتوم على الدوام وإن بدا كأنه خبا.

لذلك، فلم يكن من قبيل الصدفة أن تعود مخاوف ما تطويه/تحمله تلك الذاكرة عندما شنت واشنطن حربها على العراق مطلع ٢٠٠٣.

فقد تعالت في حركات اليسار الراديكالي حينها المخاوف. كان أول ما تبادر الى الأذهان هو ذلك المصطلح الذي يثير القشعريرة: الترانسفير.

فالحديث بلغة "التطهير العرقي" هذه لم يعد مقتصرًا على القوى التي أسموها مرة "يمينية اسرائيلية متطرفة"، بل بات أحد المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة. ورغم أن هذا غير معلن بوضوح فإن سياسات هدم البيوت والتضييق وكل العقوبات الجماعية وترك الرّسن لعصابات المستوطنين في انفلاتها على المدنيين العزّل لزيادة توسعها الكولونيالي، والجدار لاحقًا، أثارت المخاوف. يومها كانت قرية يانون قرب نابلس تشعل الضوء الأحمر. ففي هذه القرية (محيط نابلس) كاد مخطط الترانسفير ينجح لولا جرأة أصحاب الضمائر العرب واليهود الناشطين معًا، الذين تصدوا مع الأهالي لمخطط افراغ قريتهم. وتزامن ذلك مع مساعي جهاز الاحتلال لتهجير أهالي جنوب جبل الخليل بغية شق محور يربط مستوطنات المنطقة لخلق مساحة استيطانية مترامية، مما زاد من توهّج القلق. كان هناك أكثر من مغزى للخشية من أن جهاز الاحتلال والسياسيين قد لا يتورّعوا – تحت غطاء حرب الديمقراطية على العراق!– عن استكمال خططهم الدموية الهادفة لفرض الواقع السياسي الذي يخدم مصالحهم، وبأبشع الممارسات والموبقات. حتى من الصنف الذي يعيد الى الأذهان عام ١٩٤٨.

بعد تلك الفترة جاء مشروع الإحتلال الأضخم: اقامة جدار الضم والفصل العنصري. وهو صيغة مستحدثة لتنفيذ أشكال من "الترانسفير الداخلي" بغية تمرير مشروع "الحفاظ على كتل استيطانية" تتساوق مع "تطهير" خطوط الانسحاب الاسرائيلي أحادي الجانب من الفلسطينيين. وهو خطر لا يزال ماثلا. فمن يقرأ الخطوط السياسية العريضة لحكومة ايهود أولمرت الجديدة، ويتذكّر ما قالته قبل شهور وزيرة خارجيتها تسيبي ليفني من أن الجدار "سيشكّل الحدود المستقبليّة لإسرائيل"، يجدر به التريّب وتوخي الحذر. فقد يستبعد البعض إمكانية تنفيذ ترانسفير "كبير" وهذا التقدير مفهوم. ولكن الخطر الملموس أكثر من غيره هو اقتراف جرائم ترانسفير داخل الضفة الغربية نفسها. بالذات على طول ما يعتبره الجنرالات "مقاطع استراتيجية". جرائم من "القطع الصغير"، ولكن مشتقة اشتقاقًا من التاريخ المحظور لما وقع عام ١٩٤٨. فعلى الرغم من أن النكبة هي مفصل تاريخي، لا تزال تداعياتها تثير المخاوف، لأن أحدًا من رسميي اسرائيل لم يعلن بعد استخلاص العبر!

**

لقد اعتبرت بداية هذا الحديث متفائلا، فهل يمكن للخاتمة أن تكون متفائلة مثلها مثل المقدمة وسط كل هذا؟ سيظل الأمر منوطًا بسؤال الأسئلة: حكمة الممارسة الفلسطينية وصمودها، واستقطاب شركاء هذا الشعب داخل المجتمع الاسرائيلي، على قلتهم، وفي العالم أجمع من أجل إنجاز مطالب قضيته العادلة. فلم يحدث أبدًا أن تحقق نيل المطالب لا بالصلوات ولا بالتمني!

صحفي فلسطيني وناشط سياسي يساري، يقيم في مدينة حيفا





كويكات. قضاء عكا. ١,٢١٨ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

عمقا. قضاء عكا. ١,٤٣٨ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

ولحلمة. قضاء الرملة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

الطيرة. قضاء الرملة. ١,٤٩٦ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

الرملة. قضاء الرملة. ١٧,٥٨٦ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

قولة. قضاء الرملة. ١,١٧٢ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

البرية. قضاء الرملة. ٥٩٢ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

دانيال. قضاء الرملة. ٤٧٦ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

دير طريف. قضاء الرملة. ٢,٠٣٠ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

خربة الضهيرية. قضاء الرملة. ١١٦ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

عنّابة. قضاء الرملة. ١,٦٤٧ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

جمزو. قضاء الرملة. ١,٧٥٢ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

الكنيّسة. قضاء الرملة. ٤٦ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

اللد. قضاء الرملة. ١٩,٤٤٢ نسمة.
هجرت في ١٠ تموز ١٩٤٨.

الجورة. قضاء القدس. ٤٨٧ نسمة.
هجرت في ١١ تموز ١٩٤٨.

خربة زكريا. قضاء الرملة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

عجنجول. قضاء الرملة. ١,٤٣٨ نسمة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

الحديثة. قضاء الرملة. ٨٨٢ نسمة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

الجورانية. قضاء الرملة.
هجرت ١٢ تموز ١٩٤٨.

جنداس قضاء الرملة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

المزيرعة. قضاء الرملة. ١٣٤٦ نسمة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

خرّوبة. قضاء الرملة. ١٩٧ نسمة.
هجرت في ١٢ تموز ١٩٤٨.

صوبا. قضاء القدس. ٧١٩ نسمة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

صطاف. قضاء القدس. ٦٢٦ نسمة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

خربة اللوز. قضاء القدس. ٥٢٢ نسمة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

عقور. قضاء القدس. ٤٦ نسمة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

راس العين. قضاء الرملة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

مجدل يابا (مجدل الصادق) قضاء الرملة.
هجرت في ١٣ تموز ١٩٤٨.

دير أبو سلامة. قضاء الرملة. ٧٠ نسمة.
هجرت في ١٤ تموز ١٩٤٨.

المالحة. قضاء القدس. ٢٢٥٠ نسمة.
هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

عين حوض. قضاء حيفا. ٧٥٤ نسمة.
هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

قضية اللاجئين الفلسطينيين في الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة

هل من أفقٍ للحل؟

بقلم: د. نايف جراد

بعد ثمان وخمسين عاما على النكبة الفلسطينية الكبرى في العام ١٩٤٨، يتساءل اللاجيء الفلسطيني عن مصير قضيته، المتمثلة بحقه في العودة إلى الديار، التي أخرج منها عنوة وبقوة السلاح. فهل لا زالت هذه القضية وبحق مركزية للشعب الفلسطيني وتمثل جوهر قضيته الوطنية، أم أن تطورات الأحداث والتغيرات النوعية والجذرية، التي طالت الجغرافيا والديمغرافيا والاجتماع والسياسة والفكر، قد ألقت بظلالها على قضية عودة اللاجئين فجعلتها، ليس فقط حلما، بل و "سرابا" أيضا؟

لا شك أن الأمر بحاجة إلى تفكر وتمحيص. فإذا كان الفلسطينيون اليوم قد باتوا غير قادرين على إعادة مبعدي كنيسة المهد، الذين لم يمض على إبعادهم أكثر من بضعة سنوات، فهل من المعقول بأنهم قادرين على إعادة ملايين اللاجئين الذين مضى على هجرتهم عدة عقود ومن كان منهم في العاشرة من عمره حين هجّر بات اليوم يناهز السبعين، ومنهم من قضى نحبه وهو ينتظر دون طائل؟ وهل صحيح أن اللاجيء الذي استقر في بلدان الشتات وأصبحت له مصالح فيها، ظل متحمسا إلى اليوم للعودة كما هو حماس اللاجيء الفقير والمعوز الذي لا زال يقبع في مخيمات البؤس والشقاء؟ وإذا كان بعض الفلسطينيين الذين تمردوا على الإجماع الفلسطيني المتمسك بحق العودة إلى بيوت النشأة والديار الأصلية، وتحت مسميات الواقعية، قد تنازلوا عن ذلك لصالح عودة "مأمولة "لدولة فلسطينية "موعودة" على الأراضي المحتلة في العام ١٩٦٧، فما الذي سيقولونه اليوم وقد بات حلم الدولة أبعد، وقد أستبدل بمشروع كيان مسخ من المعازل لا تتعدى مساحته ١٠ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية؟! وماذا سيقول من ركض وراء وهم "النمر الآسيوي الجديد" وهو يرى اليوم الأرض تبتلع من قبل المستوطنات والجدار وسيلحق الجزء الأكبر منها بالسيادة الإسرائيلية في إطار مشروع الفصل أحادي الجانب، وما تبقى لن يصلح في أحسن الأحوال لإقامة كيان كأوندورا مثلا أو دولة ميكرونيزيا حليفة إسرائيل الدائمة في الأمم المتحدة.

من المفيد التذكير هنا، أنه فيما يتعلق بالمشروع الإسرائيلي للانفصال من جانب واحد و المتضمن لإقامة جدار الفصل العنصري، أن الدافع له من وجهة النظر الإسرائيلية هو ما وراء الهاجس الأمني، أي الهاجس الوجودي النابع من الخطر الديمغرافي، الذي أشار إليه "أبو الديمغرافيا الإسرائيلية" الأستاذ الجامعي "أرنون سوفير"،أحد المقربين من شارون، والذي بناء على نصائحه أقدم الأخير على صياغة مشروعه للانفصال عن غزة. والوصفة التي باتت الدواء الشافي للخطر الوجودي هي كلمات سوفير: "يمكن لدولة إسرائيل البقاء فقط إذا كانت فيها أغلبية يهودية واضحة تعيش في منطقة يسمح حجمها وحدودها بتحقيق سيادة الدولة والدفاع عن حدودها". وهذا ما أكده شارون، وما يردده أولمرت اليوم: اليهود سيصبحون خلال عشرين سنة أقلية في البلاد.. (من هنا) ضرورة الحفاظ على يهودية الدولة وإلا فإن وجودها مهدد بالخطر. ولم يخف شارون، كما لا يخفي أولمرت، بأن الهدف هو تكريس وجود دولة إسرائيل على أكبر مساحة ممكنة من الأرض بأقل عدد ممكن من السكان العرب، واستحصال اعتراف دولي وإقليمي بها كدولة يهودية، وإن أمكن فاعتراف فلسطيني أيضا وإلاّ ففرض ذلك على الفلسطينيين كأمر واقع وبقوة الوقائع الاحتلالية على الأرض.

وليس من الصعب على الحكومة الإسرائيلية أن تتذرع اليوم بعدم وجود شريك فلسطيني وقد باتت حماس في السلطة، وهي ترفض الاعتراف بإسرائيل والاتفاقات الموقعة معها وتتمسك بالمقاومة، وهي التي في عهد شارون لم تتورع عن قول ذلك حتى بوجود الزعيم المرحوم الشهيد ياسر عرفات، الذي اعترف بإسرائيل وأبدى على الدوام التزامه بالسلام والمفاوضات. ولعل التمعن بذلك الدافع (الديمغرافي الوجودي) وبهذه السياسة الإسرائيلية، يبين بأنها سياسة تاريخية دائمة للحركة الصهيونية وإسرائيل منذ البدايات، كانت و لا زالت مدفوعة بادعاء الحق بالأرض وبإنكار وجود الشعب الفلسطيني وبهدف إقامة دولة يهودية نقية، ولذا اعتمدت سياسة الإبادة لـ "الوحوش" و "جرذ الصحراء" و "نسل العمالقة". ولما وجدت أنها لا يمكنها التمادي في ذلك استبدلت الإبادة بالترانسفير أو اتبعت الاثنين معا، فأوجدت النكبة المستمرة إلى اليوم.

وإذ نحيي هذا العام الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة، فإننا ندق ناقوس الخطر من النكبة والكارثة الجارية حاليا ضد شعبنا، والتي تتضمن سياسة إبادة و ترانسفير جديدة أشد دهاء من سابقاتها تريد أن تجعل حياة الفلسطيني في أرضه جحيما لا يطاق فتدفعه للاستسلام أو لهجرة طوعية صامتة تضيف فصولا جديدة للنكبة الفلسطينية المستمرة.

وهكذا فاللاجيء الفلسطيني اليوم يفيق على واقع معقد وصعب، في ظل الحديث عن أزمة رواتب وفك الحصار والتنازع بين الحكومة والرئاسة على صلاحيات منقولة من الاحتلال لسلطة لا سلطة لها على أرضها وحدودها أو أجوائها أو مياهها أو ثرواتها الشحيحة أصلا، ولا حتى على أموال الضرائب المجتباة من مواطنيها، وفي ظل عجز كبير للحركة الوطنية، مما يجعل الحديث عن حق العودة مدعاة للسخرية وفي أحسن الأحوال للحسرة! فهل سيبقى اللاجيء يرفع شعار التمسك بالعودة ويحلم بها؟ وهل سيبقى الجميع يردد ذات الشعار وينظم المسيرات والفعاليات إحياء لذكرى النكبة؟

قد يستسهل البعض الإجابة مصابا بإحباط اللحظة التاريخية المعاشة والمأزق الإستراتيجي الذي لحق بالحركة الوطنية الفلسطينية جراء عجزها عن مواجهة المشروع الإسرائيلي الخطير، الذي يراد له أن يمثل فصل الختام لكارثة ١٩٤٨. ولهذا فإنه من الضروري التنبيه لخطورة أن تجري استنتاجات متسرعة وأن تبنى إستراتيجيات وطنية بناء على وضع صعب أو مأزق لحظي أو موازين قوى مختلة لصالح العدو. صحيح أنه لا بد للعاقل من أن يأخذ كل ذلك بعين الاعتبار وأن يضعه في حساباته وهو يرسم السياسة ويصوغ تكتيكاته، لكن من الصحيح أيضا أن المأزق المشار إليه ليس بمأزق فلسطيني دائم، وهو ليس بمأزق فلسطيني فحسب، بل هو وقبل كل شيء مأزق إسرائيلي من الدرجة الأولى وإستراتيجي أيضا، لأن الشعب الذي أنكر وجوده وأتبعت شتى الوسائل والأساليب لتهجيره بعيدا عن أرضه أصبح اليوم تعداده على الأرض الفلسطينية يوازي إن لم يفوق تعداد اليهود، مما يؤكد فشل المشروع الصهيوني في إبادة الشعب الفلسطيني أو دفع من تبقى منه على قيد الحياة لأن ينسى حقه وأرضة، أو حتى فرض الإستكانة عليه والتسليم بالأمر الواقع. وإذا كان الإسرائيليون يراهنون أنه من خلال الجدار والحصار والتجويع والإجراءات أحادية الجانب المدعومة من واشنطن وفي ظل الصمت العربي يستطيعون أن يضمنوا الطابع اليهودي لدولتهم، فما الذي سيصنعونه مع المليون وربع المليون العرب الفلسطينيين الصامدين على أرضهم داخل الخط الأخضر، ولم تفلح كل إجراءات التمييز العنصري والأسرلة والتهويد في نزع هويتهم الوطنية أو ثنيهم عن المطالبة بحقوقهم، بما فيها حق أكثر من ٣٠٠ ألف مهجر منهم بالعودة إلى قراهم وبلداتهم الأصلية التي هجروا منها عنوة أو حرموا من العودة إليها بقوة القانون الإسرائيلي العنصري، وهاهم يحيون كل عام ذكرى النكبة تحت شعار "يوم استقلالهم هو يوم نكبتنا"، وما فتئوا ينظمون مسيرات العودة الجماعية لقراهم الأصلية كما حصل قبل أيام مع أهالي قريتي مسكة وأم الزينات وبوجود حتى مجموعات يهودية باتت تخجل من طمس الحقائق التاريخية، وتؤرقها الأزمة الأخلاقية المستشرية في البلاد جرّاء إنكار الكارثة الفلسطينية وجرّاء الاحتلال وإجراءاته القمعية البشعة التي تحاكي أساطير التوراة وعنصرية المستعمرين الأوروبيين وتبرر القتل والتعذيب واحتلال أراضي الغير والتوسع بحق اليهود في دولة قومية تعويضا عن الأذى والظلم الذي لحق بهم جرّاء الكارثة والهولوكست! وما بالك إذا ما أفاقت الحركة الوطنية الفلسطينية من المخدر الذي أعطي لها بالانفصال الإسرائيلي عن غزة، والذي هو بمثابة شرك نصب للفلسطينيين ليلهوا بالسلطة على حساب التحرير، ولإيهام العالم بأن الاحتلال الإسرائيلي قد انجلى عن الأرض الفلسطينية وأن على الفلسطينيين نبذ "العنف والإرهاب" والقبول بالدولة ذات الحدود المؤقتة، حتى إذا ما أثبتوا جدارتهم بإدارة أنفسهم بأنفسهم والتزامهم بالمفاوضات طريقا وأسلوبا وحيدا للحل يمكن لاحقا الحوار معهم واعتبارهم شركاء، بعد أن تكون غزة قد عزلت عن الضفة، والقدس حوصرت وهودت، والأرض قد ضاعت، والشعب جوع وحوصر في المعازل والسجن الكبير لا حول ولا قوة له ولا نصير!! هل يمكن للإسرائيليين والعالم أن يدّعوا بانتهاء الصراع إذا ما رفض الفلسطينيون المشاريع الإسرائيلية التي تقوض قيام "دولة فلسطينية مستقلة ومتصلة ذات سيادة" كما تنص على ذلك خارطة الطريق؟ وما بالك إذا ما عاد الفلسطينيون لطرح هدف الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني كمخرج من المأزق الناتج عن الأمر الواقع الإحتلالي الإسرائيلي والتشابك الواصل حد الاندماج للوضع الجغرافي والديمغرافي والاقتصادي؟ ولا نريد هنا أن نتحدث عن إمكانيات أن تتغير موازين القوى وأن تتبدل أحوال العالم و أن تجد أمريكا نفسها وقد فقدت زعامة العالم وتربعها على عرش النظام الكوني كما حصل مع كل الإمبراطوريات في التاريخ.

كل ذلك وغيره ممكن، وهو يحمل القيادة الراهنة للحركة الوطنية الفلسطينية مسؤولية تاريخية عن مصير القضية الوطنية وفي قلبها حقوق اللاجئين. ولهذا فإن الواجب يملي على الجميع استدراك الأمور قبل فوات الأوان عبر الحوار الجاد لإعادة النظر بالسياسات والإستراتيجيات والتكتيكات المتبعة من أجل توحيد جهود الجميع في الإطار الوطني الجامع للشعب الفلسطيني، الحامل للشرعية الفلسطينية والعربية والدولية والمعبر عن الحقوق الوطنية غير القابلة للتصرف أو المقايضة والمتمثلة بالحرية والاستقلال والسيادة والعودة، والذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية وليس غيرها. ومن الهام هنا أن يجرى رفض ومقاومة المشروع الإسرائيلي للانفصال وترسيم الحدود من جانب واحد وأن لا يخرج علينا من يقول غدا أن ذلك مكسبا وأن الاحتلال خرج مدحورا تحت ضربات المقاومة! ولكن من المهم أيضا أن نقنع العالم والمحيط العربي والإسرائيليين أنفسهم بأن حلا كهذا ليس سوى ذر الرماد بالعيون وانه يحمل في طياته قنبلة موقوتة سرعان ما تنفجر ليس جراء الظلم والإجحاف فحسب، بل والإذلال الذي يلحقه بالشعب الفلسطيني أيضا. ومن البديهي أن سياسة كهذه لا بد لها من توافق وطني على كيفية إدارة الصراع مع الإحتلال وكيفية التعاطي مع المجتمع الدولي ومع أطر الشرعية الدولية ومع الرأي العام العالمي، وذلك حتى تؤتي السياسة ثمارها المرجوة ولا يبددها نزق هنا أو تطرف هناك.

أما على صعيد قضية اللاجئين ذاتها، فلا بد من توحيد جهود كل الأطر والمؤسسات الرسمية والشعبية والأهلية العاملة في هذا المجال داخل الوطن وفي الشتات، وان لا يصيبها، بعد أن أضيف إلى حكومة حماس وزير لشؤون

اللاجئين،ما أصاب الوضع الوطني العام من صراع على التمثيل والدور بين السلطة والمنظمة، وأن لا تغري السلطة أصحابها الجدد كما أغرت أو كادت سابقيهم بحيث ينجرون وراء المخطط الرامي لاعتبار السلطة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، فيما المراد إقصار الشعب الفلسطيني على الموجودين في الداخل فحسب وشطب اللاجئين في الشتات، أو أن يندفعوا وراء مخطط تصفية المسؤولية الدولية عن قضية اللاجئين بإغراء نقل الصلاحيات من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) إلى السلطة الوطنية (وهذا ما يتنبأ به الصحفي الاسرائيلي شلومو غازيت) أو أي مؤسسة أخرى (غير المؤسسات الدولية المعنية كمفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين. ولا بأس من أن يستمر العمل لإحياء المناسبات وتذكير العالم والإسرائيليين بالظلم والإجحاف التاريخيين اللذين لحقا بالشعب الفلسطيني جراء احتلال أرضه واستيطانها وتشريده عنها والحيلولة دون تمكينه من نيل حقوقه الوطنية والتاريخية. ولكن الأهم من ذلك أن لا تستمر ذات الشعارات السابقة المؤكدة فقط على التمسك بحق العودة، وأنها قضية مقدسة وقانونية وشرعية ولا تسقط بالتقادم، ولا يجوز التنازل عنها، على أهمية ذلك بالطبع، بل أن تنتقل حركة الدفاع عن اللاجئين إلى تحريك جموع اللاجئين للمطالبة بعودتهم الفعلية حتى يشعر القاصي والداني بحجم هذه المعضلة ويدرك بما لا يدع مجالا للشك بأن اللاجئين الفلسطينيين يرفضون التوطين رغم نضالهم للعيش بحرية وكرامة في بلدان اللجوء وبأنهم مصممون على نيل حقوقهم كاملة في العودة واستعادة الأملاك والتعويض عن معاناة اللجوء، أسوة بغيرهم من لاجئي العالم. ولنا في حركة ونشاط وشعارات وفعاليات مهجري شعبنا في الجليل والمثلث والنقب خير مثال على ذلك، كما ولنا في الحركة النشطة للدفاع عن حق العودة في أوروبا وأمريكا مؤخرا مثالا يحتذى عما يمكن أن يفعله الجهد الجماعي والمنظم والعقلاني. ومن هذه الرؤية انظر بخطورة لكيفية التعاطي مع محنة اللاجئين الفلسطينيين في العراق فبدلا من تحويل الأنظار نحو المسؤول عن تشريدهم ونكبتهم والمطالبة بإعادتهم إلى وطنهم راح البحث يدور عمن يستقبلهم من العرب. واعتقد أن هؤلاء اللاجئين يشعرون بغبن وإجحاف كبيرين، تتحمل القيادة الفلسطينية جزءا من المسؤولية فيه بسبب ما أصاب ولحق بمنظمة التحرير الفلسطينية من ضعف وفقدان للهيبة والمكانة.

في هذا المجال أشعر من واجبي أن أنوّه بضرورة الحفاظ على وحدة الشعب الفلسطيني في مواجهة المشاريع التي تستهدف أرضه وحقوقه، ولا يظنن أحد بأن سقوط الحكومة الحالية هو مكسب لبرنامجه و إثبات لصحة وجهة نظره، ففي ذلك خطأ كبير لأن الجميع في قارب واحد والفشل سيكون للديمقراطية الفلسطينية ولمشروع الكيانية الوطنية المؤسسة على الأرض الفلسطينية، والتي من المفترض بها أن تثبّت الناس في الأرض وتعزز صمودهم وتدافع عن حقوقهم وتثبت للقاصي والداني باننا شعب حضاري ويستحق الحياة والدولة والاستقلال والسيادة، والعودة أيضا. ولكن لا باس من أن يشكل البعض معارضة حقيقية للحكومة، تضغط عليها من أجل الإصلاح وتلبية هموم ومصالح الناس والدفاع عن حقوقهم وإتباع سياسات وسلوك دبلوماسي تمكن من فك الحصار عن شعبنا وتحشيد الدعم والتأييد الدوليين له، في ظل الحرص على وحدانية السلطة وسيادة القانون كما كان يطلب سابقا وكما هو الواجب دائما.ومن الخطورة بمكان أن يجري تحت الضغط الدولي الدفع باتجاه الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، لأن ذلك سيكون تقويضا لحق العودة. وبالمقابل، لا بد من رفع مطلب الاعتراف الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير بحرية على أرض وطنه والمتضمن لحقه في العودة حسب منطوق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٢٣٦ لعام ١٩٧٤ وبحيث تلاحق إسرائيل مجددا، كما كانت تلاحق سابقا في عضويتها المشروطة في الأمم المتحدة بقبولها لقرارات الشرعية الدولية ذات الشأن كالقرارين ١٨١ و١٩٤، بل وأن يجري السعي والنضال الجديين لتفعيل آليات الإلزام الدولية فيما يتعلق بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية المشروعة، مستفيدين من توصيات محكمة لاهاي وقرار الجمعية العامة المتعلق بالجدار. وأن نعزز الحركة الدولية المناهضة للعنصرية والفصل العنصري في ملاحقة إسرائيل كدولة أبارتهايد لا يمكنها أن تعيش وتستمر في عالم اليوم المتحضر وإلا تعرضت للعزلة والمقاطعة كالتي تعرضت لها جنوب إفريقيا سابقا .

لا شك أن صعوبات وعوائق كثيرة تقف حائلا دون ذلك، وأن الأمر يتطلب جهودا جبارة ليعطي مفاعيله، لكن أيضا مما لاشك فيه أن الموقف الفلسطيني الموحد من شانه إقناع العالم بأن حل الصراع العربي الإسرائيلي والوصول إلى المصالحة التاريخية المنشودة لا يمكن الوصول إليه، دون حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، بما فيها قضية اللاجئين، وأن أية حلول جزئية أو أمنية أو من طرف واحد لا يمكنها أن تضمن أمنا أو سلاما أو استقرارا في المنطقة. فإلى أن تحل هذه القضية حلا عادلا وشاملا تقبل به الأجيال اللاحقة، على الفلسطيني أن يحصن ذاته ويعزز صموده على أرض وطنه ويحافظ على وحدته، وأن يبقي على ذاكرته الوطنية حية متقدة على الدوام، وأن يرسخ انتماء الأجيال الشابة، وأن يعزز الفهم القانوني والإنساني لقضية اللاجيء الفلسطيني وينشرها على نطاق واسع، وأن ينشر بصدق وحنكة حكايته عن المسؤولية الأخلاقية والسياسية والقانونية للحركة الصهيونية وإسرائيل عن النكبة واستمرارها، وأن يستكمل تسجيل روايته الشفوية ليمتلك روايته التاريخية القادرة على تظهير الحقيقة وتفنيد رواية الآخر، وأن يصوغ خطابه ويوصل رسالته التحررية والحضارية والإنسانية الى العالم.

د. نايف جراد هو محاضر وباحث وكاتب، يحمل شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية، له العديد من المؤلفات والابحاث حول القضية الفلسطينية عموماً وقضية اللاجئين خصوصاً.


أطفال مخيم الدهيشة للاجئين، بيت لحم (تينيكا دازة، منظمة أوكسفام للتضامن)

حق العودة عماد السلام العادل

بقلم: عادل سالم

في الخامس عشر من أيار من كل عام يحيي أبناء الشعب الفلسطيني ذكرى النكبة التي عصفت بهم في العام ١٩٤٨، فيما يحتفل فيه الإسرائيليون بذكرى استقلالهم الذي جسدوه على أنقاض الوطن الفلسطيني بإعلانهم استقلال إسرائيل في ١٥ أيار من العام نفسه. إلا إن النكبة الحقيقية للشعب الفلسطيني بدأت قبل ذلك بكثير، وخصوصا في نهاية العام ١٩٤٧ بعد أن شنت العصابات الصهيونية حربها المنظمة والمدعومة من بريطانيا وأمريكا ودول أوروبية عديدة، على الشعب الفلسطيني لطرده من أرضه وتشتيته في بقاع الأرض المختلفة، لتبدأ مرحلة جديدة ومهمة في تاريخ الشعب الفلسطيني، مرحلة تجسدت بترحيله القسري عن أرضه ثم تواصلت لإنهاء قضيته، وشطبه عن الوجود تماما كما حصل للشعوب الأصلية في الأمريكيتين، والذين تم تسميتهم مجازا بالهنود الحمر رغم أنهم ليسوا حمرا ولا هنودا.

و بعد أكثر من ٥٨ عاما على بدء الحرب الصهيونية على الشعب الفلسطيني بغية اقتلاعه من أرضه، تحاول الحركة الصهيونية مدعومة أمريكيا وبريطانيا حل الصراع العربي الإسرائيلي بخصوص القضية الفلسطينية من خلال القفز عن جوهر الصراع الوطني وحصره بخلاف على حدود هنا وحدود هناك، ودون أي استعداد لحل قضية اللاجئين، قضية الشعب الفلسطيني التي شكلت جوهر الصراع كله منذ حوالي ستين عاما.

من المؤسف جدا أن دولا عربية وأوروبية بالإضافة للولايات المتحدة وإسرائيل وجهات فلسطينية محسوبة على منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة السابقة تدفع باتجاه القبول بأي حل في حدود العام ١٩٦٧ أو تعديلات بسيطة عليها مع استعدادها للتخلي عن حق العودة تحت مبررات الوضع الدولي الذي يميل لصالح أمريكا وإسرائيل .

إن قرارات الشرعية الدولية لا زالت تعترف بقضية اللاجئين وحق العودة، وهو حق تاريخي وإنساني لا تلغيه التغييرات الديموغرافية. وإذا كان القرار ١٩٤ القاضي بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة لا زال صالحا كأساس لحل عادل، فإن هذا الحل لن يشكل أساسا لسلام دائم بين العرب وإسرائيل إلا عندما تعترف إسرائيل بمسؤوليتها التاريخية والإنسانية عما لحق بالشعب الفلسطيني وتشريده من أرضه.

في ٢٢ كانون أول من العام ٢٠٠٠ حثت منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" الزعماء الإسرائيليين والفلسطينيين الذين يتفاوضون حول الوضع النهائي على دعم حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، في إطار أي حل شامل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وقالت المنظمة، في رسالتين موجهتين إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، إن أي اتفاقية للسلام يبرمها الجانبان يجب أن تسمح للفلسطينيين الذين يعيشون في المنفى بأن يختاروا بحرية أياً من الخيارات الثلاثة التالية: العودة إلى بلد المنشأ (فلسطين)، أو الاندماج في بلد اللجوء، أو الاستيطان في بلد آخر.

كما حثت المنظمة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والمجتمع الدولي على أن يكفلا لكل فرد من اللاجئين حرية اختيار ما يشاء من بين الخيارات الثلاثة عن علم ودراية، وضمان عودة اللاجئين بصورة تدريجية و منظمة، وليس بالاحتيال واستغلال الظروف السيئة التي يعيشها اللاجئون.

ويقول كنيث روث، المدير التنفيذي لمنظمة "مراقبة حقوق الإنسان": "إن خياري الاندماج المحلي والاستيطان في بلد ثالث لا ينبغي أن يلغيا حق العودة، وإنما يجب أن يعززا الخيارات المطروحة أمام كل فرد من اللاجئين؛ ولا بد من إتاحة الخيارات الثلاثة جميعاً".

نعم إن حق الاندماج في دولة أخرى لا ينفي حق الفلسطيني في العودة إلى وطنه حتى لو تم بعد خمسة آلاف سنة. فإذا كانت منظمة مراقبة حقوق الإنسان الغربية تؤكد بان حق العودة لا يسقط حتى باندماج أي مواطن أجبرته ظروف التشتت على الاندماج، فكيف يطالب من هم أقرب للشعب الفلسطيني بالتخلي عن هذا الحق تحت مبررات الواقع.

أن الأمريكان الأفارقة الذين استعبدتهم الولايات المتحدة مئات السنين استطاعوا اليوم أن ينتزعوا الكثير من حقوقهم، وأن يجبروا الحكومة الأمريكية على الاعتراف بسنوات العبودية التي ارتكبت بحقهم ولا تستغربوا لو عرفتم أن بعض المنظمات الأمريكية للأمريكيين الأفارقة تطالب اليوم الإدارة الأمريكية بتعويضهم عن عهود العبودية التي تم فيها استعباد أجدادهم وآبائهم . وهم ينشطون من أجل هذا المطلب ولن يكون بعيدا ذلك اليوم الذي تتخذ فيه الإدارة الأمريكية مثل ذلك القرار، تماما كما اضطرت الى الاعتراف بالكثير من المجازر التي حلت بشعوب أمريكا الاصليين وعوضت معظمهم ، حيث أعادت الكثير من الأراضي التابعة للدولة إلى الكثير من القبائل ، وسميت عشرات المدن والشوارع بأسماء السكان الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر)، فلماذا لا نتعلم منهم؟

قد تنتصر إسرائيل اليوم وغدا ولكنها لن تكون قادرة على نكران المجازر التي ارتكبتها بحق الشعب الفلسطيني، وإذا كان هناك أكاديميون إسرائيليون يعترفون بالمجازر التي ارتكبتها الحركة الصهيونة ضد الشعب الفلسطيني في العام ١٩٤٨ عندما مارست الإرهاب والقتل ونشر الفزع بين السكان خصوصا بعد مجزرة دير ياسين واحتلال الرملة واللد التي شردت منها حوالي سبعين ألف من الشباب والنساء والشيوخ والأطفال.

حق العودة ليس شعارا يطرحه الفلسطينيون ليعقّدوا قضيتهم، ويجعلوها غير قابلة للحل بل هو جوهر قضيتهم وأي حل بدونه لن يكون عادلا ولن يكون سلاما.

الكاتب والشاعر عادل سالم هو رئيس- تحرير موقع "ديوان العرب" وعضو رابطة الكتاب العرب الأمريكيين ومقرها في متشيغن. سالم من مواليد القدس في العام ١٩٥٧. وله العديد من الإصدارات الأدبية، منها ديوانين شعريين بعنوان "عاشق الأرض" (١٩٨١)، و "من وراء القضبان" (١٩٨٥). يقيم حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية.

فلسطيـن.. خطـر مزدوج!

بقلم: ميشيل كيلو

مرت فلسطين، إلى اليوم، في لحظتين تاريخيتين مهمتين. بدتا منفصلتين، ثم بدأتا في السنوات الأخيرة تتداخلان، مع أن الأولى منهما كانت خارجية المصدر أساسا، جسدها الاحتلال الصهيوني، الذي اقتلع شعبها العربي ومزقه، بمعنى الكلمة الحرفي، وثانيتهما لحظة راهنة، تفاعلية، يختلط فيها الخطر الخارجي بالداخلي، في ظل انقسام ذاتي لا مثيل له في تاريخ ما بعد العام ١٩٦٥ ، عندما فجرت حركة فتح المقاومة، وشكلت منظمة التحرير الفلسطينية مع بقية قوى وأطياف العمل السياسي والمسلح، ووضعت البرامج التي تكفلت بتوحيد الإطار الاستراتيجي العام، الملزم لفصائل العمل الوطني، الذي اكتسب، ضمن هذه الحاضنة، طابعا يتجاوز الفصائل، استمر يفعل فعله في الساحة. وقد صار الخطر الخارجي الإسرائيلي، أكثر فأكثر داخليا، ويتنوع ويتعاظم، وتتناقص القدرة على احتوائه نتيجة هذا الانقسام بالذات، الذي إما أن يتم احتواؤه بسرعة وحكمة، في إطار يتسع للجميع، يرجح أن لا يكون إطار المنظمة القديم عينه، أو أن يقال ذات يوم ما لا يستطيع أحد قوله عن المرحلة الراهنة، مرحلة ١٨٨٥ - ١٩٦٥: لقد انقسمنا وتفرقنا ففشلنا.


فلسطينيون مهجرون عن قراهم في العام ١٩٤٨ (أرشيف الأنروا)

بدأت المرحلة الأولى بمشروع تبنته أطراف في السياسة الاستعمارية الدولية استهدف تحويل فلسطين إلى قاعدة تجمع غريب، يهودي، حولته سياسة عنصرية وأيديولوجيا توسعية إلى صهيوني، أريد له أن يكون جزءا من خطط وسياسات دول أجنبية كبرى في الوطن العربي عامة وفلسطين خاصة، التي صممت على جعل الوحدة العربية ممنوعة بالقوة القاهرة، إن استحال منعها بقوة السياسات والمصالح، عبر احتلال موقع هو القلب من الوطن العربي، بما يرمز إليه بالنسبة إلى ديانات العالم المختلفة، ويحتله من موقع حاسم الأهمية في استراتيجيات القوى الدولية جميعها، التي تعد وحدة العرب خطا أحمرا في حسابات مصالحها. وبما أن المشروع كان يجب أن يكتسب دوره من صفته المغايرة لهوية المنطقة، أي من طبيعته كتجمع أجانب مسلح، فقد قامت سياساته على تقويض وجود صاحب الأرض الأصلي، شعب فلسطين، وإخضاع جيرانه، الأعداء الذين لن يفيد معهم شيء غير القوة. لذلك، كان من الضروري لنجاح المشروع أن لا يبقى فيه أحد من حملة هوية البلد الأصلية، أي العربية، من جهة، وأن يرتبط، من جهة أخرى، بالقوى المعادية للعرب عموما برباط رحم ووجود، ويرى وظيفته كقاعدة متقدمة لها، ولا يسمح بفك علاقاته معها، لأي سبب كان، بما هو جزء منها نقل إلى الأرض العربية. بالمقابل، كان من الضروري أن يزود الخارج هذا التجمع بقدر من القوة، الاقتصادية والمسلحة، يجعله قادرا على إنزال الهزائم بخصم يملك إمكانات أكبر كثيرا من إمكاناته، يفوقه عددا بمائة مرة ، كما كان من الضروري تركيز قوى الخارج على هذا الخصم، لمنعه من تعبئة طاقاته البشرية والمادية والروحية وزجها في المعركة، لأن أية معركة تستحق اسمها ستكون حتما نهاية التجمع والمشروع وما يقومان به مهام وأدوار. وقد تم بالفعل الاشتغال بالعرب، لهدف استراتيجي رئيس هو: إبقاء قواهم بعيدة عن ساحة الصراع ضد إسرائيل، منشغلة بعضها ببعض، مثلما حدث خلال معظم الفترة التالية لسايكس / بيكو وحقبة تشكل ما عرف بالدولة الوطنية العربية بعد العام ١٩٢٠.

هذه الحسبة اتفقت مع الواقع، إلا في نقطة واحدة هي: أنه لم يكن ممكنا تغييب صاحب الأرض عن المواجهة، رغم أن القسم الأعظم منه غيب عن الأرض وطرده وشرد ولوحق في المنافي، وتسلط النظام العربي عليه وكبته وكتم أنفاسه وجوعه.. الخ. لم ينجح أحد في تغييب شعب فلسطين: صاحب الأرض الأصلي، عن المواجهة، رغم أنه كان معظم الوقت بلا سلاح.

واليوم، وبعد مرور نيف ومائة عام على بدء المشروع، ونيف ونصف قرن على قيام دولته، يبدو شعب فلسطين وكأنه عصي على الهزيمة بيد أعدائه، قادر على الصراع لقرون أخرى، كي يسترد وطنه هويته الأصلية، مهما تطلب ذلك من تضحية وجهاد، بينما تساور التجمع الغريب شكوك جدية في قدرته على البقاء حيث هو، في أرض ليست له وسط بشر لا ينتمي إليهم، ولا يريدونه بينهم. ولا مبالغة في القول: أن فلسطين صارت اسما للحرية، وإن شعبها غدا رمزها الأكثر نقاء ومبدئية خلال تاريخ البشرية الحديث.

أخيرا، فإنني لا أخاف على فلسطين من أعدائها، لا أخاف أن ينزل هؤلاء بها هزيمة نهائية، بل اعتقد جازما أنها ستبقى في ساحة الصراع، مهما فعلوا. لكنني أخاف عليها كثيرا من الانقسامات والتناقضات الداخلية، التي لعبت بالأمس القريب دورا كبيرا في انتصارات العدو، ويمكن أن تكون اليوم أيضا أعظم خطر يهددها.

ميشيل كيلو هو كاتب سوري من مواليد اللاذقية في العام ١٩٤٠. وهو عضو جمعية البحوث والدراسات. له العديد من المؤلفات والإصدارات كما ترجم عددا من الكتب الفكرية الى العربية.

الإمعـان فـي الذنـب

بقلم: د. أحمـد فائـز الفـواز

هيـئة للشـعوب تمعـن في الذنـبِ ... ولا تــــوبة ولا تكــــفيرُ
شـارك القـوم كلـهم فـي أذانـــا ... ومــن الـقـوم غـيّـب وحـضـورُ
مــــن قوانيـنها المـداراة للظـلم ... ومـنـهـا الـتـغـريـب و الـتـهـجـيـرُ

من قصيدة " من وحي الهزيمة" لبدوي الجبل

تعود ذكرى النكبة كلّ عام، في الخامس عشر من أيار، فتنكأ الجراح القديمة التي تنزّ ولم يقيّض لها أن تندمل، وتحدث جراحاً جديدة، وتعيد طرح الأسئلة القديمة التي لم تجد لها جواباً، وتطرح أسئلة جديدة. كم هي عظيمةٌ معاناة شعب فلسطين! كأن أرض المسيح، الأرض عينها التي عاشت الحدث قبل أكثر من ألفي عام، تتكرر فوقها منذ ستين عاماً، وكل يوم، وأمام أنظار البشر جميعاً، مأساة الملايين من الفلسطينيين، وجوهرها صمودهم بوجه الظلم.

هيئة الأمم المتحدة مسؤولة عن القرارات الظالمة، وكذلك عن القرارات المقبولة والقرارات العادلة، مع فارق أن القرارات الظالمة قابلة للتنفيذ، بعكس عدد من القرارات المقبولة أو العادلة التي يقف الأقوياء بوجه تنفيذها. على أن هيئة الأمم المتحدة ليست إلا تجمعاً للدول، كبيرها وصغيرها، تجمع يحكمه كبار هذا العالم، وخصوصاً أكبر كبير فيهم وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة على إلباس مصالحها لبوس الشرعية الدولية، وتفرض قرارات " تشرعن " وتغطي على أعمالها العدوانية، تسكت على الحصار الإسرائيلي المضروب على الشعب الفلسطيني، بدءً من أزمة الطحين والقمح، ووصولاً إلى أزمة الدواء.

وفي الوقت الذي ترفع فيه الولايات المتحدة لواء "حقوق الإنسان" تضرب عرض الحائط بالمادة الثانية من الإعلان العالمي التي تنص على أن "لن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي تنتمي إليها الفرد، سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلاً أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته غير خاضعة لأي قيد من القيود".

وراء ذلك ليس ازدواج المعايير، فهذا هو الواقع العياني للسلوك السياسي الأمريكي، الذي يتصف بالازدواجية، وتفسيره يكمن في عمق ووزن المصالح الأمريكية في المنطقة العربية خصوصاً، وفي الشرق الأوسط عموماً. هذه المصالح التي تملي ما هو أكثر من ازدواج المعايير، أي حروب العدوان، كما جرى في أفغانستان، وكما هو جارٍ في العراق.

في الحقيقة ليس هناك معايير يمكن أن تقاس عليها السياسات الدوليةِ. وليس جهل المنطقة أو جهل واقعها أو تاريخها ما ينقص هذه السياسات. فالمراجع الغربية والدراسات الغربية عن المنطقة مؤسسة على معرفة دقيقة لها. بل نحن من ينقصه الكثير من المعارف عنها. وبسبب نقص أو غياب دراساتنا، نعود لمراجعهم ودراساتهم هم.

ما يغري الطامعين فينا هو ضعفنا، وهم يعملون على استمراره، وإن أمكن فزيادته. يراد من الشعب الفلسطيني والعراقي أن يتخلى عن المقاومة. و السؤال هو: مقابل ماذا؟ وماذا يقدمون مقابل هذا التخلي؟ أليس حريّاً بمن يضعون أنفسهم قيّمين على العالم، وصائغين لمصائره عبر قرارات الشرعية الدولية، أن ينفذوا أولاً القرارات التي مهروها بتواقيعهم، وهي قرارات قديمة لم يؤد تجاهلها إلى طمس المشكلة ودفعها إلى عالم النسيان، بل تعميقها وتعقيدها، وإكسابها حيوية للاستمرار، حتى تجد الحل العادل؟

في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي تبنته الأمم المتحدة في عام النكبة ذاته "١٩٤٨" جاء أنه "من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان، كي لا يضطر آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد و الظلم".

لقد كان السيد المسيح فادياً للبشر و راسماً طريق الخلاص لهم. لا يفعل الفلسطينيون سوى أن يتابعوا مسيرة ابن فلسطين العظيم، لكنهم يتابعونها كشعب، وهم يسيرون صاعدين على طريق الجلجلة، يفدون البشر ويكتبون سفرهم في نضال الإنسانية ضد الظلم.

د. أحمـد فائـز الفـواز هو رئيس جمعية حقوق الإنسان في سورية.

لن ننسى ...

بيت شنّة، قضاء الرملة، ٢٤٤ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

بير معين، قضاء الرملة، ٥٩٢ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

البرج، قضاء الرملة، ٥٥٧ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

خربة البويرة، قضاء الرملة، ٢٢٠ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

الدامون، قضاء عكا، ١٥٢٠ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

معار، قضاء عكا، ٨٩٣ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

الرويس، قضاء حيفا، ٣٨٣ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

المزار، قضاء حيفا، ٢٤٤ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

المجيدل، قضاء الناصرة، ٢٢٠٤ نسمة هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

معلول، قضاء الناصرة، ٨٠٠ نسمة، هجرت في ١٥ تموز ١٩٤٨.

صفورية، قضاء الناصرة، ٥٠٢٣ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

الطيرة، قضاء حيفا، ٦١١٣ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

شفا عمرو، قضاء حيفا، ٤٢١١ نسمة، هجرجت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

الصرفند، قضاء حيفا، ٣٣٦ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

كفر لام، قضاء حيفا، ٣٩٤ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

حطين، قضاء طبريا، ١٣٨٠ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

نمرين، قضاء طبريا، ٣٧١ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

طبرية، قضاء طبريا، ٢٧٢٦ نسمة، هجرت في ١٦ تموز ١٩٤٨.

زيتا، قضاء الخليل، ٣٨٣ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

كرتّيا، قضاء غزة، ١٥٨٩ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

جسير، قضاء غزة، ١٣٦٩ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

حتّا، قضاء غزة، ١١٢٥ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

دير عمرو، قضاء القدس، ١٢ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

كسلا، قضاء القدس، ٣٢٥ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

خربة اسم الله، قضاء القدس، ٢٣ نسمة، هجرت في ١٧ تموز ١٩٤٨.

صرعة، قضاء القدس، ٣٩٤ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

عسلين، قضاء القدس، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

إشوع، قضاء القدس، ٧١٩ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

دير رافات، قضاء القدس، ٤٩٩ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

عين كارم، قضاء القدس، ٣٦٨٩ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

عرتوف، قضاء القدس، ٤٠٦ نسمة، هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

٥٨ عاما على نكبـة فلسطيـن

أيـن الأمـم المتحـدة من قضيـة اللاجئيـن الفلسطينييـن؟

بقلم: د. أمل يازجي

تعود علينا الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة، ذلك اليوم المرادف لمولد دولة إسرائيل، واليوم الذي تختزل فيه إحدى أهم المسائل القومية إلى حق "شعب بلا أرض حصل على أرض بلا شعب"، وتتحول الأنظار كلها إلى الدولة الديمقراطية الحديثة وكأن الجميع ينتظر منها أن تكون ما لم تكن يوما قادرة أو راغبة أن تكون، وشرق أوسط جديد، بقيادة جديدة ومعالم مختلفة، حتى ولو كان ذلك على جثث شعب يقتل من أكثر من ستين عام، وتنكر حقوقه، ويعامل وكأنه الغائب، الغائب الحاضر، الغائب الذي لا يدري العالم كيف يواجهه، بل كيف يمكن أن يقنعه بحلول مختلفة تضمن عدم عودته ونسيان الهوية والوطن، وكأن الذاكرة الجماعية بمتناول أصحاب القرار يمحونها ويحلون مكانها هويات وأوطان جديدة، تبدأ في الشرق وتنتهي في أقاصي الغرب. ويلح علينا السؤال أين حق العودة بعد ٥٨ عاما من النكبة بالنسبة للجمعية العامة ومجلس الأمن أهم أجهزة الأمم المتحدة؟

لم تكن النكبة إلا مؤشرا واقعيا على استقرار مفهوم إحلال شعب مكان شعب أخر، إحلال مهاجرين من كافة أصقاع الأرض محل السكان الأصليين بحجة أنهم وعدوا بها من الرب. ولدت إسرائيل وبدأت من يومها الأول بإصدار مجموعة من التشريعات المتلاحقة ترفع بها وتيرة الاستيلاء على الأراضي وتوسيع رقعة الدولة التي منحت إليها في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١.

وتمثل الحقبة بين عامي ١٩٤٥ و١٩٤٩ فترة اختمار المشروع الصهيوني وحصاد نتائج قرابة ٥٠ عاما من العمل الدؤوب لجعل فلسطين أكثر من موطن قومي لليهود، لجعلها دولة يهودية لا بد أن تحافظ على ذاتها من خلال نقاء ديني يحفظ لها وجودها. وفي هذا الإطار كانت الأمم المتحدة، هذه المنظمة الوليدة، أداة لتنفيذ المشاريع التي تخدم مصالح الدول العظمى.

انتهت الحرب العالمية الثانية في هذه الفترة، معلنة معها انقضاء عهد عصبة الأمم بكل ما حملته من حلول لدعم مفهوم رعاية الشعوب غير القادرة على حكم ذاتها بذاتها، وانتقل عدد من الأقاليم إلى التحرر، والباقي إلى نظام الوصاية في الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم، مع صمت شديد عن مصير إقليم كان مصنفا في الفئة أ من نظام الانتداب، لم يتحرر كما لم ينتقل إلى نظام الوصاية، لتستمر بذلك فلسطين تحت نظام قانوني ألغي من الوجود.

وعرفت الأقاليم التي كانت تحت الانتداب أنها كانت مجرد مستعمرات وقامت فيها الثورات حتى انتهاء الانتداب، غير أن فلسطين لم تعرف فقط الثورات ضد الإنكليز بل كان لا بد من مواجهة غزو إنساني ومالي لم يكن عرب فلسطين يدركون طبيعة مقاصده، فارتفع عدد المهاجرين اليهود من قرابة ٦ ٪ في بداية القرن العشرين إلى قرابة ٣٠ ٪ عند إعلان قيام الدولة الصهيونية في قسم من أراضي فلسطين، منحت لهم بناء على قرار صادر من الأمم المتحدة.

واستمر خرق ما يدعى بالكتب البيضاء التي تحد من الهجرة إلى فلسطين، واستمرت العصابات الصهيونية بعمليات الإرهاب المنظم، وتتالت اللجان لترى أين هو خير فلسطين، وكأن الإقليم خال من أي سلطة، وكأنه لم يكن معتبرا ثلاثين عام إلى الوراء من الأقاليم المرشحة للاستقلال. وجاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١، المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني من العام ١٩٤٧، والقاضي بتوصية خطة تقسيم فلسطين، ليصبح القاعدة التي انطلقت منها المنظمة الدولية العالمية الهادفة إلى إحلال الأمن والسلم الدوليين في التعاطي مع الشأن الفلسطيني.

قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين: نظرة تحليلية

يتميز قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ المعروف بقرار التقسيم بعدم استناده إلى معطيات تمثل الواقع في فلسطين، أو تأخذ بعين الاعتبار رأي الشعب الفلسطيني إضافة إلى كل المقيمين فيها من غير الفلسطينيين، حيث لم يجر على الأقل استفتاء لمعرفة توجه هؤلاء الناس ورغبتهم في شكل الوطن الذي يريدون، وعادت مقولة كانت تردد دائما بشأن وعد بلفور: "إعطاء ممن لا حق له لمن لا حق له"، لتتكرر للمرة الثانية، حيث منحت الأمم المتحدة دولة لليهود دون أن يكون لها أي حق في اتخاذ مثل هذا القرار.

وقد تعامل مجلس الأمن الدولي مع توصية تقسيم فلسطين وكأنها واقع حقيقي، حيث لم يصدر عقبها أي تعليق له حول التقسيم، سوى ما جاء في القرار ٤٤ بتاريخ ١ نيسان ١٩٤٨، والذي نص على أن المجلس تلقى القرار ١٨١، وأخذ العلم بتقريري لجنة فلسطين التابعة للأمم المتحدة، وأوصى الأمين العام بدعوة الجمعية العامة للانعقاد للنظر مجددا في حكومة فلسطين المستقبلية. ثم تتالت قرارات المجلس لتتعلق بالهدنة، وشكلها، وضرورتها، والصدمة بشأن اغتيال الكونت فولك برنادوت ومرافقه، حتى صدور توصيته القاضية بقبول إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة، وذلك بتاريخ ٤ آذار ١٩٤٩، على اعتبار أن إسرائيل "دولة محبة للسلام وقادرة وعازمة على تنفيذ الالتزامات التي يتضمنها الميثاق".

وفي ٢٦ نيسان ١٩٤٨، طلبت الجمعية العامة في قرار حمل رقم ١٨٥ من مجلس الوصاية أن يدرس مع سلطة الانتداب والأطراف المعنية الإجراءات اللازمة لحماية مدينة القدس، رغم عدم دخول فلسطين في عداد الأقاليم الخاضعة للوصاية، ومن ثم تعيين مفوض بلدي خاص بالقدس بناء على تقرير مجلس الوصاية بموجب القرار ١٨٧، مما يعني فعليا البدء في تنفيذ القرار ١٨١ الذي جعل من القدس مدينة دولية تخرج من إطار فلسطين إلى الإطار الدولي.



أطفال مخيم الدهيشة للاجئين، بيت لحم (بديل)

لم يصدر أي رد فعل لا عن مجلس الأمن ولا عن الجمعية العامة في أيار من العام ١٩٤٨ عندما أعلنت بريطانيا العظمى إنهاء الانتداب وتم الإعلان عن دولة إسرائيل في، مما يعني أن المنظمة الدولية مسؤولة مسؤولية قانونية وتاريخية عن قرارها رقم ١٨١ الذي قسم فلسطين ونتج عنه إعلان دولة إسرائيل.

أما قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤، والمؤرخ بتاريخ ١١ كانون أول من العام ١٩٤٨، والقاضي بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم فقد أعلن عن مرحلة جديدة حاولت من خلالها الجمعية العامة جبر بعض الضرر الذي لحق بالفلسطينيين، غير أن صيغة القرار جاءت لتنبئ عن مرحلة أخرى من مراحل تطبيق القرار ١٨١، حيث جاء في الفقرة ١١، والتي نصت على حق العودة، على إمكانية تعويض "اللاجئين غير الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم"، وبالتدقيق في النص نرى أن العيش بسلام مع الجيران هو شرط للعودة، أي لا بد من الاعتراف بالتقسيم. هذا إضافة إلى عدم قدرة لجنة الأمم المتحدة للتوفيق حول فلسطين (UNCCP) التي تشكلت بموجب القرار رقم ١٩٤ على مراقبة تنفيذه، ليكون هذا القرار في النهاية ليس أكثر من تكرار لكل القواعد الدولية التي تنص على الحق الطبيعي بالعودة لكل فرد خرج من أرضه مكره لا أكثر.

ويشكلّ القرار٢٧٣ الصادر في ١١ أيار ١٩٤٩، أي بعد قرابة عام من إعلان دولة إسرائيل، والقاضي بقبولها عضوا في الأمم المتحدة، أخر القرارات التي انتهكت حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير وفق ما جاء في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ذاتها، لتقضي بذلك على أمله في الظروف الراهنة بإقامة دولة على كامل أرض فلسطين. في ذات الوقت، قصرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراتها المختصة بفلسطين والشعب الفلسطيني زمنا طويلا على إعانة اللاجئين، وتصريف أمورهم لا أكثر، وتمديد ولاية وكالة الغوث الدولية–الأنروا، وإبداء الأسف لعدم تطبيق قرار العودة، وإعادة تبني هذا القرار.

كما لم تقم الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب ما يدعى بالنكسة، أي حرب العام ١٩٦٧، سوى بطلب إلغاء كل التدابير المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس والامتناع عنها مستقبلا، وذلك في قرارها رقم ٢٢٥٣، المؤرخ في ٤ تموز من العام ١٩٦٧، ثم عن أسفها في ١٤ تموز من العام ١٩٦٧ لعدم قيام إسرائيل بذلك. أما مجلس الأمن فلم يجد أكثر من طلب وقف إطلاق النار والعودة إلى حدود الرابع من حزيران ودعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع إجراءاتها لتغيير وضع القدس (القرار ٢٥٢) والأسف لعدم تطبيق هذا القرار (القرار ٢٩٨).

كما تأخر الاعتراف بالفلسطينيين على أنهم شعب وبالتالي الاعتراف لهم بحق تقرير المصير حتى العام ١٩٧٠، وذلك في قرار الجمعية العامة رقم (٢٦٤٩)، مما فوّت على الفلسطينيين خلال مرحلة طويلة جدا حق المطالبة بتقرير المصير أسوة بكل الشعوب الأخرى، كما منح الدولة الصهيونية الفرصة لتشد عودها على حساب الانقسامات العربية، وعدم الاعتراف للفلسطينيين بحق المقاومة من أجل التحرير. وقد منحت منظمة التحرير الفلسطينية حق تمثيل الشعب الفلسطيني الذي أقرت له حقوقه في فلسطين (دون ذكر أي فلسطين هذه وأي حدود لها) وذلك في القرار رقم ٣٢٣٦، المؤرخ في ٢٢ تشرين أول من العام ١٩٧٤. ومن ثم منحت منظمة التحرير الفلسطينية في الجلسة ذاتها مركز مراقب في المنظمة الدولية وذلك في القرار رقم ٣٢٣٧. دون أن يرافق ذلك أي قرار من مجلس الأمن بهذا الخصوص، رغم الطلب المتكرر من قبل الجمعية العامة وحثه على الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف (القرار رقم دإط – ٧/٤، المؤرخ في ٢٨ نيسان ١٩٨٢).

تمثل مجمل القرارات التي صدرت منذ عام ١٩٧٤ وحتى تاريخه، سواء كان ذلك من قبل الجمعية العامة أو مجلس الأمن، سلسلة من التصريحات التي تتحدث عن حق العودة وإدانة الاعتداءات على الشعب الفلسطيني، وإدانة الإرهاب، لا أكثر. وقد أصبح القرار ٢٤٢ الصادر في ٢٢ تشرين أول ١٩٦٧، أساس التسوية الذي تعتمده المنظمة الدولية في تعاطيها مع المسألة الفلسطينية، أي أن الحدود لم تعد كما جاءت في القرار ١٨١ بل كما أضحت عليه قبيل الرابع من حزيران ١٩٦٧.

يبدو من قراءة هذه القرارات أن المنظمة الأممية كان لها كبير الاثر والدور في قيام دولة إسرائيل، ولا بد هنا من العلم أن المنظمات الدولية تتمتع بشخصية دولية وقرار مستقل عن قرارات الدول الداخلة في عضويتها، مما يعني أنها تتحمل كل العواقب المترتبة على هذه الشراكة من خرق لحق تقرير المصير الذي يتمتع به الشعب الفلسطيني والذي لم ينشأ مع القرار ٢٦٩٤، لآن هذا القرار كشف فقط هذا الحق، كما تتحمل جزءا من المسؤولية المترتبة منذ صدور القرار ١٩٤ عن عدم تطبيقه حيث لم تزوده بأية آلية فعالة لضمان التطبيق.

كما تدل هذه القراءة على أن اعتراف المنظمة الدولية بإسرائيل شكل نقطة انطلاق هذه الأخيرة كمؤسسة قانونية في عالم العلاقات الدولية. وأن الشعب الفلسطيني قد كسب في المقابل كل تعاطف الأمم المتحدة لا أكثر. رغم كل ما صدر من قرارات من باقي أجهزة الأمم المتحدة كالمجلس الاقتصادي والاجتماعي واليونسكو ولجنة حقوق الإنسان ومنظمة الصحة العالمية.

وبالعودة إلى مشاريع القرارات المنقوضة من قبل مجلس الأمن خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٩٨، نلاحظ أن المجلس قد رفض أي مشروع قرار يتعلق بحق الشعب الفلسطيني غير القابل للتصرف بتقرير المصير وفي العودة إلى دياره، كالمشروع المقدم بتاريخ ٢٣ كانون الثاني من العام ١٩٧٦، أو المشروع المقدم بتاريخ ٢٩ حزيران من العام ١٩٧٦، والمشروع المقدم بتاريخ ٢٨ نيسان من العام ١٩٨٠، مشاريع قابلتها الولايات المتحدة بحق النقض الفيتو.

خاتمة

إن النظر في هذا السرد التاريخي السريع لعدد من قرارات الأمم المتحدة قد يدفع إلى الاستنتاج السريع بعدم ضرورة التعاطي مع هذه المنظمة، إلا أنه لا بد من الانتباه إلى النقطتين التاليتين:

أولا: لا زالت هذه المنظمة هي المنظمة الأممية الوحيدة التي تملك حق القرار الدولي الشرعي حتى ولو لم يكن مشروعاَ، لكن في هذا الإطار لا بد من التأكيد على أن استخدام الأدوات الدولية بما فيها الأمم المتحدة، هو في وقتنا الحاضر المرآة للحقيقية للتوازنات الدولية وآلية تنعكس من خلالها علاقات القوة في المجتمع الدولي، وبالتالي فالعيب يكمن في توازنات القوة وضرورة النظر فيها أكثر مما يكمن في المنظمة ذاتها، مما يستدعي العمل في عمق المسألة الفلسطينية وعدم الاعتقاد أن الأمم المتحدة هي مصدر الأزمة.

ثانيا: رغم كل المواقف المنحازة لإسرائيل من خلال الدفع لقيامها وتثبيتها على الساحة الدولية، إلا أن القرارات الدولية المتعلقة بحق العودة تؤكد على نقاط هامة تفيد في تعريف حقوق الفلسطينيين، من حيث أنها حقوق ثابتة لا يحق التصرف بها ، مما يرسخ مفهوم كون هذه الحقوق أولا حقوق ذات طابع فردي تمنح صاحبها حقوق فرعية ذات طبيعة سياسية واقتصادية تتمثل في العودة والتعويض بكل أشكاله، وثانيا حقوق ذات طابع جماعي تتمثل في حق تقرير المصير الذي يشمل كامل الشعب الفلسطيني أينما كان.

د. أمل يازجي هي محاضرة في كلية الحقوق بجامعة دمشق، ونائبة عميد كلية العلاقات الدولية والدبلوماسية بجامعة القلمون الخاصة.



شلتا، قضاء الرملة، ١١٦ نسمة،
هجرت في ١٨ تموز ١٩٤٨.

عجور، قضاء الخليل، ٤٣٢٧ نسمة،
هجرت في ٢٣ تموز ١٩٤٨.

عين غزال، قضاء حيفا، ٢٥١٧ نسمة،
هجرت في ٢٤ تموز ١٩٤٨.

إجزم، قضاء حيفا، ٣٤٤٥ نسمة،
هجرت في ٢٤ تموز ١٩٤٨.

جبع، قضاء حيفا، ١٣٢٢ نسمة،
هجرت في ٢٤ تموز ١٩٤٨.

آب ١٩٤٨

اللطرون، قضاء الرملة، ٢٢٠ نسمة،
هجرت في ١٠ آب ١٩٤٨.

تشرين أول ١٩٤٨

بيت طيما، قضاء غزة، ١٢٣٠ نسمة
هجرت في ١٨ تشرين الاول ١٩٤٨.

البريج، قضاء القدس، ٨٣٥ نسمة،
هجرت في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير أبان، قضاء القدس، ٢٤٣٦ نسمة،
هجرت في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير الهوا، قضاء القدس، ٧٠ نسمة،
هجرت في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

سفلى، قضاء القدس، ٢٠٦١ نسمة،
هجرت في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

ابو لبى/علامات/تياها، قضاء بئر السبع، ١٤٥١ نسمة
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ابو جغيم/علامات/تياها، قضاء بئر السبع، ٦٨٤ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

مسامر/رمادين/ تياها/، قضاء بئر السبع،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

شعور/رمادين/تياها، قضاء بئر السبع، ٥٤٥ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بدينات/تياها، قضاء بئر السبع، ٦٤٩ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ابو جابر/جبارات، قضاء بئر السبع، ٨١٨ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ابو الأدوس/ ارتيمات/ جبارات، قضاء بئر السبع، ١١١١نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ثابت/جلازين/جبارات، قضاء بئر السبع، ٦١٩ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بن صباح/ حسنات/ جبارات، قضاء بئر السبع، ٤٦٠ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بن عجلان/جبارين/جبارات، قضاء بئر السبع، ١٢٦٥ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

وحيدات جبارات/ جبارات، قضاء بئر السبع، ٥٧٦ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

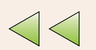
النويري/سعادنة/ جبارات، قضاء بئر السبع،٢٧٣ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ايو جريبان، / سعادنة/ جبارات، قضاء بئر السبع، ٤١٩ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

الدقس/الدقس/ جبارات، قضاء بئر السبع، ١٢٣٣ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بن رفيع/ سواركة/ جبارات، قضاء بئر السبع، ٩٨٥ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

جليدة/ جبارات، قضاء بئر السبع، ٢٧٥ نسمة،
هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.



وتستمر النكبة..

"هل تفهم ماذا حل بنا في العراق؟"

بقلم: شيلا بروفينشر

"لقد أشعلوا به النار، هكذا" قال موسى * "لقد اعتقل الجيش العراقي ابن عمي واستخدموا النار. لقد استخدموا النار. هل تفهم؟". دعيت الله أن أكون قد أخطأت الفهم. "هل أحرقوا بيته أم جسده؟" يا ألله، ليكن بيته فقط.

"جسده!" أجاب موسى: "لقد مكث في المستشفى لمدة أسبوع، ولكنه توفي بعد ذلك. كان أب لأربعة أطفال. هل تفهم ماذا حل بنا في العراق؟".

الضمير المتّصل "نا" الذي استخدمه موسى يعود على اللاجئين الفلسطينيين. يبلغ عددنا ٣٤ ألفا. الكثيرين منا ولدوا في العراق، لكنهم ليسوا بمواطنين عراقيين. لا يستطيعون التصويت أو شغل الوظائف الرسمية أو حيازة السلاح، ولا شراء بيت أو عقار. يترتب عليهم التقدم بطلب تجديد إقامتهم في العراق مرة كل شهرين. أما دول الجوار للعراق فلا تقبل بوثائق سفرهم، ولذا علق الفلسطينيون في العراق.

ظروفنا صعبة، فعلى مدار الشهور الفائتة تردت حياة الفلسطينيين في العراق وتحولت حياتهم كوابيس على يد الأمن العراقية الجديدة والتي من المفترض أن تكون منقذا للبلاد إلا أنها حولتها الى سوداء: فهنالك العديد من فرق المغاوير، بعضها حكومي وأخرى غير واضحة ومستقلة. لقد أتوا إلى أحياء الفلسطينيين في جنح الليل واقتحموا البيوت وأرهبوا النساء والأطفال وكثيرا ما سجنوا وعذبوا الرجال.

وفي الصيف الماضي احتجزت القوات العراقية أعزّ أصدقاء موسى. وفيما بعد اكتشفت جثة الصديق الهامدة وعليها علامات حروق وثقوب أحدثت بمثقاب ودلائل على تعذيبه بالصعقات الكهربائية. في الربيع الماضي وفي أعقاب أحد التفجيرات في بغداد الجديدة، اقتحمت القوات العراقية حيّ البلديات في بغداد واعتقلت ٣ إخوة فلسطينيين وجار لهم. بعد ذلك، ظهر الشبان الأربعة بوجوه محروقة في أحد البرامج التلفزيونية العراقية المشهورة "الإرهاب في قبضة العدالة" لقد قال هؤلاء لمحاميهم أنهم أبرياء، وأنهم اعترفوا بالجريمة بسبب التعذيب فقط.

لماذا يحدث هذا؟ لأن صدام حسين أنتج برنامجا جماهيريا يدعم الفلسطينيين في العراق مدّعيا من على شاشات التلفزيون أنه منح الفلسطينيين شقق وسيارات مجانية. ومع أن الفلسطينيين في العراق يصرون على أن معظم ذلك كان من قبيل الدعاية السياسية، إلا أن الرأي العام العراقي قد تحول ضدهم. لقد قتل أكثر من ٦٠ فلسطينيا وشرّد الآلاف منذ سقوط ذلك النظام.

في شهر تشرين ثاني في العام ٢٠٠٥، قررت مجموعة من الأسر الفلسطينية الشجاعة وتعدادهم سبعة أطفال وخمس نساء وسبع رجال، القيام بمخاطرة عظيمة تقضي بترك كل شيْ ورائهم والهرب إلى سوريا. لقد طلبوا من أعضاء فرق صانعي السلام المسيحيين (CPT) العاملين في العراق، ومن أعضاء فرق صانعي السلام المسلمين (MPT) مساعدتهم على عبور حواجز التفتيش التي أقامها الجيش والشرطة العراقيين، لقد رافقناهم في هذه الرحلة أنا وتوم فوكس** وبث بايلز وكذلك زميلنا سعيد من فريق صانعي السلام المسلمين.

لقد جعلت منا الطريق الخطرة الطويلة بين بغداد وسوريا وكذلك المبيت في خيام لأسابيع وأسابيع في أرض تخلوا من البشر أسرة واحدة.

كان معنا إدريس وبشرى وأربعة من أطفالهم الذين يبلغون من العمر سنة واحدة، وثماني سنوات، واثنا عشر، وثلاثة عشر سنة. "لقد اضطهدنا في العراق" هكذا قالت لي بشرى. "في صباح أحد الأيام وفي الساعة الثالثة فجرا اندفع الجنود العراقيون إلى داخل بيتنا. لقد جروا زوجي إلى الشارع وهو نصف عار وصوبوا بندقية إلى رأس ابنتي. حدث لنا ذلك أكثر من ثلاث أو أربع مرات". كان أصغر أبنائهم أمير البالغ من العمر سنة واحدة مريضا جدا أثناء تلك الرحلة. لقد شاهدت أباه يمزج الأدوية المضادة للجفاف ويدخلها بلطف في فم الطفل بواسطة ملعقة. كان معنا أيضا مصطفى ونور وهما زوجين شابين. "كلما وقع انفجار تلقي السلطة اللوم على الفلسطينيين" هكذا قال مصطفى. "يقيمون العديد من نقاط التفتيش وقد يعتقلونني إذا ما أبرزت بطاقة هويتي الفلسطينية، لقد اعتقلوا أحد أصدقائي مرة في أعقاب أحد الانفجارات. لقد أطلقوا سراحه بعد أن أحرقوه بالنار وهو يعيش الآن بساق مشلولة".

"أضطر إلى تجديد إقامتي مرة كل شهرين. يأخذني ذلك اليوم كلّه، بينما يقع المكتب في منطقة خطرة". وأضاف إذا لم ندخل إلى سوريا سوف أبقى في البرية حيث لا أناس، ولن أعود أبدا".

كان موسى معنا أيضا، وكان الشاب اليافع الذي قاد المجموعة. "إن هدفي وغايتي الوحيدين هو إنقاذ هؤلاء الناس" هكذا قال. "إنهم ينتظرون منا حلاّ."

الرابع من تشرين أول: بعد قضاء الليلة الأولى تحت النجوم داهمتنا حقائق الحياة المرّة ونحن على رصيف إحدى نقاط العبور. تحيط بنا الصحراء من كل جانب وبحلول الثامنة والربع صباحا بدأنا نتشوى في قيض الشمس. لقد لاحظ أحد سائقي الشاحنات النساء والأطفال فأزاح شاحنته لكي تلقي ببقعة من الظل على الرصيف. لقد ضاج الأطفال بينما هدرت الشاحنات المارّة وعلا صرير الكوابح وزوامير الشاحنات، وعج الهواء برائحة القطران والبنزين. لقد أجرينا أنا وبث مقابلات مع المزيد من رفقائنا في تلك الرحلة. عبد الله البالغ من العمر ٤٤ سنة بشعره الذي شاب مبكرا وعينيه الهادئتين، قدّم نفسه كجنرال جليل بالرغم من الشلل الطفيف الذي لحق به جرّاء إصابة في الماضي. لقد عاش السنة الماضية بأكملها في حالة من الرعب في مكان تجمع الفلسطينيين في بغداد.

"لقد شاهدت الاقتحامات والتعذيب والاعتقال" وأضاف "رأيت مرة رجلا فلسطينيا يعاني من مشكلات نفسيه، وذات يوم كان يمشي في الحيّ، فرأيت الجيش العراقي يضع كيسا فوق رأسه وانهالوا عليه ضربا بقبضاتهم وأحذيتهم وأعقاب بنادقهم لمدة خمسة عشر دقيقة. لم يفعل الناس أي شيء لأن الجنود كانوا يحملون البنادق بينما لا بنادق لدينا".

الحمد لله، فالمسؤولون السوريون لن ينفوننا ثانية إلى الحدود العراقية. وبدلا من ذلك سينقلوننا إلى سقيفة حجرية بالقرب من البوابة الحدودية حيث تشرف نوافذها على الصحراء الخاوية.

كان هذا بيتنا لليومين التاليين، حيث بات الرجال في الخارج. وفي صباح أحد الأيام حوالي السادسة صباحا مرّت شاحنة على مسافة قريبة جدا منهم لدرجة أنني خشيت عليهم من الدهس. كان الضجيج مستمرا وكان مزيجا من أبواق الشاحنات وصرير الكوابح وأعمدة الغبار الثائر، الأمر الذي جعل توم يقول: "أعتقد أنك ستسمع في جهنم نفس الأصوات التي تسمعها في محطة


لاجئون فلسطينيون على الحدود العراقية، نيسان ٢٠٠٦ (مسيحيون من أجل السلام CPT)

الشاحنات هذه".

١٥ تشرين أول: وصلت ممثلة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNHCR) وقد بدا عليها الذهول "هذا غير محتمل" هكذا قالت. "سوف نحاول أن نجد حلا. ولكن قد يأخذ ذلك وقتا طويلا" قالت أنها سوف تحضر خياما وسترتب لنا مع الكافيتيريا الحدودية لكي يتناول كل منا وجبتين يوميا. كان موسى يحدثنا عن التعذيب وعن القتل. لقد أجرت مقابلة مع النساء، وقد طلبن حفاظات للأطفال وأدوية ضد الإسهال.

١٢ تشرين أول: شرعنا أنا والمترجم بتعليم الأطفال الخمسة الكبار في إحدى الخيام. علّمتهم بتعثر دروسا في اللغة الإنجليزية بينما كان المترجم يعلّمهم الفن. لقد مرض أمير الصغير مرّة أخرى. وعانى معظم الكبار من السعال. فالليل شديد البرودة ولكن الحرارة تصل إلى ٤٣ درجة مئوية أثناء ساعات النهار. لم تكن الوجبات التي قدمتها الكافيتيريا متوازنة، كانت مكونة من الأرز والخضار، لم يكن هنالك الكفاية من البروتين ولم تكن الفاكهة موجودة.

قام عمر ومهنته حلاّق، بقص شعر الرجال وحلاقة ذقن توم وأصبحت شمس الصحراء لاذعة. وفيما بعد قام عمر بقص شعر كل العاملين في الكافيتيريا مجانا.

١٥ تشرين أول: أنا الآن مريضة أيضا. أنا مصابة بالإنفلونزا. تختلط الأيام معا، متى سيتغير هذا الحال؟ ترى متى سنتلقى الأنباء السعيدة بأن إحدى الدول في هذا العالم ستستقبل هؤلاء الناس؟

١٧ تشرين أول: رجعنا أنا وتوم إلى فريقنا في بغداد. أعربت الجماعة عن تخوفها مما قد يحدث لهم. أكد موسى لنا ولهم قائلا: "سوف نعتمد على أنفسنا الآن". نعد أنا وتوم أن نفعل كل ما بوسعنا للحيلولة دون العنف الذي قد يمارس ضد التجمعات الفلسطينية في بغداد والضغط على الحكومتين العراقية والأمريكية من أجل التغيير.

لم ينتابني إحساس بهذا العمق من قبل.
أحسست أنني أهجر عائلتي.

في أواخر تشرين ثاني ٢٠٠٥ سمح للفلسطينيين بالتوجه إلى مخيم اللاجئين الواقع في شمال سوريا. ومع ذلك كان عليهم البقاء بداخل المخيم ولم يسمح لهم بالتنقل أو العمل. لقد سكنوا في بيوت طينية وبلا مياه جارية أو كفاية من الدفء. وفرت لهم المفوضية العليا لشؤون اللاجئين بعض المؤن التي تبقيهم على قيد الحياة (الأرز والفاصوليا والخبز والزيت والشاي والقليل من الخضروات) ولكنهم يحتاجون إلى غذاء متوازن ولذا عليهم ابتياع المزيد من الغذاء، رغم فقرهم.

ما زال الجميع يأمل في أن يجد ملجأ في إحدى الدول الأجنبية وما زالوا بحاجة إلى كل مساعدة ممكنة في مجال التأييد والإغاثة المادية والتمويل. ستكون الطريق طويلة.

وفي تلك الأثناء تدهور الوضع في العراق إلى درجة لا يمكن تخيلها. ففي التاسع عشر من آذار رافق أعضاء فريق صانعي السلام المسيحيين مجموعة أخرى تتكون من ثمانية وثمانين فلسطينيا اثنين وأربعون منهم أطفالا. كانوا يحاولون الهرب من بغداد إلى الأردن. وبعد أسبوع انضم اليهم في منتصف الصحراء خمسة وثلاثين فلسطينيا. وما زالوا يعيشون هنالك حتى اليوم في أوضاع بائسة دون كفايتهم من الطعام أو الماء أو الدواء وبلا إذن للدخول إلى الأردن. وفي أواخر آذار تلقت أكثر من مئة عائلة فلسطينية تسكن في منطقة الحورية ببغداد رسائل تهديد بالموت من مجموعة أطلقت على نفسها كتائب يوم الحساب. لقد دفع ذلك جنيفر باغونيس الناطقة باسم المفوضية العليا لشؤون اللاجئين للتصريح بأن الوضع "قد ساء خلال الأسابيع الماضية وأن المفوضية العليا تعبر عن شدة خوفها".

ما الذي ستفعله إذا هاجمتك قوى الأمن التي يفترض أن تقوم بحماية الناس؟ ما الذي ستفعله إذا ما صرّحت وزارة حقوق الإنسان أنك لا تختلف عن العراقيين الذين يعانون انعدام الأمن؟ ما الذي ستفعله عندما تصل التهديدات بالموت إلى عتبة بابك؟

تحتاج أسرنا الفلسطينية الموجودة في العراق إلى أصوات وأفعال قبل فوات الاوان.

---

* الأسماء الفلسطينية والعراقية أسماء مستعارة بناءً على رغبة الكاتبة.

** توم فوكس وكان عمره ٥٤ سنة والمذكور في هذا التقرير رافق اللاجئين الفلسطينيين رحلة عذابهم وعاشها معهم، وفي شتاء هذا العام ٢٠٠٦، تم اختطافه واعدامه في بغداد، وهكذا شارك الفلسطينيين والعراقيين حياتهم وحسرتهم ومات بينهم مثله مثلهم.

شيلا بروفينشر، تطوعت للعمل لمدة عامين ضمن فرق صانعي السلام المسيحيين، (CPT) في العراق، وهي منظمة مسيحية تناضل من اجل احقاق العد والسلام بوسائل سلمية وهي ليست منظمة دينية تبشيرية، ويعمل متطوعوها في البلدان التي تطحنها الحروب والصراعات المسلحة ويعيش متطوعوها من الضحايا محاولين مساعدتهم واضفاء ما امكنهم من الحماية لهم.

مخيـم جنيـن مـرة أخـرى

عندما يتحول اللجوء "عنواناً" والعودة "املاً"

تقرير: هبـة عسّـاف*

صباح الخير للشـارع
وحـارة ومدرسـة وجامـع
صباح النصـر ياللـي اسمـك فلسطينـي
صباح المجد ياللـي انـت الـو عنـوان
صباح الجـرح مـن صبـرا ومـن قانـا
صباح الصبـر علـى الغـربة وضفانـا
صباح العـود حتـما يافـا ملقانـا، حيفـا ملقانـا،
رام الله وغـزة ملقانـا

بمثل تلك الكلمات تشدو آذاننا صباح كل يوم عبر الإذاعات المحلية في الوقت الذي تمر فيه سنة نكبة جديدة على الشعب الفلسطيني بأغان تراثية تسترجع ذكرى مؤلمة سلبت فيه الأرض وطرد منها البشر ودمر فيها الشجر والحجر. وبتلك الذكرى يجمع الشعب الفلسطيني آلامه وعذاباته ليؤرخها في رقمين ليس مجرد رقمين بل أصبحا عنوانا زمانيا للجوء ومكانه المخيم والشتات، وفي كل عام نضيف (نكبة زائد واحد). في الذكرى الثامنة والخمسين لنكبة الشعب الفلسطيني يستذكر الكبار والصغار على حد سواء مآسي تلك النكبات.

بدأت ابتسام أبو طبيخ من مخيم جنين حكايتها مع اللجوء بسرد أبيات شعر لخصت ظلم التشريد والإذلال التي عاشتها أسرتها المهجرة من قرية صبارين قضاء حيفا في العام ١٩٤٨:

قد جعلنا الشوك وردا
وجعلنا الصبر عندا
وولدنا من محال ونسجنا من بقايا خيمة
فالف لا للتشريد والموت

بدت ابتسام وكأنها مدرسة تاريخ. فتاريخ التشريد واللجوء علمها أن تكون كذلك. قالت: "كانت حول حيفا ٥٩ قرية اغلب سكانها من المزارعين الفقراء فرض عليهم الانتداب البريطاني ضريبة أملاك عالية كسياسة ضغط وفرض نفوذ في الوقت نفسه بدأت الهجرات اليهودية الى تلك المناطق، التي وضعت أهالي المنطقة بين نارين، الضرائب العالية والهجرات التي بدأت تسلب المكان، أخبار المجازر اليهودية ضد أهالي المدن والقرى الفلسطينية تسربت إلينا وبدأ الأهالي بالهجرة خوفا أن تصل إليهم تلك المجازر".

لجأ بعض أهالي صبارين والقرى المجاورة الى منطقة الشهداء على مداخل مدينة جنين ومن ثم لجأوا الى منطقة مخيم جنين والهدف القريبة من واد وبلدة برقين غرب المدينة. تعيش ابتسام مع تسعة أشقاء وشقيقات في منزلهم بالمخيم والذي تعرض أبان اجتياح مجزرة مخيم جنين في نيسان ٢٠٠٢ في منزل صغير مكون من غرفتين وصالة صغيرة ويمتلكون منزلا آخر في منطقة الهدف انتقلوا للعيش فيه عند حدوث المجزرة وعادوا للمخيم بعدها ليجدوا منزلا مدمرا أعيد بنائه بتبرع من دولة الإمارات العربية المتحدة كغيره من المنازل التي سحقتها المجنزرات الإسرائيلية عن الوجود لتجد لها متسعا تجوب فيه بين أزقة المخيم وحاراته.

يعج مخيم جنين بحوالي ١٣ ألف نسمة على مساحة لا تتجاوز نصف كيلو متر مربع ٤٨٠ دونم "تقريبا يفتقر لمتطلبات الحياة الأساسية وخاصة في ظل النقص الحاد في الخدمات الأساسية. مضى العقد الأول من استقرار لاجئي مخيم جنين بمعاناة شديدة، حيث عاش أهله بلا شبكة مياه وكانوا يملئون الماء من نبع في جنين وينقلونه إلى المخيم. بالإضافة الى افتقاره للحمامات ودورات المياه باستثناء احتواء كل حارة على حمام واحد للرجال وآخر للنساء. المجزرة الأخيرة التي نفذتها الآليات العسكرية الإسرائيلية ببنيته أعادتهم إلى ما يشبه هذه الحال بعدما خربت "إسرائيل" كل البنى التحتية. وقد مدت شبكة الصرف الصحي في أواخر الثمانينات لتكتمل في التسعينيات. لم يكن في المخيم حتى مطلع التسعينيات إلا خط هاتفي واحد في مكتب وكالة الغوث الدولية "الأونروا"، ثم صار انتشاره ممكنا لكنه ظل محدودا في السنوات الأخيرة.

أطفالـي يسألـون

أم محمد من مخيم بلاطة، متزوجة في مخيم جنين ولديها ثلاثة أطفال يطرحون عليها سؤال دائم: "لماذا نسكن المخيم ؟" و"ماذا يعني مخيم ؟" فتجيبهم: "المخيم من خيمة ومن يسكنه لا يملك بيتا فتنصب له خيمة ليعيش فيها الى أن يعود لبيته".

تعود أم محمد بذكريات والدة زوجها التي طالما حدثتها عن قرية المنسي إحدى قرى حيفا عروس البحر، فكانت تخبرها عن جمال وروعة قريتها وعن الزراعة التي كانت تشتهر فيها كالأزهار والقمح والذرة و أصرت ذات يوم على أن ترافقها لزيارتها فقالت لها انظري هناك بئر الماء وهذه أراضينا وهذا منزلنا الذي لا زالت تحتفظ بكواشينه ومفتاحه على أمل العودة.

لم يقطن القرية احد باستثناء المستوطنات التي أحاطت بها من كل جانب وحل الخراب والدمار بمنازلها واستغلت أراضيها المسلوبة للزراعة التي تعود على إسرائيل بعائدات وأرباح كبيرة. وتحاول أم محمد أن تغرس بأبنائها حب الوطن الذي هجروا منه ولكن ظلوا صامدين فيه فهم لا زالوا داخل الوطن وهذا أفضل حالا ممن هجروا من الوطن الى الخارج فلجئوا الى الدول المجاورة في الأردن ولبنان وسوريا والعراق وباتوا يعيشون ظروفا لا يحسدوا عليها من حرمان وبعد وإذلال.

وسـام: لجـوء آخـر

لم يترك المحتل الإسرائيلي للطفلة وسام ٩ أعوام ما ترتديه أو حتى حقيبتها المدرسية. حرمها من حقها بالعيش بأمن وسلام في منزلها وبلدها، فلجأ أهلها بعد حرب الـ ١٩٤٨ ولجأت هي بعد مجزرة مخيم جنين عام ٢٠٠٢. عاشت وسام لفترة طويلة عند أحد أقربائها مع عائلتها التي نسف منزلها بعد اليوم الثالث لاجتياح مخيم جنين في نيسان ٢٠٠٢، وعن ذلك اليوم تقول: "عندما بدأت الدبابات الإسرائيلية بدخول المخيم كان علينا ترك منزلنا لأنه يقع على أحد مداخله فأصيبت ابنة عمي آمنة بشظايا صاروخ أطلقته الدبابات الإسرائيلية على حارتنا نحن هربنا أنا و أمي وأخواتي البنات عن طريق الجبل أما الرجال فخرجوا من طرق أخرى عن طريق الجبل أيضا كل ذهب بطريق مختلفة حتى لا نقتل جميعا إن امسكنا الجنود أو أطلقوا باتجاهنا نيرانهم، هربنا بعد أن رأينا الجرافات الإسرائيلية تهدم المنازل المجاورة لنا واحدا تلو الآخر وكان منزلنا ضمن المنازل التي عرفنا لاحقا أنها هدمت.

بعد عامين من لجوء وسام، عادت إلى منزل آخر غير منزلها وقد اعتادت على الترحال بعد أن تبرعت إحدى الدول العربية ببناء تجمع سكني للذين تضررت منازلهم جراء الاعتداء الإسرائيلي وتدميرها خلال اجتياح المخيم، ولم يبقى لها إلا ذكريات مؤلمة تعيش معها عن تلك الليالي الموحشة في الاجتياح والهرب من قذائف وصواريخ دبابات الاحتلال ترويها لزميلاتها كما روتها من قبلها جداتها عن لجوئهم بعد نكبة ١٩٤٨.

* هبة عساف هي صحفية تعمل في وزارة الاعلام الفلسطينيية

رسالة

إلى رفيقة العمر .. في ذكرى النكبة

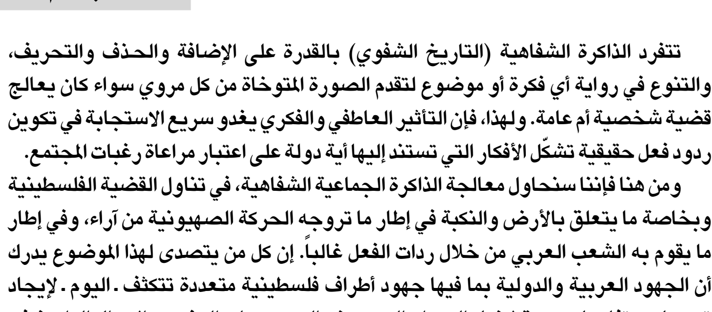
شعر: مصطفى الصيفي

سرّحتُ طرفي على ماض يناديني	عمر الشباب وسني دون عشرين
حيث الأماني من الأبراج أخيلة	بين القصور وأحلام الملايين
حيث النضارة و الآمال مشرقة	والفكر يخطو على فلك الشواهين
فعاد لي الطرف محزونا به وجلٌ	مبلل الرمش من دمعات محزون
**	
رفيقة العمر هل ما زلت ذاكرة	عطر الليالي وأزهار الرياحين
حين التقينا و شوق الحب يجمعنا	فأزهرالكون في أحضان تشرين
إن يفصح الكرم عن أسرار كرمته	في بيت لحم بظل اللّوز والتين
لما استقينا الهوى من طهر منبعه	ودُوّن الحب في أغصان زيتون
**	
رفيقة العمر يا حلمي وملهمتي	يا منهل الفكر في الهجرات يرويني
إن طوّحتْ بي الليالي في مسيرتها	للغرب والشرق من حين إلى حين
وإن حسبتِ الهوى حكرا لغيركمو	من فاتنات اللحاظ الخُرّد العين
فاستغفريَ الله من ظنٍّ ومن خطأً	لا لا وحقك ما اختلت موازيني
أمُ البنين فداك القلب ما خطرت	سنابل القمح في ذهن الحساسين
**	
رفيقة العمر هل آتيك معتذرا	عن الأنين الذي ما زال يشجيني
عن الكآبة في صحوي وفي وسني	عن البلاد التي تبكي فتبكيني
ألسْتُ من أمةٍ سادت بعزَّتها	ألسْتُ من معشر شم العرانين
قد أورثوني شموخ المجد في كبدي	وأنبتوا العزّ تيها في شرايبني
حسبي العروبة أصلا إذ أتيه به	وحسبي الدين اسلام الهدى ديني
فلا على الضيم لي صبر أنوء به	ولا على الذلِّ لي دهر يصافيني
فكيف أصفو وتصفولي الحياة إذاً	وخانق العيش يكسوني ويذويني
وكيف لا ارسل الزفرات لاهبة	والآه تؤلمني.. والآه تشويني
ألستِ مبصرة ماذا يحل بنا	– نحن العروبة– من أبناء صهيون
الجبنَ أضعفنا والجهل فرَّقنا	حتى غدت أرضنا وكر القراصين
حتى غَدَونا – وما كانت أوائلنا–	أضحوكة الكون في (سرك) السعادين
**	
يا أمة قد تخلت عن أصالتها	وشوهت دينها.. أضحت بلا دين
وجّمدت روحها.. هدّت شريعتها	ثم استعارت لها عقم القوانين
وغرّها من سراب الغرب بارقةً	من الفساد و لكن باسم تمدين
وأقنعوها بأنّ الدين مهزلة	فيه التخلف في كل المضامين
يا أمة أضحكت روما جهالتها	وردد الضحك في موسكو وبرلين
لا تذكري ما مضى من مجد عزتنا	لا تذكري الأُسْدَ من غُرّ ميامين
هذي الضفاف على اليرموك ساهمة	والصخر والرمل في ساحات حطين
أخشى الفجيعة إن أعلنت لا أملا	والقادة اليوم في خلف وفي لين
فالمسرح الآن قومي فوق سدّته	هم النجوم بأدوار و تلقين
وكلما اتقنوا فازوا بجائزة	مسخ (السلام) وفازوا بالنياشين
**	
يا كفرقاسم.. يا قبيا.. وقسطلنا	ويا خليل الشذا.. يا دير ياسين
ماذا أقول وفي ثغري حصى كثرت	لم تجد في سحقها أعتى الطواحين
قد قلت للشعب كل الشعب من يمنٍ	حتى دمشق.. إلى أطراف عمّون
لمشرق العرب في الدنيا لمغربهم	وللخليج لبيض الناس.. للجون
حتى الزعامات جئناها بصرختنا	للقائمين علينا.. للسلاطين
فيم التناحر.. فيم الخلف بينكمو	الله أكبر.. هذا الخلف يدميني
هذا اختلافكمو من أجل حكمكمو	لا للبلاد.. أجل.. لا للملايين
ويح الجميع ولم استثن من أحد	غير الحيارى وأطفال مساكين
الفرقة الداء والتوحيد منقذنا	أو فلنعش كالدمى بين المجانين
الموت رفرف فوق الناس من زمن	لم ينتظرها سوى غسل وتكفين
**	
لكنّ بارقةً رشّت تفاؤلها	وبددت غيمةً من قلب محزون
إن كان رهط من الحكام قبلته	أصنام أمريكا.. مضى عهد الثعابين
هذي الجموع وإن حفّ الظلام بها	فهجعة الأسد أو ربضات مغبون
تجدد العهد في صبر ومن دمها	تخطّ للقدس عهدا بالبراهين
مني الوفاء ومنكِ الصبر يا بلدي	بالحُبّ والصبر والأشواق لاقيني
قد كان عشقك يفري مهجتي ولهاً	وكان بعدك في الصحراء يظميني
والأن هبّت أسود الحقّ ثائرة	لتصبغ الأرض من أبهى التلاوين
ميدان غزة رَوَّيناه من دمنا	حتى تحرر.. في غَد باقي الميادين
يا كل حقل وشبر من ثرى وطني	الفجر آت.. فلا.. لا وقت للين
أرض القداسات جاء الفجر فابتسمي	ونوّليني رحيق الحبّ وارويني
هذي الأشاوس قد شَبَّت براعمها	أشبال قومي من الآمال تدنيني
ياقدسُ يا أمُّ هَبَّ الأهل فانتظري	هاتي يديك وبالأحضان ضميني
لا يفقد الحقّ والإيمان يغمرنا	ما دام في الأرض إنسان فلسطيني

***

الشاعر مصطفى الصيفي من مواليد قرية الولجة قضاء القدس في العام ١٩٣٨. عمل الصيفي في مجال الصحافة في عدد من العواصم العربية. وأصدر ديوان شعره الأول في العام ١٩٧٨ تحت عنوان "قناديل للسفر الطويل"، وله عدد من المجموعات الشعرية المنشورة وغير المنشورة. يقيم حاليا في مدينة فروتسواف ببولندا.

الذاكـرة الشفـاهيـة بيـن العـرب والصهاينـة



بقلم: د. حسيـن جمعـة

تتفرد الذاكرة الشفاهية (التاريخ الشفوي) بالقدرة على الإضافة والحذف والتحريف، والتنوع في رواية أي فكرة أو موضوع لتقدم الصورة المتوخاة من كل مروي سواء كان يعالج قضية شخصية أم عامة. ولهذا، فإن التأثير العاطفي والفكري يغدو سريع الاستجابة في تكوين ردود فعل حقيقية تشكّل الأفكار التي تستند إليها أية دولة على اعتبار مراعاة رغبات المجتمع.

ومن هنا فإننا سنحاول معالجة الذاكرة الجماعية الشفاهية، في تناول القضية الفلسطينية وبخاصة ما يتعلق بالأرض والنكبة في إطار ما تروجه الحركة الصهيونية من آراء، وفي إطار ما يقوم به الشعب العربي من خلال ردات الفعل غالباً. إن كل من يتصدى لهذا الموضوع يدرك أن الجهود العربية والدولية بما فيها جهود أطراف فلسطينية متعددة تتكثف . اليوم . لإيجاد تسويات وتفاهمات جدية لإنهاء الصراع الصهيوني العربي، على الرغم من الإدراك الراسخ في قرارة النفوس أن إسرائيل مصطنعة وجدت بقرار أممي، ولا يستند إلى الشرعية الحقيقية التي تستند إليها الدول، مهما كانت مزاعمها التوراتية التاريخية. نشات في سياق تاريخ غربي إثر محاولات كثيرة بدأت في القرن التاسع عشر ثم أثمرت عن ظهورها في القرن العشرين؛ في الرابع عشر من ايار من العام ١٩٤٨.

لقد برمج هذا الكيان منذ وجوده سياسته لمعالجة الشأن الداخلي الفلسطيني في ضوء عملية إبادة منظمة للإنسان الفلسطيني، والقيام بإجراءات تهجير مدروسة تؤدي إلى طرد كل من هو عربي لإنشاء دولة عنصرية يهودية صهيونية خالية من العرب. ومن ثم شرع بالسعي جاهداً إلى تصفية قضية اللاجئين التي نشأت عن حرب العام ١٩٤٨، والقضاء نهائياً على كل ما يتعلق بحق العودة. هذا الحق الذي أرسته القرارات الأممية الدولية؛ وشرعة حقوق الإنسان، ولا سيما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام (١٩٤٨) في مادته الثالثة عشرة.

بل إن هذا الكيان العدواني الاستيطاني يخطط لتهجير العرب الذين يعيشون في الداخل، وفق خطة التهجير (الترانسفير) المستمدة من أنساق توراتية مضللة تعتمد على مقولات أرض الميعاد، وأرض إسرائيل الكبرى (يسرائيل ربّاتي) إضافة إلى أحقية اليهود بها تاريخياً، وأن العرب الأغيار (الغوييم) ليسوا سوى طارئين عليها! ما يعني أن الانتماء العربي إلى الأرض لا معنى له في المفهوم الصهيوني إذ يقول يسرائيل الداد: "إسرائيل أرض اليهود، وليست أرضاً لليهود؛ لقد كانت يوماً أرضاً للعرب، ولكنها لم تكن أبداً أرضاً عربية.. وهي أرض تسعة ملايين يهودي آخرين موجودين في العالم، ولو لم تكن لديهم خطط حاضرة للعيش فيها". ومن هنا نفهم لماذا رفض هذا الصهيوني وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني من العام ١٩١٧، الذي تضمن صراحة فكرة "إعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين". فهو يؤمن بأن فلسطين أرض يهودية على مدى التاريخ، أما العرب (الأغيار) فقد سيطروا عليها فترة من الزمن، وآن الآوان أن يرحلوا عنها.

فالقضية برمتها قضية أرض يعمل الصهاينة على ابتلاعها والسيطرة عليها بحجج كثيرة توراتية خرافية؛ تدعم التوجه الاستعماري الاستيطاني في السيطرة على المنطقة؛ ومن ثم تغدو سياسة صهيونية غربية أمريكية محكمة. وبمثل ما يراهن الصهاينة على أرض الميعاد؛ وعلى اعتبار أن فلسطين أرض بلا شعب، وهم شعب بلا أرض وأنهم هُجّروا ظلماً منها في الماضي السحيق فهم يراهنون على نسيان الشعب الفلسطيني أرضه التي ولد هو وأجداده فيها، ولا سيما أولئك الذين تشبثوا بها ولم يرحلوا عنها في العام ١٩٤٨ أو أولئك الذين يحلمون بالعودة إليها من أرض الشتات.

وعلى ضوء ذلك كله، اتبع الصهاينة مناهج وطرائق كثيرة للاحتفاظ بفلسطين ومن ثم التوسع إلى ما يزعمونه أرض إسرائيل الكبرى؛ وطفقوا يتلمسون في الذاكرة الشفهية اليهودية ما يعزز توجههم معتمدين على الخرافات التوراتية المؤسسة للكيان فضلاً عن الدعم الغربي والأمريكي لهم؛ على اعتبار أن أي طريق منها يكمل الآخر. فالإرث الشفوي لا يقل قيمة عن الإرث المكتوب في التأثير والسيطرة على المشاعر الإنسانية وثقافتها؛ مدعين أن هناك جرائم بشعة وقعت بحقهم. فالأقوال المنقولة مشافهة بين الصهاينة أو بينهم وبين أطراف أخرى، فضلاً عن جهود حاخاماتهم وقادتهم وساستهم وأنصارهم من الأصولية المسيحية العالمية إنما تؤدي إلى الأهداف ذاتها في السيطرة على الأرض وإبادة الشعب الفلسطيني.

ونلمس هذا في رسالة فرويد إلى ماكس غراف، ومنها: "لقد خلق الله موسى شخصية لليهود حين أعطاهم ديناً؛ صعّد ثقتهم بأنفسهم إلى درجة آمنوا معها بأنهم متفوقون على الشعوب". ويردد كثير منهم أوهاماً وخرافات منها قول آحاد هاعام، رئيس حركة أحباء صهيون في إحدى رسائله: "عندما قدمت إلى البلاد مساء عيد الفصح، وزرت القدس لأشكو همي، وأُفرغ غضبي أمام حائط المبكى، شعرت بالحزن؛ لأنني وجدت العديد من إخوتنا يصلّون بصوت عال؛ كانت وجوههم متهدلة، وحركاتهم غريبة، وثيابهم بالية. كل ذلك كان يناسب منظر الحائط الرهيب؛ وأنا واقف أحدّق بهم تارة؛ وبالحائط تارة أخرى، وفكرة واحدة تدور في رأسي: هذه الحجارة شاهدة على خراب أرضنا... الأرض عندما تكون خربة والشعب يفيض قوة وشباباً وحياة يقوم لبنائها زروبابل وعزرا ونحميا والشعب من ورائهم، لكن الشعب عندما يكون خرباً من يقوم له ومن أين يأتي عونه؟". ولهذا يصرّ دافيد بن غوريون على القول: "إن أرض إسرائيل سوف تفك رهن اليهود، واليهود سوف يفكّون رهن الأرض، ومن ثم سيذهب اليهود ليفكوا رهن الأمم".

ينطلق بن غوريون في هذا الاعتقاد من الأسفار التوراتية، ويزيد عليها تطلعه إلى السيطرة على العالم كله كما ورد في سفر العدد رقم (٥٣ .٥٥) ونص ما جاء فيه "إن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكن الذين تستبقون منهم أشواكاً في عيونكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقوكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها". ولهذا يصرخ يهودا عمي حاي في قصيدة له قائلاً:

اليهود ليسوا شعباً تاريخياً
كما إنهم ليسوا شعباً أثرياً
أنهم شعب جغرافي
مع فتات ودمار وطبقات
ونيران متأججة

وفي ضوء ذلك كله، فإن فكرة السيطرة على العالم كله تسكن الذهن الصهيوني اليهودي الذي لا يعترف بأي نمط من أنماط التسوية أو الإقرار بسلام عادل مع العرب. فالوجدان الصهيوني لا يردد في داخله وبين أبنائه إلا نزوع التفوق اليهودي الذي يؤسس مفاهيم السيطرة على البشرية بكل ما تملكه من أرض وموارد. ولا شيء أدل على هذا كله من تلك الطرفة التي سرّبها أعضاء الوفد الإسرائيلي المفاوض على قيام دولة فلسطينية ذات يوم ومفادها: "أراد الله أن ينهي الحياة على الأرض في غضون أيام فاستدعى زعماء العالم: الرئيس الروسي والرئيس الأمريكي ورئيس الحكومة الإسرائيلية؛ وأعلمهم بأنه يريد إنهاء الحياة على الأرض ليخبروا شعوبهم. وقف الزعماء الثلاثة أمام شعوبهم معلنين: الرئيس الروسي: أيها الرفاق! لدى خبران سيئان: الأول: لقد تبين أن ثمة إلهاً، الثاني: هذا الإله يريد أن ينهي الحياة على الأرض. وقال الرئيس الأمريكي: أيها الإخوة!! لدي خبران؛ أحدهما جيد، والآخر سيئ. الخبر الجيد: لقد تأكدنا أن ثمة إلهاً، وهو ما تعبدون؛ الخبر السيئ: هذا الإله يريد إنهاء الحياة على الأرض. اما رئيس الحكومة الإسرائيلية فقد قال: بني إسرائيل!! لدي خبران جيدان؛ الأول؛ ثمة إله، وهو إله بني إسرائيل كما تعلمون؛ الثاني؛ لقد حصلنا على ضمانات بأنه لن تقوم دولة فلسطينية".



فلسطيني في زيارة لقريته المهجرة "لوبيا". (بديل)

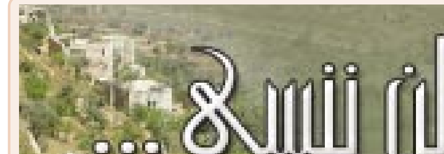
فالذاكرة الجماعية الشفاهية والمكتوبة للصهاينة توظف كل ما لديها من خرافات وأساطير وثقافات وعلوم لصالح الكيان الصهيوني للتأثير العاطفي والفكري في العالم وحرفه عن سبيله الصحيح. هكذا يمضي الوجدان الصهيوني في ذاكرته الشفوية في رؤية الهيمنة على أرض فلسطين ليجعلها منطلقاً للسيطرة على العالم؛ في الوقت الذي يستثمر أحسن استثمار أوجاع المشروع العربي المتخلف والمجزأ؛ وهو مشروع يعتمد على ذاكرة جماعية شفاهية مريضة بالتشتت والنكبات والاقتتال منذ يوم النكبة على الرغم من الأهازيج الشعبية الكثيرة التي تضج بالأمل وتتأجج بنسائم الشوق والحنين إلى التشبث بالأرض والدفاع عنها على اعتبار أن أرض فلسطين كلها أرض وقف لا تباع ولا يملكها مغتصب مهما بلغ ظلمه وقوته وجبروته.

فذاكرة الشعب العربي تتجه إلى إثارة العاطفة ودغدغة المشاعر دون أن تلج في داخل النفس البشرية إن لم تؤدِ إلى نتائج سلبية لزيادة المبالغة في التصوير، ظناً من الشعب أنها ستقطف النتائج المرجوة على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ على حين أرى أنه لم يقبض إلا على الريح؛ ولا شيء أدل على هذا كله من كثرة الخيبات التي وقع فيها. لهذا كله يعود أيار كل عام ليحمل في طياته نداءات خفية تنبش كل ألوان الحقد والجريمة والإبادة الجماعية الوحشية التي تعرض لها الشعب العربي الفلسطيني إبان النكبة على يد العصابات الصهيونية. ومن ثم تروى القصص والحكايات المرعبة عن مذابح قبية وقلقيلية ودير ياسين وغيرها؛ وما زالت هذه الجرائم المنظمة ترتكب بحق الشعب الفلسطيني على مرأى من العالم المتمدن والحر.

وفي هذه المرويات وغيرها من صور الأدب العربي تبرز صورة البطل الشعبي التي تترافق بقصة التهجير الكبير الذي تعرّض له الشعب الفلسطيني، تهجير جعل أبناء الأرض الأصليين مشردين، مقهورين، ممزقي أواصر الرحم؛ جائعين لا يقيم أودهم أو ينقذهم من البؤس والشقاء أية مساعدات رمزية تقدمها الأمم المتحدة، أو تجود به الحكومات العربية، على اعتبار أنهم يعيشون تحت وهم بيع الوعود البراقة بالعودة إلى أرضهم؛ وما هذه المعونات إلا حالة مؤقتة.

وحين نصل إلى الذكرى الثامنة والخمسين للنكبة تظل الحقيقة تصرخ في الوجوه: إلى متى ستبقى الأجيال العربية الفلسطينية، بل العربية كلها معلقة على وعود الوهم الكاذب؟ هل ستعيد هذه الأضاليل الأرض إلى أصحابها وسط زيف عالمي كبير؟ وهل يمكن للتسويات والإجراءات التي يقوم بها العالم أن يعيد الشعب الفلسطيني إلى أرضه؟ وكيف له ذلك والصهاينة يعملون على تحقيق مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي ينقضّون منه على العالم كله وفق ما تؤكده الذاكرة الشفاهية الصهيونية؟

د. حسين جمعة هو رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية. وهو أستاذ الادب القديم في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. من مواليد بيروت في العام ١٩٤٩، وله عشرات البحوث والدراسات حول الأدب العربي.



ابو رواع/جبارات، قضاء بئر السبع ٢٣٠ نسمة، هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

الفقرة/ رتيمات/جبارات، قضاء بئر السبع، ٧٩٦ نسمة، هجرت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بيت عطاب، قضاء القدس، ٦٢٦ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

راس ابو عمار، قضاء القدس، ٧١٩ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

الولجة، قضاء القدس، ١٩١٤ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

خربة العمور، قضاء القدس، ٣١٣ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

خربة التنور، قضاء القدس، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

جراش، قضاء القدس، ٢٢٠ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير الشيخ، قضاء القدس، ٢٥٥ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

بيت أم الميس، قضاء القدس، ٨١ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

بئر السبع، قضاء بئر السبع، ٦٤٦١ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

بيت تنيف، قضاء الخليل، ٢٤٩٤ نسمة، هجرت في ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨.

القبو، قضاء القدس ، ٣٠٢ نسمة، هجرت في ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٨.

كدنا، قضاء الخليل، ٥٢٢ نسمة، هجرت في ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٨.

رعنا، قضاء الخليل، ٢٢٠ نسمة، هجرت في ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٨.

زكريا، قضاء الخليل، ١١١٤ نسمة، هجرت في ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير الدبان، قضاء الخليل، ٨٤٧ نسمة، هجرت في ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٨.

دمرا، قضاء غزة، ٦٠٣ نسمة، هجرت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٨.

أسدود، قضاء غزة، ٥٣٥٩ نسمة، هجرت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٨.

القبية، قضاء الخليل، ١٢٣٠ نسمة، هجرت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٨.

خربة ام بريج، قضاء الخليل، ١٦٢ نسمة، هجرت في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٨.

عيلبون، قضاء طبريا، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير نخاس، قضاء الخليل، ٦٩٦ نسمة، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

الدوايمة، قضاء الخليل، ٤٣٠٤ نسمة، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

بيت جبرين، قضاء الخليل، ٢٨١٩ نسمة، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

صفصاف، قضاء صفد، ١,٠٥٦ نسمة، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

الجش، قضاء صفد، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

مجد الكروم، قضاء عكا، هجرت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير القاسي، قضاء عكا، ٢٦٦٨ نسمة، هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

خربة عربين (القليطات)، قضاء عكا، ٤١٨ نسمة، هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

سحماتا، قضاء عكا، ١٣١١ نسمة، هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

جيـل النكبـة: ذاكرة متسلحة بالأمل

تقريـر: هبـة الطحّان

يقينهم بالعودة هو مصدر قوتهم، يستلهمون منه الشجاعة والصبر، فلا يخلو مخزون الذاكرة لدى اللاجئين من قصص تتحدث عن "هم النكبة" وما خلفته من مأساة مستمرة، حوادث ومجازر، تشريد، حاجة، جوع. كثيرا ما تسمعهم يرددون ما حدث في جريمة النكبة، ومعاناة اللجوء، ليعاودوا التأكيد على أملهم بالعودة، حتى من خلال الأجيال القادمة، ففقدوا كل شيء لكنهم لم يفقدوا الأمل بالرغم من قسوة الظروف المعيشية في مخيمات اللاجئين وقسوة الزمن.

ما زال محمد العناتي (٦١ عاما)، يذكر والده عندما حمله وهو مريض على ظهره، ولم يكن يتجاوز حينها أربعة أعوام، ليمشي به من اللد حتى يصلوا الى أحد مخيمات اللاجئين في غزة، كما يحمل ذكريات جميلة عن حقول الذرة والزيتون وأشجار الحمضيات. ويقول: "بالرغم من أني كنت طفلا، إلا أنني لا زلت أذكر مشاهد مؤلمة وشاقة في طريقنا إلى مخيمات اللاجئين في غزة". وأردف: "لكننا لم نتمكن من البقاء هناك لمدة طويلة، وهاجرنا إلى مخيمات الضفة بسبب قلة العمل".

وحول هجرة أهالي اللد عام ١٩٤٨، تحدث محمد عن هجرتهم قسرا من اللد بعد مذبحة جامع دهمش، التي أدت الى مقتل ١٦٠ فلسطينيا من الأطفال والشيوخ والنساء على أيدي العصابات الصهيونية، حيث دخلت الجامع وقامت بقتل جميع من فيه، وأغلقت الجامع على الجثث حيث لم يسمح لأحد بدفنهم. وفي خضم حديثه عن النكبة، استذكر العناتي والده الذي كان يتحسر على غلة الزراعة، والمحاصيل وأشجار الزيتون وبيارات الحمضيات، مقارنا ذلك بوضعهم المعيشي في مخيمات اللاجئين وقلة الخدمات عندما خرجوا حفاة عراة يمشون تارة ويركبون الحمير تارة أخرى.

ويعود علي يوسف (٨٥ عاما) بذاكرته إلى الوراء، عندما دخلت إحدى العصابات الصهيونية قرية أبو شوشة وخلفوا فيها القتلى والجرحى، حيث تخبأ أهالي القرية الناجين في منطقة بالقرب من مكان "الولي"، وآخرين توجهوا للاختباء في المغر كي يحتموا من نيران الرصاص وقذائف المورتر.

وبعيدا عن المجازر التي قامت بها العصابات الصهيونية في القرى والمدن الفلسطينية في العام ١٩٤٨، يصف محمود أبو شلباية (٧٢ عاما)، قرية النعاني التي ينحدر منها بأنها "من أجمل القرى الفلسطينية"، مشيرا الى أنها كانت تشتهر بزراعة الخضار والفاكهة، وتعتبر من أكثر الأراضي خصوبة بسبب قربها من مدينة الرملة. ويقول: "كنت في الرابعة عشر من عمري، عندما تم تهجيرنا من القرية، حيث كان يفلح المزارعون أرضهم ويجلسون في ملكهم". وأكد أبو شلباية على حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، مؤكدا على عدم التنازل عن هذا الحق الذي كفلته المواثيق والشرائع الدولية. ولفت أنه لم يشعر يوما باليأس بالرغم من سوء الوضع المعيشي في المخيمات، "بل أن أملي في ربي كبير بأن النصر قريب، وإذا لم نتمكن من العودة، سيعود أبنائي أو أحفادي أو أبناء أحفادي من بعدي".



مخيم نهر البارد، لبنان (تصوير: رانيا مطر)

أما الحاجة آمنة محمود، (٧٥ عاما)، التي تجلس على درج منزلها في إحدى شوارع مخيم الأمعري الضيقة، فتقول: "هون العيشة خراب الديار"، وأحيانا "كالقطران"، واستذكرت الحاجة بلدتها "عنابة" التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرملة، عندما كانت تحصد وتسرح في الأراضي الواسعة بدلا من التواجد في مخيم متلاصق البيوت ويعاني أفراده من قلة الخدمات.

ويفتقد حسين أصلان، (٦٠ عاما) من مدينة يافا، العلاقات الأسرية بسبب تشتت أفراد عائلته في عدد من المخيمات في الضفة الغربية وغزة والاردن والسعودية منذ تشريدهم في العام ١٩٤٨، معتبرا "أن المخيم مجرد مأوى، ولا يعني لي شيئا. فانا انتظر العودة إلى بلدي وأرضي وبيتي، ولا يمكن تعويضي بأي شيء آخر سوى العودة إلى يافا". وأضاف: "ان زرع حب الأرض في نفوس الأجيال المقبلة، تبقيهم متمسكون بجذورهم وأصولهم التي انحدروا منها".

وفيما يتعلق بالأوضاع المعيشية لكبار السن داخل المخيمات الفلسطينية، يرى طه البس مدير المكتب التنفيذي لشؤون اللاجئين، أنه لا يوجد أي اهتمام للاعتناء بهذه الفئة في المخيمات بسبب قلة الإمكانات وعدم توفر مؤسسات مختصة في الوقت الذي تتطلب هذه البرامج تمويلا ماليا لتنفيذها. وأشار الى أن تقليص وكالة غوث وتشغيل اللاجئين لخدماتها التعليمية والصحية والغذائية إضافة إلى رفع يدها عن المؤسسات والمراكز الاجتماعية ساهم بقوة في تهميش قضية كبار السن ودعمهم في ظل سوء الأوضاع المعيشية الناتجة عن الفقر. ولفت الى أن الوضع الحالي في المخيمات، يزداد سوءا بسبب الأزمة المالية الخانقة الناتجة عن عدم دفع رواتب الموظفين، مشيرا الى أن الأزمة تتفاقم وتظهر جليا في المخيمات خاصة، بسبب قلة الخدمات بالمقارنة مع المدن والقرى الأخرى. وفي هذا الصدد، أشار البس إلى مبادرة مخيم الجلزون في تقديم دعما ماليا بسيطا للمسنين، ومبادرة لجنة المعاقين في مخيم الامعري كذلك في تنظيم أنشطة لدعم المسنين.

هبة الطحان: صحفية تعمل في جريدة الايام الصادرة في رام الله

الأبنـاء يحفظـون أمانـة الآبــاء

تقريـر: طـارق سعـادة

تمر الذكرى الثامنة والخمسين لنكبة فلسطين والجرح مازال ينزف، أما الألم فلا شك بازدياد، خاصة في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني. فلا تزال المفاتيح الحديدية وأوراق الطابو تنتظر يوم العودة.

هذا اليوم، الذي ينتظره أبناء وأحفاد "الجيل الأول" بفارغ الصبر وبحماسة شديدة تبدو جلية على وجوههم ونبرة أصواتهم التي لا تخلوا من الحزم، يتكلمون عن قراهم وذكريات آبائهم وأجدادهم وكأنهم عاشوا الحدث، تجدهم يلمون بقدر لا يستهان به من التفاصيل التي رسخت في أذهانهم، وحفرت في ذاكرتهم على مدار السنين الطويلة التي ملأتها أحاديث الآباء والأجداد حزنا وحسرة على قرى دمرت وشعب شرد وهُجر، إلا أنها زادتهم في الوقت نفسه إصرارا على تنفيذ الوصية وحفظ الأمانة حتى يأتي يومها الموعود.

وفي هذا السياق يتحدث محمد إبراهيم (٣٩ عاما) سائق من قرية النعاني قضاء الرملة ويسكن في مخيم الأمعري، عن الزيارة المؤثرة التي قام بها بصحبة والده إلى قريتهم، ويقول: "شعرت وكأن أحد يمسك بقلبي حين رأيت القرية للمرة الأولى وتمنيت لو أستطيع البقاء فيها إلى الأبد". ويضيف إبراهيم: "قرية النعاني هي قرية في غاية الجمال وأرضها خصبة تغطيها أشجار البرتقال، حتى أن هوائها مختلف. لقد رأيت فيها آثار البيوت المهدمة، كما تلقيت شرحا مفصلا من والدي عن أراضينا وأملاكنا، كذلك أخبرني عن أبرز المعالم في القرية كسكة الحديد والطرق المؤدية إلى القرى المجاورة، الأمر الذي جعلني أشعر بالانتماء لهذا المكان".

أما سعود عزت (٢٠ عاما) من مدينة اللد ويسكن في مخيم الأمعري أيضا، فعبر بدوره عن إشتياقه وحنينه إلى اللد التي زارها أكثر من مرة، وتمنى البقاء فيها لأنها أرضه وأرض أجداده التي لن يتنازل عنها أبدا، فهي تمثل له الحياة بأكملها.

وفي هذا الصدد يتحدث نضال طرشه (٣٨ عاما) من قرية عنابة قضاء اللد ويسكن في مخيم الجلزون، عن المشاعر التي يكنها لقريته التي زارها عدة مرات، ويقول: "عندما زرت القرية شعرت بالانتماء إليها مع أنني لم أعش فيها إطلاقا، أكثر من شعوري بالانتماء إلى مخيم الجلزون الذي أقيم فيه، خاصة مع تكرار الزيارات والاستماع إلى أحاديث كبار السن وذكرياتهم فيها". من جانبه، عبر صالح زيادة (٢٣ عاما) فني أسنان من قرية ساريس قضاء القدس ويسكن في مخيم قلنديا، عن شعوره بالألم والحسرة والظلم عند رؤية أوراق الطابو التي تخص جده، كما يشعر أن شيئا ما ينقصه.

في حين يصف خالد علي (٤٣ عاما) سائق من قرية أبو شوشة قضاء اللد ويسكن في مخيم الأمعري، قريته التي زارها عدة مرات واندهش من جمالها حيث المساحات الخضراء الواسعة المزروعة بمختلف أنواع الأشجار، فلا تزال آثار البيوت المهدمة قائمة حتى الآن، ومنها فرن أبو شوشة الذي لا تزال آثاره ماثلة للعيان، أما إسطبل الخواجا فباق على حاله كما كان قبل ٥٨ عاما، ويقول: "تم تحويل معظم أراضي القرية إلى أراضي زراعية يزرع فيها البطيخ والمشمش والخوخ". ويتمنى خالد أن يرجع إلى قريته ليزرعها ويحصدها ويستمتع بجوها ومناظرها الخلابة التي لن تغيب عن ذاكرته إلى الأبد.

إحيـاء ذكـرى النكبـة

وعن كيفية إحياء اللاجئين في مخيم الجلزون لذكرى النكبة يقول نضال طرشه: "يقام مهرجان في منطقة مفتوحة ويدعى إليه كبار السن ومخاتير القرى المهجرة، الذين يلقون بدورهم الكلمات الارتجالية بعفوية، ويحضر هذا المهرجان معظم سكان المخيم". ويضيف طرشه: يجري في الوقت الحالي العمل على إنجاز مشروع يتمثل بإحضار صخره كبيرة ونحت وثيقة شرف يوقع عليها مخاتير القرى المهجرة المقيمين في مخيم الجلزون، لتكون بمثابة وصيه لأبنائهم وأحفادهم تدعوهم إلى عدم التفريط أو التنازل عن حق العودة والتمسك به.

من جانبه، يشعر سعود عزت بالحزن في ذكرى النكبة، التي يعتبرها بمثابة يوم اسود في تاريخ الشعب الفلسطيني، أما عن كيفية إحياء اللاجئين لهذه المناسبة في مخيم الأمعري فيقول: "يقام مهرجان كبير تعزف فيه الأغاني الوطنية ويتم تعليق الصور على الجدران ويقوم الكشافة بأداء عرض كشفي". ويرى طرشه أن حل قضية اللاجئين يأتي من خلال عودة أصحاب الأرض إلى قراهم حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤، الذي يمكن اللاجئين الفلسطينيين من الحصول على حقهم في العودة والتعويض.

طارق سعادة: صحفي يعمل في جريدة الايام الصادرة في رام الله

التهجيـر، الصمـود ومحـاولات العـودة:

النكبة كما عاشتها نساء فلسـطين

بقلم: جنـان عبـده- مخـّول

مع مرور ما يقارب الستين عاما على أحداث النكبة، ما زالت قصص تلك الأيام وما جرى خلالها تراود ذاكرة من عاشوها ثم حملوها معهم كأنها تحدث اليوم معهم. الانفعال ذاته، التوتر والترقب، القلق والخوف من الحاضر كما المستقبل. ينعكس هذا الخوف في التعامل مع الحاضر على أنه يحدث بالأمس، ومع الأمس على أنه حاضر اليوم. بعض النساء اللاتي قابلتهن ضمن بحث أجريه حول هذا الموضوع، ما عدا الناشطات السياسيات منهن، تخوفن من تسجيل المحادثة أو من استعمال تفاصيلهن الشخصية، وذلك مقابل رغبة شديدة لديهن في الحديث والمشاركة بما جرى.* فقد عبّرن عن إنفعالهن من المقابلة، كون بعض التفاصيل تذكر للمرة الأولى ضمن سياق بحثي، يتعامل مع تجاربهن وذاكرتهن الحية بمحمل الجد والتقدير. بعضهن أبدين تخوفا من أن المعلومات التي سيتم نشرها لربما تضر بشكل أو بآخر أحد أفراد العائلة– بهذه الحالة كان المقصود أبناء تلك النساء– الذين إما يعملون أو يتعلمون في معاهد أو مؤسسات ضمن حدود دولة إسرائيل.

إن التعابير المتواضعة وغير المعقدة التي إستعملتها النساء عكست خوفاً من المؤسسة الحاكمة، وخوفاً من أن تقوم أجهزتها الأمنية بشكل أو بآخر بوضع العراقيل أمام الأبناء بسبب تصريحات الأمهات، بمعنى أن تعاقبهم أو تضيق عليهم الخناق. هذه النساء، كما يبدو، تعيش حالة من الخوف تنعكس في تصرف الترقب والتحسب من المستقبل ومن الحاضر أيضا. يبدو من أحاديثهن أن هذه الوضعية ما زالت مستمرة منذ النكبة وبسبب ممارسات الأجهزة الحاكمة القمعية تجاه أبناء هذا الشعب.

حالة الرعب هذه لها ما يفسرها، بمعنى أننا لا نتحدث هنا عن حالة خوف غير طبيعي أو غير منطقي الذي ليس له ما يبرره، أي بما يشبه "البرانويا أو الفوبيا الجماعية" بل هي واقع معاش بحد ذاته. واقع عاشه الفلسطينيون أيام النكبة ومجازر دير ياسين التي تحولت رمزا للمجازر كلها وكانت سببا في نشر الرعب بين السكان كما يبدو وكما تؤكد الأحاديث والتقارير التاريخية المختلفة.

تلك المجازر والقصص التي حُفرت (بضم الحاء) عميقاً في الذاكرة الحية لأصحابها، يحملونها معهم أينما ذهبوا حيث تحولت بذلك لجزء حي فيهم وفي حاضرهم ومستقبلهم وليس فقط صور من ماضيهم. هذا الماضي الحاضر دوما في كل التفاصيل التي يرونها هو ماض معاش حتى اليوم. لم يكن هناك انقطاع عن أحداث وويلات النكبة، فقد عاشوا تبعياتها في فترة الحكم العسكري أيضا، والذي فرض على الفلسطينيين ممن بقوا على أراضيهم. يستذكرون منها أيام "الإعاشة بالنقط" وأيام الاعتقال وحظر التنظيم السياسي ورفض التشغيل أو فصل من تم إستيعابه خاصة في سلك التعليم، وذلك بناء على "قوائم سوداء" شملت أسماء للناشطين والناشطات من الصف الوطني، ممن بقوا على أراضيهم أو هجروا منها في الداخل، ممن ضيق عليهم الخناق او جوبهوا بالعنف الممؤسس والمشرعن وفق قوانين وأنظمة طوارىء، من قبل الدولة وأجهزتها الحاكمة والمنفذة.

لقد استشعر الفلسطينيون الخطر القادم مع انتهاء الحكم الانتدابي بالشكل الذي انتهى فيه دون إحراز الاستقلال المرجو، وعبروا عن قلقهم من فقدان الأرض–الوطن، وتحدثوا عن ذلك في حينه في مؤتمراتهم ومظاهراتهم وبياناتهم ورسائلهم للمندوب السامي ومحافل دولية وعربية. كما تحدثوا عن ذلك في الجلسات العائلية وبين الأقارب والجيران في البلدة الواحدة. أمور ما زالت المراجع التاريخية تؤكدها كما تؤكدها الذاكرة الحية في عقول ونفوس الأشخاص الذين عاشوا الأحداث وواكبوها وعانوا ويلاتها. منهم من فقد بعض أبناء عائلته أو كلهم، ومنهم من فقد بيته، ومنهم من فقد أرضه، ومنهم من فقد كل شيء وهجر قسراً أو ترك خوفا على من تبقى من المعاناة والتعذيب والإذلال، كل ذلك على أمل الرجوع بعد أن تهدأ العاصفة في غضون أيام.

رغم استشعار الخطر ومقاومته، إلا أن أحداً كما يبدو لم يكن يتوقع حجم النكبة وهولاتها كما تؤكد لنا ذاكرة النساء. تقول (ن. ع.) من حيفا عن ذلك: " ما كنا متوقعين هذا الشيء، كانت صدمة طبعا ما اتصورناش كنا نسمع بالأخبار إنه هياهن الفلسطينية عم بغلبوا، طلعوا اليهود، عم بغلبوا فكانت مفاجأة. كانت الناس تنام وتسكر الباب، بعدين ما عادوا يقدروا يستحملوا. بالأول بقيوا، بعدين كانوا يطلعوا بالسفن ع بيروت. أهلي راحوا ع عمان بالأول وبعدين ع بيروت".

إن استشعار الخطر والخوف من القادم من جهة، ومقاومة هذا الخطر والعمل على صده من الجهة المقابلة وكردة فعل له، هي حالة ميزت الفلسطينيين منذ بداية القرن الماضي، خاصة مع إقرار وعد بلفور الذي أعطى شرعية لإقامة وطن قومي لليهود على ارض فلسطين، منذ أن تعامل مع اليهود على أنهم شعب، بينما توجه للفلسطينيين على أنهم أقليات في أرض فلسطين!.

التهجيـر والمقاومـة

تميز العمل النسائي المنظم للجمعيات النسائية العربية والاتحاد النسائي خلال الانتداب، ومن ثم من قبل نساء حركة النهضة في أحداث عام ١٩٤٨، بمقاومة حملات التهجير وتفريغ البيوت من أصحابها، وفي العمل على رفع وعي الناس لأهمية الصمود والبقاء، إضافة لمد يد العون ودعم أولئك اللذين لجأوا أو هجروا قسراً. هذه المقاومة استمرت فيما بعد أثناء فترة الحكم العسكري حيث تعرضت المتظاهرات وناشطات الحركة الى الفصل من العمل ممن عملن في سلك التعليم وأيضا تعرضن للمضايقات وتلقين أوامر المنع وحظر التجول، منها من استمر سريان مفعوله حتى مع إبطال الحكم العسكري في العام ١٩٦٦، وتعدته بسنوات. كما وتعرضن للاعتقال خاصة أثناء المظاهرات التي نظمتها النساء أو تلك اللاتي شاركن بها حيث لجأت الشرطة الى تفريق بعضها بالقوة.

تصف أقوال السيدة سميرة خوري – ناشطة سياسية ومن مؤسسي مؤسسات حركة النهضة– بشاعة التهجير وقسوته، ويستدل بالمقابل من مضمون الحديث على شجاعة النساء وجرأتهن في مقاومة تلك العمليات. شمل الأمر أيضا مقاومة


فلسطينية في زيارة لبلدتها المهجرة "المجدل" (تينيكا دازة، منظمة أوكسفام للتضامن)



عرب السمنية، قضاء عكا، ٢٣٢ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

دير سنيد، قضاء غزة، ٨٤٧ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

بيت جرجان، قضاء غز، ١٠٩٠ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

صالحة، قضاء صفد، ١٢٤١ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

سبلان، قضاء صفد، ٨١ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

سعسع، قضاء صفد، ١٣١١ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

الراس الاحمر، قضاء صفد، ٧١٩ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

فارة، قضاء صفد، ٣٧١ نسمة
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

غباطية، قضاء صفد، ٧٠ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

ديشوم، قضاء صفد، ٦٨٤ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

علما، قضاء صفد، ١١٠٢ نسمة،
هجرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨.

تشرين الثاني ١٩٤٨

ابو سوين/النجمات/ الترابين، قضاء بئر السبع،١٢٢٥ نسمة،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

الكسار/النجمات/ الترابين/، قضاء بئر السبع، ١٨٣١ نسمة،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

ابو صهيبان/النجمات/ الترابين، قضع بئر السبع، ٤٦٧٣ نسمةن
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

ابو عثيرة/ النجمات/ الترابين/، قضاء بئر السبع، ١٣٩٠ نسمة،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

هربيا، قضاء غزة، ٢٥٩٨ نسمة،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

سروح، قضاء عكا،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

النبي روبين، قضاء عكا،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

المنصورة، قضاء عكا،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

إقرت، قضاء عكا، ٥٦٨ نسمة،
هجرت في ١ تشرين الثاني ١٩٤٨.

كفر برعم، قضاء صفد، ٨٢٤ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

حمامة، قضاء غزة، ٥٨١٢ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

بربرة، قضاء غزة، ٧٩٦,٢ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

المجدل، قضاء غزة، ٤٩٦,١١ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

نعليا، قضاء غزة، ٥٢٠,١ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

الخصاص، قضاء غزة، ١٧٤ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

الجورة، قضاء غزة، ٢٨٠٧ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

الجيّة، قضاء غزة، ١٤٢٧ نسمة،
هجرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨.

عراق سويدان، قضاء غزة، ٧٦٦ نسمة،
هجرت في ٩ تشرين الثاني ١٩٤٨.

جسدية في محاولة منع شاحنات التهجير من العبور يومها، حيث ألقت النساء بأنفسهن أمام الشاحنات في محاولة لمنعها من العبور. عن ذلك تقول خوري: "خلال هاي الفترة صار في موجة ترحيل أنا كنت أعلّم بالناصرة في أواخر الـ ٤٨ أجوا شباب قالولي اتركي المدرسة اتركي كل إشي عمالهن يرحّلوا الحارة الشرقية، تركت [...] ورحت مع كل النسوان اللي كانوا [...] اجو طوّقوا الحارة الشرقية بآلاف الجنود مع بنادق مع أجهزتهم الحربية مع كل إشي، قسم يطوّق وقسم يفوت ع البيوت، يطّلع النسوان، اطلعوا من هون إرحلوا، وياخذ الرجال خصوصا الشباب، يقولوا إطلع برّه إطلع. كيف كانوا يفوتوا على دير ياسين والمحلات هاي. تسمعي صراخ النساء والأطفال يطلعوا بأواعيهن مشلّحين ما فش معهن إشي. نقولهن بدكوا ترجعوا على البيوت تخافوش لازم ترجعوا بس تعالوا معنا، تروحوش ع الجبال تروحوش تهربوش خليكوا في البلد. لأنه بدناش إنه يترحّلوا فرحنا أخذنا هالنساوين وحطيناهن ورحنا توزعنا على البيوت نجمع أكل. جمعنا لبنة، زتون، زعتر، زيت وخبز وطعمينا الناس كلياتها. هذا من الـ ٧ الصبح للـ ١٠. الساعة ١٠ قلنالهن اكلتوا.. شربتوا.. تريحتوا.. إسى [الآن] يلا معانا ع المسكوبية نطالب بارجاع رجالنا في اطلاق سراحهن لأنه كل الرجال حطوهن في المسكوبية محضرين تركات [شاحنات] منشان يرحلوهن [...] مش سجن، في الشارع كان ، محولينها لمركز بوليس، كانت مقر الحكم العسكري، كل الغرف استعملوها. بس وين حطوا هذول، حطوهن على الساحة بره، مش على الباب على الساحة، كل الساحة كانت ملانة. شوفي قديش كبيرة كلها ما كانش في اسفلت كلها كانت حصو مركعينهن على الحصو، واحنا برّه. لما اتجمعنا طبعا أجو رجال ونساء من البلد غيرنا إحنا النشيطين ومن حركة النساء، و من النهضة النسائية ونصرخ اطلقوا سراح رجالنا بدنا رجالنا تروح معنا على البيت، بهذا الشكل وهني يعاقبوا في الناس إطلعوا روحوا [...] فأجوا هذول، وصاروا يطردوا فينا جابوا حصن عليها يمسكوا الكرباج ويطردوا بالناس يبعدوا شوي صغيرة نرجع، جابوا حتى مي سخنة تيرشونا وما حدا تراجع بالآخر ايش صار قالوا احسن اشي نحطهن بهالتركات ونرحلهن. إحنا شفنا انه حطوهن بالتركات وبدهن يرحلوهن صرنا نقول ديروا بالكوا على جثثنا! يلا ناموا على الأرض مددوهن على الأرض ونمنا على الأرض وكل ما أجت التركات تقدم أنام على الأرض يعاودوا يتراجعوا ضلينا على المعدل هاذ للساعة ٤ بعد الظهر الساعة ٤ بعد الظهر اطلقوا سراح الاغلبية الساحقة خلو اكمن واحد اللي لاقوا عندهن في بيوتهن سلاح حبسوهن، فكروا انه بقاوموا اللي عنده جفت صيد اللي عنده كذا، لانهن هني اعلنوا باول الاحتلال اللي عنده جفت كذا ايسلمه، المهم انه شفنا انه نجحنا هاي كانت اول خطوة علمتنا انه لازم نستمر بالنضال بس مظاهرات واحتجاجات .

هذا الدعم للاجئين تكرر من قبل الجمعيات النسائية في عكا أيضا التي استقبلت لاجئي حيفا، حيث تحولت المدارس فيها التي توقفت عن التعليم الى مقرات وملاجىء لاستقبال اللاجئين الذين حضروا اليها بحرا. تستذكر طوبي (١٩٦٦) ذلك في كتابها "عبير ومجد" وتتحدث عن دوريات نسائية منظمة لتقديم الدعم للعائلات. لقد تعددت أشكال مقاومة النساء للتهجير والدعوة للصمود. حيث تؤكد أقوال يعقوب وشلبي أيضا (١٩٩٥: ٥ مقتبس في جاد، ١٩٩٨: ٣٢٠) أن النساء كن آخر من ترك القرى في أماكن عدة في أحداث النكبة

الخوف والهلع

(م. ف.)، من حيفا تصف الأحداث والتوتر الذي حل بالناس فتقول: "شفنا ناس بتركض سألنا شو في؟ سألونا شو انتوا غرُب]أغراب[!! مش عارفين شو عم بصير!! – ولا بقلوّا هيك هيك، الهجاناه فاتوا. الناس انهزموا من بيوتهن خافوا لمن شافوا الجيش. بالأول خافوا. وبعدين قالوا لازم نفتش ع بيت . ستي بقيت هون بحيفا، وأنا وأختي الله يرحمها أخذونا ع الناصرة [...] نزّلونا بالميدان واللا شو كان!! ناس كثير!! تخيلي زي يوم القيامة، أجت الناس ع الناصرة من كل محل، من شفاعمرو. يعني اللي كان له قرايب أجا [...] الناس كانت تبكي إحنا رحنا عند دار(ش) كان عندهن ولاد صغار. تقاسمنا البيت نص بنص". وقالت (هـ. ك.) من مجد الكروم تصف مشاعر الناس: "الناس مرعوبة لمن صار الطخ عليهن انكسر قلب الناس يعني لمن شاب أو ختيار واقف عالعين ايطخوه!. " لما طوّقوا البلد، صفّوا ارجال ع العين صاروا اينقوا]يختارو[كل واحد ايوقفوه ويطخو. بعرفش طخوا أربعة مدري خمسي، أبوي كان مع الناس اللي صافين. نسمع الطخ يجوا هالنسوان اللي ايطلوا يقولوا طخوا الزلام اللي ع العين، إسى إشي ايصرخ اشي يبكي. نسفوا دار اعلى دار، بالحارة اللي كنا ساكنين فيها ما سمعنا إلا حطوا قنبلة فيها صارت الناس إتخاف ينسفوا كل الدور! منشان يكسروا قلب الناس". هذه الأقوال تدل على أن الممارسات المهينة والمرعبة قصدت أن تدب الرعب في نفوس الفلسطينيين لتحثهم على الرحيل.

كما يبدو فإن الخوف لم يكن من القتل فقط وانما أيضا من الإذلال أو التعذيب، بما فيه الإذلال الجنسي. حيث انتشرت قصص عن تعذيب رجال واعتداء جنسي على نساء. في بحث باسم "النازحون اقتلاع ونفي" يؤكد حليم وضو (١٩٦٨) أن ٣٠ ٪ من النازحين عام ١٩٦٧ كان على هذه الخلفية (مقتبس في الخليلي، ١٩٧٧: ٥٢). هذه القضية أكدها مؤرخون فلسطينيون ممن أرّخوا لفترات مختلفة في التاريخ الفلسطيني كأكرم زعيتر (١٩٨٠) الذي تحدث عن ممارسات مهينة قام بها أفراد الجيش البريطاني لدى حديثه عن الثورة الكبرى، وأيضا تطرق للنقطة ذاتها مؤرخون إسرائيليون مثل بني موريس (٢٠٠٣) في كتابته عن أحداث النكبة ذاتها وعن ممارسات مهينة وعنيفة قام بها رجال "البلماح والهاجاناه اليهودية".

الخوف من هذه الأمور دفع العديد من الناس كما يبدو للرحيل أو للتفكير بالرحيل، كما أكدت ذلك أقوال النساء اللاتي التقيتهن أيضا. في ذلك قالت (ن. ع.): "رحنا ع شفاعمر، بحيفا حواليّ كنت اسمع بالأحداث بدي اخلّف، من الخوف وصلنا أخبار عن دير ياسين عن طريق الحكي حكي الناس نسمع، نسمع راديو أخبار من أخوتي كانوا يعملوا بالريفاينري [مصنع على خليج حيفا]، ويجوا يحكوا". وأضافت (ل. خ.) من مجد الكروم: "قالي أبوي بدكوا اتشّملوا [التوجه شمالا نحو لبنان]، [...] خايفين لليهود تعمل اشي [...] قال واحد منهن بدنا انشمل. بدي اخذ اختي معاي [...] اذا بصير اشي هون[...] هأمن لي اطلع، اجو اخذوني". وتقول (ش. ن.) من حيفا في ذلك أيضا: "بالـ ٤٨ احتلت [...] أجت جارتنا بتقول لأبوي لا تخلي البنات هون هذول اصغار وبفهموش يقوم حدا ايطب عليكوا يقتلوكوا، من الثوار اليهود. [...] قبل ما تحتل إسرائيل بـ ٨ أيام كنا بلبنان. أبوي ضل هون اجت جارتنا أخذتنا احنا الثنتين عند أخوي بلبنان [...] خافت علينا [...] وأبوي أبوي ما قبلش يطلع من البيت، انزلنا عالميناء ركبنا المعونة لعكا [...] المعونة يعني سفينة صغيرة، بعدين من عكا اخذونا بالاوتومبيلات [السيارات] [...] ع لبنان".

محاولات العودة

تؤكد عدة مصادر تاريخية وجود مخططات لتهجير العرب الفلسطينيين من أرضهم، كان كبار الزعماء الصهاينة قد طرحوها مثل بن غوريون بنفسه في العام ١٩٣٧. هذا الأمر تطرق له أيضا بعض المؤرخين الجدد اليهود في كتاباتهم، كما فعل بني موريس في كتابه "تصحيح خطا" (٢٠٠٠) والذي اقتبس فيه أقوال لبن غوريون بالاتجاه ذاته. رغم ذلك، فالسؤال هل هُجر (بضم الهاء) الفلسطينيون أم هربوا ليست موقع نقاش هنا، فسواء هُجر الفلسطينيون أم هربوا أم دفعوا الى الهرب خوفا على حياتهم وأعراضهم كما تؤكد دراسات عدة (انظر بهذا الأمر حليم وضو، ١٩٦٨). فان الامر الذي يقف في مركز النقاش هو أن للفلسطينيين الحق أن يعودوا حسب القانون الدولي، الأمر الذي ترفضه حتى الآن حكومات إسرائيل المتتالية.

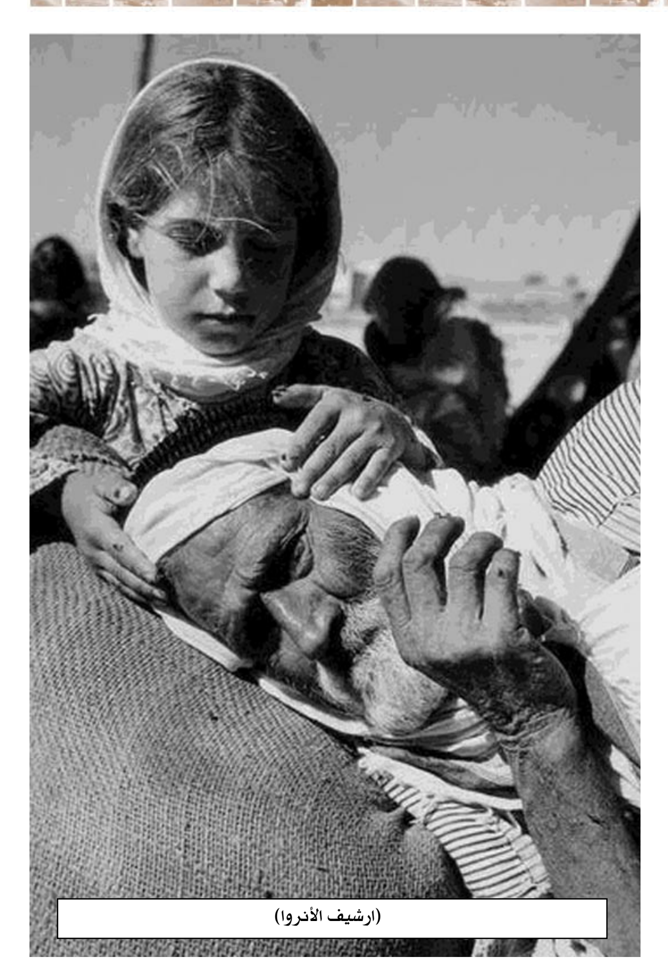
عن محاصرة البلدات العربية في العام ١٩٤٨ وإرغام السكان على الخروج بالقوة، نجد في أقوال (ب. ح.) تصف ما حدث في البروة: "رجعت البروة ،عرفت اليهود اجت تركض جابوا جيش كثير واحتلوا البروة طوقوها من جميع النواحي خلوا محل يطلعوا للشرق وهجتّ الناس كلها [...] وهدوها للبلد كلها نسفوها ماخلوش فيها اشي الا الكنيسة".

إن تجربة التهجير القاسية قابلتها تجربة لا تقل قساوة ومعانة، تمثلت في محاولات العودة في الأيام والأسابيع والأشهر الأولى التي تلت النكبة والتي كانت تلقى القمع والإبعاد ثانية عبر الحدود. وذلك بعد ان قامت إسرائيل بتعداد السكان خلال هذه الفترة وتعاملت مع كل من وجد خارج حدودها التي حددتها لنفسها، على انه غير صاحب حق في العودة. وتعاملت مع أولئك اللذين أرادوا الرجوع لبيوتهم وعائلاتهم على أنهم "متسللين غير شرعيين" وقامت بالقبض عليهم وإلقاؤهم مجددا عبر الحدود. هذه التجربة عانت منها نساء كما رجال. شملت هذه المعاناة صعوبات جسدية ونفسية. عن ذلك في حديث (ش. ن.) التي كانت في حينها في الثامنة عشرة من عمرها تقريبا، والتي تحدثت عن المشقة والصعوبات التي واجهت النساء ممن قررن العودة مشيا على الإقدام حتى تجرحت أرجلهن. كما وتحدثت عن مشقة وعناء السير في الطريق الوعرة والجبلية كل ذلك رغبة في الالتقاء بالأهل بعد أن تشردت العائلات وتفرقت بعضها في لبنان بعضها في الداخل بعضها في الاردن أو غيره. "انا لما جيت من لبنان جيت تهريب. ما جيتش طلب رسمي [...] وحدي سيدة جابتني [...] قالتلي تروحي ع حيفا قلتهلا اه. قالتلي حضري حالك الساعة ١٢ بالليل باجي باخذك بزمرلك وبتنزلي [...] كان في معها ناس جايبتهن. كانت اتهرب ناس من لبنان لحيفا [...] هربتني [...] جينا طريق الجبال. هيك ع اجرينا طلعنا الساعة ١٢ بالليل بالجبال مشي [...] في معنا واحد دليل من الرميش توصلونا لواد تبع فسوطة ولا إجا بعت مختار فسوطة حدا قاله روح شوف اذا حدا جاي من لبنان تخليهوش ايفوت عالبلد. البلد كلها مطوقة ، ما فتناش ضلينا قاعدين من الساعة ٦ الصبح للساعة ٨ بالليل، نستنى كلام من المختار انه اجت التكسيات تاخذنا كنا يمكن ٢٠ واحد تقريبا ضلينا تعتمت الدنيا بعدين بعت مختار فسوطة قله روح قلهن يجوا من ورا البلد الاوتومبيلات هناك بتستناهن ما ايفوتوش عالبلد. انا الدم كان ينزل من اجري، ما وصلنا حيفا الا هي ١٢ باليل [...] اجا علي فساد [...] ثاني جمعة صار طوق. طوقوا وادي النسناس ولموا كل الي اجو من لبنان [...] كانوا سبيل لابسين]مدني[. بس ايفوتوا عالبيوت يحكو عبراني [...] اجو مسكوني واخذوني وحطوني بالاوتومبيل، كنا كثيرين، بيجي ٤–٥ أتومبيلات لموّنا ونزلونا، نسوان وولاد، كمان، صغار يطلعوهن ما تفرقش معهن، بصمونا بالعشرة بالأسود انه بدهن يرمونا ع الحدود [...] حملونا بالسيارات ونزلونا ع دايرة البوليس تبعت عكا، قعدوا وصاروا ايقولوا خليهن للصبح عالصبح امنرميهن [...] كنا بالاوتومبيلات بدهن يرمونا، ما نيموناش".

وقالت (هـ.ك.): "مرات ايطوقوا البلد داير ما يندار ايفوتوا ايفتشوا، اشي يزقطوه ايرجعوه واشي يتخبى، يكبوهن ع حدود لبنان يبرموا ويعاودوا يرجعوا نفس الليلة [...] مات من قرية شعب ٧ بمية الغور بالشتا كبوهن ولزقوا بالوحلة ضلوا محلهن بال ٤٨ كله".

هذه الأقوال إضافة لما تحمله من عبىء ومعانة إنما تدل أيضا على الرغبة في العودة وعدم الكلل من المحاولة. كما وتبين أن النساء كن بين العائدين ونظمن حملات العودة مخترقات الحواجز والحدود التي فرضتها إسرائيل.

هذه القصص إنما تؤكد لنا مجددا كيف تعيش الحقيقة وتحيى في ذاكرة البشر وكيف يتحول الوطن الى رواية، رواية تبقى حية في أذهان الناس الذين يحملونها معهم ويعيشونها يوما بيوم ولحظة بلحظة. هذا الأمر يؤكد لنا أيضا انه لا مكان لفصل الشخصي عن العام والخاص عن السياسي، خاصة في ظروف الاحتلال والمعاناة. حيث تتشابك القصص الشخصية بالعامة. وتدل كيف يتحول البيت الى وطن ويصبح الدفاع عنه دفاعا عن الوطن بأكمله. هكذا تصير الرواية الشخصية رواية جميع الفلسطينيين، وتكون معانة العائلة الفلسطينية نموذجا لمعاناة الشعب بأكمله، وكذلك تجربة الصمود والمقاومة ومحاولات العودة الفردية تكون نموذجا لحق العودة الجماعي.


(ارشيف الأنروا)

هذه النساء التي استذكرتها في هذه المقالة وأخريات ممن لم تحظ قصصهن أن تدخل التاريخ المكتوب، تجد لها طريقا من خلال الأحاديث واستذكار التاريخ بما يحمله من صعوبات، وتلقى لها منصة مؤخرا عبر مشاريع التأريخ الشفوي المعني عادة بقصص الحياة وبقصص الشعب والفلاحين والنساء ضمنهم وليس النخب فقط، وأيضا من خلال أبحاث المعنية بإسماع صوت النساء وإعادة حضورهن كجزء من هذا التاريخ وليس كبعض هوامشه.

لقد عاشت النساء الفلسطينيات أهوال الانتداب الاستعماري ومن ثم النكبة، على المستوى الفردي كما الجماعي، فعانين وقاومن وصمدن وكن شريكات في الهم والمعاناة كما في النضال والمقاومة، وفي محاولات العودة وتنظيمها، وشكلن بذلك نموذجا يقتدى لأجيال قادمة من النساء، وصارت قصصهن الصغيرة الشخصية قصصا تستحق أن نتذكرها وان ننقلها حيث تبني بتجميعها معا جزءا مهما من الرواية الجماعية، لا يمكن أن نتجاهلها أو ننساها. قصص تعطينا بتجميعها الصورة الكاملة.

مراجع

جاد، إصلاح. (١٩٩٨). "التأريخ المنسي من يتذكر أدوار النساء في السياسية". داخل: زمن النساء والذاكرة البديلة. القاهرة: ملتقى المرأة والذاكرة. ص، ٣١٥–٣٢٩.

الخليلي، علي. (١٩٧٧). *المرأة الفلسطينية والثورة: دراسة اجتماعية ميدانية تحليلية*. بيروت: مركزالابحاث.

زعيتر، أكرم. (١٩٨٠). *الحركة الوطنية الفلسطينية* ١٩٣٩–١٩٣٥. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

طوبي، أسمى. (١٩٦٦). عبير ومجد. بيروت: مطبعة قلفاط.

موريس، بني. (٢٠٠٠). تصحيح *خطأ: عرب ويهود بأرض–إسرائيل*، ١٩٥٦–١٩٣٦ . تل أبيب: عام عوفيد. [بالعبرية]

موريس، بني. (٢٠٠٣). *ضحايا: تاريخ الصراع الصهيوني–العربي*، ٢٠٠١–١٨٨١ . تل أبيب: عام عوفيد. [بالعبرية]

* تم تغيير أسماء النساء في هذه المقالة للحفاظ على السرية المطلوبة، ما عدا في حالة الناشطة السياسية السيدة سميرة خوري، الاسماء الاصلية محفوظة لدى الكاتبة .

جنان عبده- مخول هي باحثة وناشطة في مجال العمل الجماهيري تعنى بشؤون الحركة النسوية الفلسطينية. تقيم في حيفا.

أم الزينات والرمز الأخضر

بقلم: سلمان ناطور

دخل الزير ابن المهلهل على ظهر السبع، ولم يجرؤ أحد على أكل حمير العرب.

الشارع المنفلت من دالية الكرمل شرقا يقطع مساحة شاسعة من كروم الزيتون. يصعب عليك أن تتصور أن في هذه المنطقة كانت قريتان : الريحانية وأم الزينات. تنحرف يسارا على مسرب وعري بحثا عن أثر لبيوت من حجر، لكنك تضيع بين أشجار الصنوبر التي غرستها "الكيرن كييمت" بعد أن وصلت جرافات الجيش وقلبت الأرض في حزيران من ذلك العام الأسود، وإذا عاد أهلها المشردون في مخيم جنين وكل بقاع الأرض، ليشاهدوا ما تبقى من قريتهم، فلن يجدوا سوى أشجار الصنوبر، الرمز الأخضر لتحويل "صحراء فلسطين القاحلة!!" الى كروم، وأحراش كمهمة وطنية قام بها طلائعيو "الهجرة الاولى والثانية والعاشرة "!

قال الشيخ مشقق الوجه الذي نتحدث عنه : " نشفوا الميّ. كانت حفنة من مية بير الناطف تطول العمر عشر سنين، خفا الله راح البير". هل يأتي يوم ويشرب ثانية من ماء بير الناطف؟ كم كانت هذه الأمنية فاتحة حديث طويل معه، ينتهي بأكثر من حفنة ماء، وبأكثر من بئر، وبأكثر من كرم زيتون، خصوصا وأن حكاية هذا البئر ترتبط بالزير ابن المهلهل، أكثر بكثير مما يرتبط به أكراد مستوطنة " عين عيمق " الذين يحرثون الأرض ويفلحونها كمن يفلح أرضه "أبا عن جد"، دون خجل أو حياء.

قلب الشيخ مشقق الوجه حبات المسبحة بأنامله التي أصابتها رجفة خفيفة اشتدت كلما إحمرّ وجهه وقطب جبينه كأنه يحاول أن يفجر قذيفة من الغضب، لكنه عدل وانفرجت أساريره وواصل حديثه بهدوء وروية. يحكى، على ذمة الراوي، أن الزير بنى على بير الناطف قصرا من رؤوس السباع التي انتشرت في المنطقة، وقيل أنه عندما نزل مرة ليشرب من ماء البئر وجد السبع نائما، فأراد له أن يواصل نومه، فتركه ريثما يستيقظ ويهجم عليه، وعندها يشهر الزير سيفه ويقطع عنقه، لكن السبع غدره، فافترس حماره، وقرر الزير أن ينتقم منه، فأمسك به وربطه وعبأ قربة ماء، ووضعها على ظهر السبع، وركبه هو أيضا حتى أثقل عليه وهو يردد :

اللي بدو يأكل حمير العرب بدو يزازي تحت القرب

ودخل أم الزينات مكرما معززا على ظهر السبع، فتعلم أهلها منه درسا في الشجاعة، حتى أنهم نظفوا المنطقة كلها من السباع. ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد على أكل حمير العرب.. الى أن جاء والتهمهم لقمة سائغة هم وحميرهم.

أبو زيدان الشوشاري يتحدى أهل الطيرة وينتصر لأهل الدالية في طوشة عين الشمالية

الحديث عن الزير ابن المهلهل يرتبط على لسان الشيخ بالحديث عن أبي زيدان الشوشاري. "كان زلمه شجاع وتحدى أهل الطيره! كانوا يحترموه فوق ما تتصور. مرة إتهموا أهل الدالية بقتل زلمه من دار الماضي، أهل الطيره هجموا على الداليه، يومها كان أبو زيدان خيال الحصان نازل في الداليه، وقعت الطوشه عند عين الشماليه، وولع ضرب الدمش، وراحوا ياكلوها أهل الداليه لولا أبو زيدان، خلع الحطة عن راسه وضربها في الارض وصاح :– باطل! أنا أبو زيدان!

أهل الطيره وقفوا في وجهه ولما رأوه قالوا : هاي كل أهل أم الزينات فازعين للداليه. تركوا المنطقة ورجعوا".

هكذا كان أبو زيدان الشوشاري، شخصية معروفة في أم الزينات، "كان واحد من هالناس البسطاء، كريم وبيته مفتوح، خيال الحصان، ويوم أن ولد ابنه زيدان أهداه أهل الداليه كل أراضي وادي الملح، ويوم عرس أولاد الشوشاري حضر كل أهالي المنطقة، من المي للمي، ومن عرب الصقر للبحر". فمن يعرف عن أبي زيدان الشوشاري؟ ومن يعرف أولاد أبي زيدان؟ ربما أنهم في جنين وربما أنهم في سوريا وربما انهم خلف البحار والمحيطات. لماذا لا يسألون عن الشيخ الذي نتحدث عنه وهو يتحدث عنهم في كل مكان وفي كل مناسبة؟

طلب منا الشيخ أن نبلغهم تحياته، أن يكتبوا إليه. انه يريد أن يتعرف عليهم بعد هذا الفراق الطويل. كان صديقا حميما لوالدهم. أكتبوا إليه. سيذكركم وستذكرونه، على الرغم من الشقوق التي تقطع وجهه طولا وعرضا.

صدقنا وما صدقنا... لحتى شفنا في عينينا قلنا منعرفهم من يكنعام

"كأننا كنا نستعد للرحيل".. قال الشيخ الذي نتحدث عنه. أم الزينات كانت كل عمرها مهددة بالتشريد. من أيام تركيا ومن أيام الانجليز وحتى تلك الايام السوداء. وصلت فرقة مجهزة بكامل عتادها، وحاصرت البلد على ثلاث جهات. تركوا الجهة الشمالية للهجيج، "وبلشوا سلخ رصاص.. .على اللي رايح وعلى اللي جاي، عن جنب وطرف كنت تشوف رصاصهم يزخ علينا مثل المطر. "بعد يومين دخلوا القرية، وأقاموا مقر للقيادة على البيادر، ودارت مجموعة في شوارع القرية تنادي :– يا عالم! يا ناس! كل واحد يسلم ويطلع على البيادر.

لم يستطع الشيخ الذي نتحدث عنه أن يواصل حديثه دون أن يتوقف هنيهة، كأنه يحاول أن يتذكر كل كبيرة وصغيرة، كأن الشريط الذي كان يلف ويدور في ذاكرته احتاج الى "مونتاج" لتنظيم المقاطع والمشاهد كي يصعد الحدث الدرامي الى حالة التوتر، كأنه فنان يريد أن يكون صادقا، أن يعيش، ولو للمرة الآلف، الحدث الذي يصوره، من تلك الايام.. والساعات المعدودة التي تقابلت فيها البواريد الطليانية المبردة بالمترليوز الانجليزي... كانت أخبار دير ياسين والطنطورة قد وصلت الى أم الزينات.

– كنا نسمع عن اليهود أنهم بيقتلوا الأطفال وبيبعجوا المرأه الحبلى بالسكين... ما بقي في راسنا عقل لما شفنا أول واحد منهم حامل بارودته وبيقطع شوارع بلدنا... ما بقي في راسنا عقل، صدقنا وما صدقنا... كنا نقول منعرفهم من حيفا، من يكنعام، يوم يوم عايشين معهم، ما صدقناش، لحتى شفنا في عيننا..

كان الضابط لطيفا لدرجة أنه ترك له حق الخيار : الموت أو خربة أم الدرج

كان مختار البلد، يوسف العيسى، جالسا في بيته. دخل عليه جندي وطلب منه أن يمثل أمام القائد ليسلم القرية. أخرجه من بيته وهو يحمل "الشرشوح، ملحفة بيضة على عراط طويل" ويقطع الطريق الى البيادر ليقابل حضرة الضابط يهودا من " يكنعام " الكمبانية التي تبعد عن القرية اربعة كيلومترات. لم يشفع له أنه يعرفه من قبل وأن حق الجيرة على الأقل يتطلب من يهودا أن يحترم جاره القريب في هذه الظروف الصعبة التي " أصبح فيها رأس مال الزلمة فشكة مصدية"

قال له : أنا بصفتي مختار البلد، مسؤول عنها.فسأله الضابط يهودا : وأين أهل البلد؟

فأجاب: أنا أهل البلد شو بدك مني؟

فقال الضابط : بدي اياهم ييجوا على البيادر، روح صيح يطلعوا على البيادر.

فمشى المختار والى جانبه ثلاثة من الجنود هو يصيح :

– يا أهل البلد اطلعوا سلموا على البيادر!

وكان معظم الاهالي اكتشفوا "باب الجهة الشمالية المفتوح" فحملوا ما استطاعوا حمله ونزحوا.

سأل الضابط المختار:

– البلد كبيره. وين باقي الناس؟

وكشف له المختار أن "الناس خافت من القواس فهربت في انصاص الليالي". وطلب من الضابط، بحق الجيرة، والمعرفة القديمة، والخبز والملح أن لا يهجر من بقي في القرية، لكن "الضابط ملعون، بده يزيح الناس "، فقال له: "لا أستطيع أن أبقيك، لأنني لا أحمل الأوامر بأن أبقيك هنا".

كان الضابط يهودا من يكنعام "لطيفا وانسانيا"، فلم يجبره على الخروج من الجهة الشمالية، كان لطيفا لدرجة أنه ترك له حق الخيار " لأي جهة بدك تروح ". واختار يوسف العيسى.. خربة أم الدرج. "بعد دقائق سمعنا طلقات رصاص، عن مسافة كيلومتر.. ثم دخلت فرقة، وين ما شافوا واحد، قوسوه، قتلوا أربعة، واحد أجوا عليه وهو نايم في الفرشة واللحاف. قوسوه.. متزوج وعنده أولاد.. اسمه محمد السليم الحردان. "

قديش بابنا عالي؟ ما كنش يفوت منه. القول إنهم ذبحوه بالسكين

إسماعيل العرف "كان زلمه جهام، وكان يملك دارين، واحدة في أم الزينات وواحده خارجها". من يعرف أين إسماعيل العرف، وفي أي دار يسكن، في أم الزينات أو خارجها؟ هدموا بيته الأول وهدموا بيته الثاني. بينما كان في طريقه الى "العزبة"، أوقفته مجموعة من الجنود، على مسافة أكم متر من القرية، كان شاب مهزوم من البلد ومتخبي في جب سريس. سمعهم بيسألوه : "وين رايح؟ قال لهم: رايح على العزبة أطل عليها! قوسوه، وقتلوه، جثته مدفونة في السنسله". الحج عبد الغني كان أغنى رجل في أم الزينات. كان يبلغ الثمانين من عمره. بينما جلس في بيته وحيدا، دخلوا عليه، فاستقبلهم كما تعود أن يستقبل الضيوف. تفضلوا!

– ماذا تفعل هنا؟

– هذا محلي. تفضلوا اشربوا قهوه.

ويقول الشيخ الذي نتحدث عنه، على ذمة الراوي، أنهم تفضلوا وشربوا القهوة... وقوّسوه وقتلوه. وخرجوا من بيته، ودخلوا دار الشيخ يوسف، وكان في البيت شاب " شو شاب، زلمه قديش بابنا عالي، ما كانش يفوت من هالباب، كان يشتغل في الاي. بي. سي. فتشوه فوجدوا معه دفتر تسجيل. فأخرجوه من البيت وأخذوه الى الزيتون، وهناك قتلوه. والقول أنهم ذبحوه بالسكين ".

كانوا سبعة شبان خرج واحد من دار بشير.. ورجع يصيح : " الأولاد مقتلين في خبيزه "

قبل أن تسقط أم الزينات، خرج خمسة رجال مع زوجاتهم الى أم الفحم وعارة هربا من الموت. حملوا جملا بالطحين وما استطاعوا أن يحمّلوا شيئا من عفش البيت وعبروا عند " مربط خبيزة "على الطريق أنضم اليهم شابان هربا من الطيره. لم يعرفوا أن هناك من ينتظرهم، كانوا " ماشين وعندهم الله واحد "، فطوقوهم، وصاحوا بهم:



الخلصة، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٨.

كرنب، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٨.

الزويرا، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٨.

كانون الاول ١٩٤٨

ابو ستة/غوالي/الترابين، قضاء بئر السبع، ١٣٣٥ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو الحسين/غوالي/الترابين/قضاء بئر السبع، ١٧٠٥ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو شالهوب/غوالي/الترابين، قضاء بئر السبع، ٥٢١ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو ختلة/غوالي/ الترابين، قضاء بئر السبع، ٣٩٩ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو بركة/غوالي/الترابين، قضاء بئر السبع، ٢٠٣ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو عمرة/غوالي/الترابين، قضاء بئر السبع، ٨٦٦ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

الزراي/غوالي/الترابين، قشاء بئر السبع، ٤٧٩٣ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

العمور/غوالي/الترابين، قضاء بئر السبع، ٧٤٥ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

وحيدات/الترابين/الترابين، قضاء بئر السبع، ٩٥٢ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو معيلق/حسنات/الترابين، قضاء بئر السبع، ٩٩١ نسمة،
هجرت في ٥ كانون الاول ١٩٤٨.

أبو مدين/حناجرة، قضاء بئر السبع، ٢,٨٨٧ نسمة،
هجرت في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٨.

الظواهرة/حناجرة، قضاء بئر السبع، ٩٣٨ نسمة،
هجرت في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٨.

السميري/حناجرة، قضاء بئر السبع، ١٥٢٨ نسمة،
هجرت في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٨.

النصيرات/حناجرة، قضاء بئر السبع، ٢٢٤٦ نسمة،
هجرت في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٨.

عرب عسلوج، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ٢٦ كانون الاول ١٩٤٨.

عرب عوجة الحفير، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ٢٧ كانون الاول ١٩٤٨.

شباط ١٩٤٩

كفر عنان، قضاء عكا، ٤١٨ نسمة،
هجرت في ١ شباط ١٩٤٩.

الفرادية، قضاء صفد، ٧٧٧ نسمة،
هجرت في ١ شباط ١٩٤٩.

آذار ١٩٤٩

عراق المنشية، قضاء غزة، ٢٣٣٢ نسمة،
هجرت في ١ آذار ١٩٤٩.

الفالوجة، قضاء غزة، ٤١٧,٥ نسمة،
هجرت في ١ آذار ١٩٤٩.

عرب غمر، قضاء السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ٥ آذار ١٩٤٩.

أم الرشراش، قضاء بئر السبع، ٤٦ نسمة،
هجرت في ١٠ آذار ١٩٤٩.

المصدر: سلمان ابو سته، سجل النكبة ١٩٤٨، سجل القرى والمدن التى احتلت وطرد اهلها أثناء الغزو الصهيوني عام ١٩٤٨ في الذكرى الخمسين للنكبة. لندن: مركز العودة الفلسطيني، ١٩٩٨



مسيرة العودة إلى قرية أم الزينات، أيار ٢٠٠٦(تصوير: جمعية الدفاع عن حقوق المهجرين)

"وقفوا. ارفعوا ايديكم. سلموا!"

هجم عليهم حوالي عشرة جنود، وأخذوا يفتشونهم. كانت بنت المختار تلبس شالا من الحرير، ولما مد الجندي يده الى زنارها سقطت أوراق فلسطينية، قالوا للبنت : هاتي المصاري اللي معك.

نفضت الزنار، فسقطت " المصاري " أكثر من ألف ورقة فلسطينية. سألوا البنات: لوين رايحين؟

وفتشوا الجمل. فوجدوا شوال طحين و "قرطومة" فشك انجليزي وسلاح "بيك".

أمروا النساء بان يتابعن طريقهن الى أم الفحم، وأمروا الرجال بأن يقفوا صفا واحدا. كانوا سبعة شبان : يوسف أبو مهارج، عادل الحسين الدبور، حسين رجا فحماوي، حافظ عبدالله فحماوي، صبري كيوان فحماوي واثنان من الطيرة لم يعرف اسمهما الشيخ الذي نتحدث عنه.

كان واحد من بلدنا من دار بشير.. زلمه فش اثبت منه.. خرج من أم الزينات ومشى على طريق خبيزه... على البيادر شاف جثث الشباب ملقحه على الأرض، عرفهم واحد واحد.. صبري وعادل وحافظ... رجع الى البلد يصيح :"الأولاد مقتلين في خبيزه... الأولاد مقتلين في خبيزه.."

قصة أم الزينات لم تنته عند بيادر "خبيزه" فبعد أن اكتشف أهلها أن هذه البيادر تحولت الى مسلخ.. "يقتل فيها الرجال كما يقتل الذباب..." حولوا اتجاههم الى دالية الكرمل بحثا عن ملجأ ولكن لحقوا بهم الى هناك، ولم يكن تشريدهم ممكنا إلا بخديعة.

قالوا لهم: كل واحد يريد أن يسافر الى " حي العرب "، يسجل اسمه وأغراضه ونحن نوصله الى منطقة جنين. أحضروا لهم الباصات والشاحنات، فركبوا باصات اليهود حافين عريانين وحملوا أغراضهم على الشاحنات. "وعند مفرق المنصوره تابعت الشاحنات طريقها الى حيفا وأوقفوا الباصات وأمروهم كل واحد ينزل بثيابه. النسوان والأطفال أوصلوهم الى اللجون. وأخذوا كل الرجال من فوق ١٤ سنة الى معتقل عتليت. وهناك أمضوا ٨ أشهر حفيانين عريانين. كل ٣٠ زلمه في غرفه. كانوا كلهم طبقة واحدة. ما فرقوش بين غني وفقير، ولا بين متدين وجاهل، ولا بين وجيه وقطروز، اللي كان يقاومهم واللي كان يتآمر معاهم، عاملوه نفس المعامله. ما رحموا حد، وبعد ٨ أشهر رموهم عند الحدود.. حتى بعد ما هدموا البلد، ظلت دورياتهم تحرس المنطقه، مرة راح زلمه عاجز، عمره خفا الله يا ربي ٧٠ سنه، راح على البلد ليحوش صبر، كان راكب على الحمار، لحقته سيارة جيش لعند سيح الحج.. ولما مسكوه قوسوه ورموه على الارض... هيك بدون سبب... بعد ما مسحوا وشردوا أهاليها.. بدهمش أم الزينات تكون واقفه.. بدهمش يكون الها أثر.. زرعوا الارض شجر صنوبر.. حتى ما حد يعرف أنه كان في قريه اسمها أم الزينات...

مرة في موظف سأل ابني هذا، لما كان صغير (أشار بيده الى ابنه الذي تجاوز الخمسين عاما، وجلس صاغيا لم ينبس بكلمة) :

– من فين انت يا ولد؟

أجابه : أنا من أم الزينات..

فقال الموظف : والضراطه.

فأجابه الطفل : والضراطة منك ومن أمك وأبوك وحكومتك واللي جابك على هالبلاد.

ابتسم ابنه وقال: والله العظيم صارت معي، وذكر اسم الموظف.

الكاتب سلمان ناطور هو مدير معهد إميل توما للدراسات الفلسطينية والإسرائيلية في حيفا. وهو محرر مجلة "قضايا إسرائيلية" التي تصدر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار). لناطور أكثر من ثلاثين عمل قصصي ومسرحي وروائي ونقدي.


تكتل الجمعيات والهيئات الأهلية اللبنانية نموذجاً

نحو تعزيز دور الجمعيات والهيئات الأهلية في دعم النضال الشعبي

بقلم: د. حيدر دقماق

كل مجتمع يقوم بدوره في مواجهة استحقاقاته المصيرية، أفراداً وجماعات، يتفاوت حجم هذا الدور بين بلد وآخر، بين جهة وأخرى، بين تنظيم وآخر، بين شكل نضالي وآخر، إن كان سياسياً، جماهيرياً أم مطلبياً. أما في الوطن العربي، فلم يلعب المجتمع الأهلي دوراً مميزاً إبان الأزمات الداخلية والخارجية التي عايشها ومر بها، بل كان دوره يعكس الواقع العربي رسمياً وشعبياً بكل تعقيداته وتناقضاته وتداخلاته وتشابكاته، وطبيعة العلاقات التي تحكم وتتحكم فيه.

لقد غُيب دور المجتمع الأهلي عن العمل والعطاء خلال العقود الماضية، بفعل العلاقات السياسية القائمة في بلادنا، وبسبب ضعف هيئاته عن القيام بدورها، لعدم تنظيمها، وقلة إيمانها بجدوى هكذا عمل وبحكم ارتباطاتها وطبيعة الأزمات التي أبعدتها عن الدخول في معمعان الصراع الاساسي. لكن بعد سلسلة الهزائم الرسمية، وتردي أوضاع السلطات الحاكمة ووصولها الى حالة مزرية وميؤوس منها، ووضع سياسي غير رسمي ممثلاً بالأحزاب والقوى السياسية التي باتت تجتر ذاتها وتروراح مكانها، أصبح لزاماً على قوى المجتمع الأهلي أن تأخذ دورها الطبيعي وتمارسه على أكمل وجه وحسبما يمليه الواجب وتحتمها المسؤولية الملقاة على عاتقها في دعم حركة المقاومة والممانعة الشعبية التي أفرزتها حركة شعبنا الحيوية خاصة في لبنان وفلسطين والعراق وعلى امتداد الوطن العربي. لذلك فإن الجمعيات والهيئات الثقافية، الاجتماعية، الخدماتية، المنظمات الشبابية، والتنظيمات القاعدية المهنية والنقابية، أي ما يشكل المجتمع الأهلي، يمثلون الحواضن الأكثر دفئاً للقوى الناشطة، التي تحمل هموم وقضايا الوطن والمجتمع والفئات الشعبية فيه، لأنها الإنعكاس المباشر والأكثر تمثيلاً لها، وهي تعبير صادق عن طموحات الجماهير في تحقيق أهدافها لأنها لم تفرض من السلطات الحاكمة التي لا تمثل سلطات الشعب من قريب أو بعيد، ولم تلقح من جهات أجنبية مشبوهة أهدافها ونواياها ومشكوك في برامجها ومساعداتها. وفي ظل هذا الواقع وفي حضن هذه التجمعات نشطت القوى المناهضة للاحتلال الصهيوني.

وتميزت هذه التنظيمات القاعدية، بإلتزامها الحسي الشعبي، وكانت ضميره بإمتياز، وهي ترى شرعية أي عمل في مدى قربه من فلسطين والقدس، خلافاً للأنظمة العربية التي تخلت عن هذه الشرعية رسمياً، بعدما زايدت بها خلال خمسة عقود، وأصبحت شرعيتها الجديدة تتمثل في التقارب مع "إسرائيل" وتسهيل التطبيع معها إرضاءً لرغبات السيد الأميركي، وأيضاً الأحزاب الرسمية الكبرى أصبحت شرعيتها في تماثلها مع شعارات ترضي الدول الراعية والداعمة. إذن تتميز الجمعيات والهيئات الأهلية بمصداقيتها ومصداقية ناشطيها، الذين إلتزموا قضايا امتهم الوطنية والقومية دون تنازلات أو تحريفات، كما أنهم حافظوا على طهارتهم أمام الناس، نتيجة عدم مقايضتهم المواقف المبدئية بمواقع ومكافآت، ما يعزز الثقة هو التوازن بين الأفكار والممارسة أي النتائج المرجوة لما يطرح من برامج ومشاريع.

إن إلتزام هذه البنى الحيوية بقضايا الأمة، يعزز الأمن فيها بأن تكون المكان المناسب لثقة الفئات الشعبية، ومن هنا أهمية الصلابة السياسية لهذه التجمعات والصدقية في العمل المباشر لدعم القضايا الأساسية للأمة.

تأطير الجمعيات والهيئات الأهلية بأطر محلية وقطرية

يسهُل على الجمعيات والهيئات الأهلية أن تلتقي في إطار عمل، يحمل عنوان المقاومة والإنتفاضة، على أساس أنه يشكل أرضية مشتركة، دون أن تتخلى عن برامجها الخاصة، أو عن إنضمامها إلى تجمعات أخرى في مجالات إجتماعية، ثقافية أو إقتصادية. ومن الأفضل أن تكون الهيكلية التنظيمية بسيطة وغير معقدة في تركيبها التنظيمي والاداري، مثلاً أن ينشأ أمانة سر، تتجدد كل عام بالعناصر الأكثر حماسة وفعالية، وأن يعتمد الأسلوب الديموقراطي التشاوري الواسع، لتكريس روح المشاركة والتفاعل. وبحال تعدد التكتلات المحلية، يمكن العمل على إيجاد صيغ تشابك لتنسيق وتوحيد الجهد مع الحفاظ على الخصوصية والإستقلالية الإدارية والتنظيمية.

ميثاق العمل الأهلي

على إعتبار أن أخطر أسلحة الغزاة هو سلاح "الأفكار والثقافة" حيث نرى الغزاة يحركون جيشاً إيديولوجياً منظماً لضرب ثوابت الأمة، وقد تم فعلياً إختراق الإعلام ومناهج التربية، والسلوك والمفردات السياسية والثقافية، ويتم ملاءمتها مع المشروع النيو كولونيالي. وللأسف نجد في الأنظمة الرسمية، وبعض قطاعات ما يسمى بالمجتمع المدني حواضن وحوامل لهذا المخطط. يحاولون أن يشتتوا أولويات الأمة بالغزو الثقافي، لتضيع في متاهات جنس الملائكة أو البيضة والدجاجة. لذلك من واجب الهيئات الأهلية وفعالياتها، أن تعمل على صيانة خطاب ثقافي يجمع شتات الأمة، صياغة ميثاق ثقافي مقاوم، ليكون أساساً لبرامج العمل الأهلي، يحدد الأولويات والآليات التي تنتهجها لمجابهة الغزوة الثقافية الإمبرالية وأدواتها.

برامج مستمرة

الجمعيات والهيئات الأهلية بحكم تكوينها وإمتدادها الأفقي في النسيج الإجتماعي، قادرة على حمل مشاريع متعددة ومستمرة بهدف إبقاء شعلة الوعي متقدة وبذور الخير والعطاء زاهرة:

أ- إحياء نشاطات ترمز إلى قضايا المقاومة والصمود بشكل مستمر وعلى مدار السنة وفي مختلف القطاعات الإجتماعية والمهنية والشبابية (أسبوع مناهضة جدار الفصل العنصري، حملة دعم المسجد الأقصى والمقدسات، إحياء ذكرى المعارك الرمزية، حق العودة، دعم حقوق الإنسان في فلسطين، قضية الأسرى والمعتقلين، قضايا المرآة والطفل...).

ب- تبني مشاريع لها قيمة معنوية، تهدف إلى تنشيط الجمعيات والهيئات الأهلية وزيادة التلاحم بينها، وأن بقى على صلة مع الناس بشكل مؤثر وميسر (مشروع زراعة الأشجار في فلسطين، مشروع شد الرحال إلى المسجد الأقصى، ومشاريع مشابهة لها رمزية لدى ضمير المواطن العربي.

تشبيك الجمعيات والهيئات الأهلية العربية

ضرورة أن تتعارف الجمعيات والهيئات الأهلية العربية بعضها على بعض، تنسق جهودها وتحشد امكاناتها وتتعاون في ما بينها وتتبادل خبراتها، إن داخل القطر الواحد، أو في الوطن الكبير، أو على إمتداد الجاليات العربية في المهاجر. وعليها أن تتبنى ميثاق العمل الأهلي، وتساهم في إعادة الإعتبار للتاريخ والتراث النضالي للأمة، هذا من الجانب التعبوي. أما من الجهة العملية، عليها أن تتبنى المشاريع التنفيذية لدعم مسيرة النضال والصمود من خلال إعتماد المشاريع المدروسة والموثقة من قبل مؤسسات العمل المقدسي والفلسطيني والخيري الإسلامي والوطني (مؤسسة القدس، مؤسسة شهيد فلسطين، إئتلاف الخير، الجمعيات العاملة من أجل القدس).

النموذج اللبناني: تكتل الجمعيات والهيئات الأهلية اللبنانية لدعم المقاومة والأنتفاضة

مع تصاعد التهديدات بإقتحام المسجد الأقصى من قبل العصابات الصهيونية، خاصة منظمة أمناء الهيكل في آيار من العام ٢٠٠٥، تداعت جمعيات أهلية لبنانية، تدعو إلى مواجهة إحتمالات الخطر على القدس والمسجد الأقصى، وتم تشكيل تكتل للجمعيات والهيئات الأهلية هدفه دعم المقاومة والإنتفاضة، وحشد القوى الشعبية للدفاع عن الأقصى والمقدسات الاسلامية والمسيحية، وتم عقد مؤتمر تحت عنوان "نصرة الأقصى والمقدسات والدفاع عن المقاومة والإنتفاضة"، بحضور ١٥٠ جمعية أهلية من كافة المناطق ومختلف الأطياف السياسية، وحدها عنوان المقاومة والإنتفاضة والقدس. ومن ضمن توصيات لجنة العمل الأهلي المنبثقة عن المؤتمر:

١- تفعيل جهود المجتمع الأهلي العربي وتأطيره.
٢- أن تكون هيئات المجتمع الأهلي في صلب التطورات السياسية والثقافية.
٣- أن نقرأ التجربة التاريخية للمجتمع الأهلي الإسلامي والعربي.
٤- مجابهة أجواء الإحباط واليأس بصور البطولة والتضامن.
٥- المحافظة على التعبئة الدائمة والمستمرة من خلال برامج تسهر عليها شبكات المجتمع الأهلي.
٦- أن تعمل مؤسسسات المجتمع الأهلي لتكون أداة ضغط على الحكومات لتشكل سداً أمام أي تنازل رسمي عن ثوابت الأمة.

وقد ساهمت التجربة اللبنانية في التأصيل للعمل الأهلي المقاوم الذي يحمل قضايا الأمة الأساسية ويعمل علىٍ الأولويات الراهنة لشعوبنا في مواجهة المشروع الأميركي الصهيوني، بدلاً من التشتت وركوب أجندة غربية وتسويقها عبر منظمات مجهولة المصدر تساهم في التشويش والتخبط.

خاتمة

إن فلسطين، كل فلسطين في حالة حصار من قبل القواعد والقلاع والجدر المحصنة، ويتحكم بها مشروع استعماري استيطاني لا يقف عند حدودها، بل يتمدد بالتطبيع والهيمنة ليكون أداة لتنفيذ مشروع يستهدف الأمة ببناها التاريخية العريقة، لذلك على المجتمع الأهلي، بكل قواه الحية ان يحاصر هذا الحصار ويمدد أهلنا بالدعم النضالي، المعنوي والسياسي والاقتصادي، وحتما ستهدمون بسواعدكم جُدر الفصل العنصري ومخلفاتها.

د. حيدر دقماق هو منسق تكتل الجمعيات والهيئات الأهلية اللبنانية لدعم المقاومة والانتفاضة، وهو مدير جمعية القدس الثقافية الاجتماعية في لبنان.

ذكرى النكبة ٥٨

The Nakba at 58

إما العودة ... وإما العودة

It's either return ... or return

Taysir Batniji تيسير البطنيجي

لجنة إحياء ذكرى النكبة ٥٨ – فلسطين، بالتعاون مع الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

National Committee for the Commemoration of the 58th Anniversary of the Nakba in cooperation with the Palestinian Right-to-Return Coalition

البوستر الفائز في مسابقة أفضل بوستر للنكبة للعام ٢٠٠٦ من تصميم الفنان تيسير البطنيجي



(حق العودة) دورية تصدر كل شهرين عن بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين

عضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

الرقم الدولي المعياري (ISSN): 18149774

تحرير

محمد جرادات

نهاد بقاعي

الهيئة الاستشارية

أنطوان شلحت (عكا)
عيسى قراقع (بيت لحم)
رجا ديب (دمشق)
سلمان ناطور (حيفا)
سالم أبو هواش (الخليل)

أمير مخول (حيفا)
جابر سليمان (صيدا)
هشام نفاع (حيفا)
وليد عطا الله (باريس)
أنور حمام (رام الله)

المقالات المنشورة بأسماء أصحابها تعبّر عن وجهة نظرهم/ن.

بيت لحم، فلسطين
ص. ب. ٧٢٨
تلفاكس: ٠٢-٢٧٤٧٣٤٦ ، هاتف ٠٢-٢٧٧٧٠٨٦
بريد الكتروني: camp@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org

يهدف مركز بديل الى توفير مصدر للمعلومة والمعرفة والتحاليل العلمية، حول قضايا اللاجئين الفلسطينيين، ساعيا الى التوصل للحل الدائم والشامل لجميع اللاجئين الفلسطينيين يعتمد على أساس حقهم في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي هجروا منها.